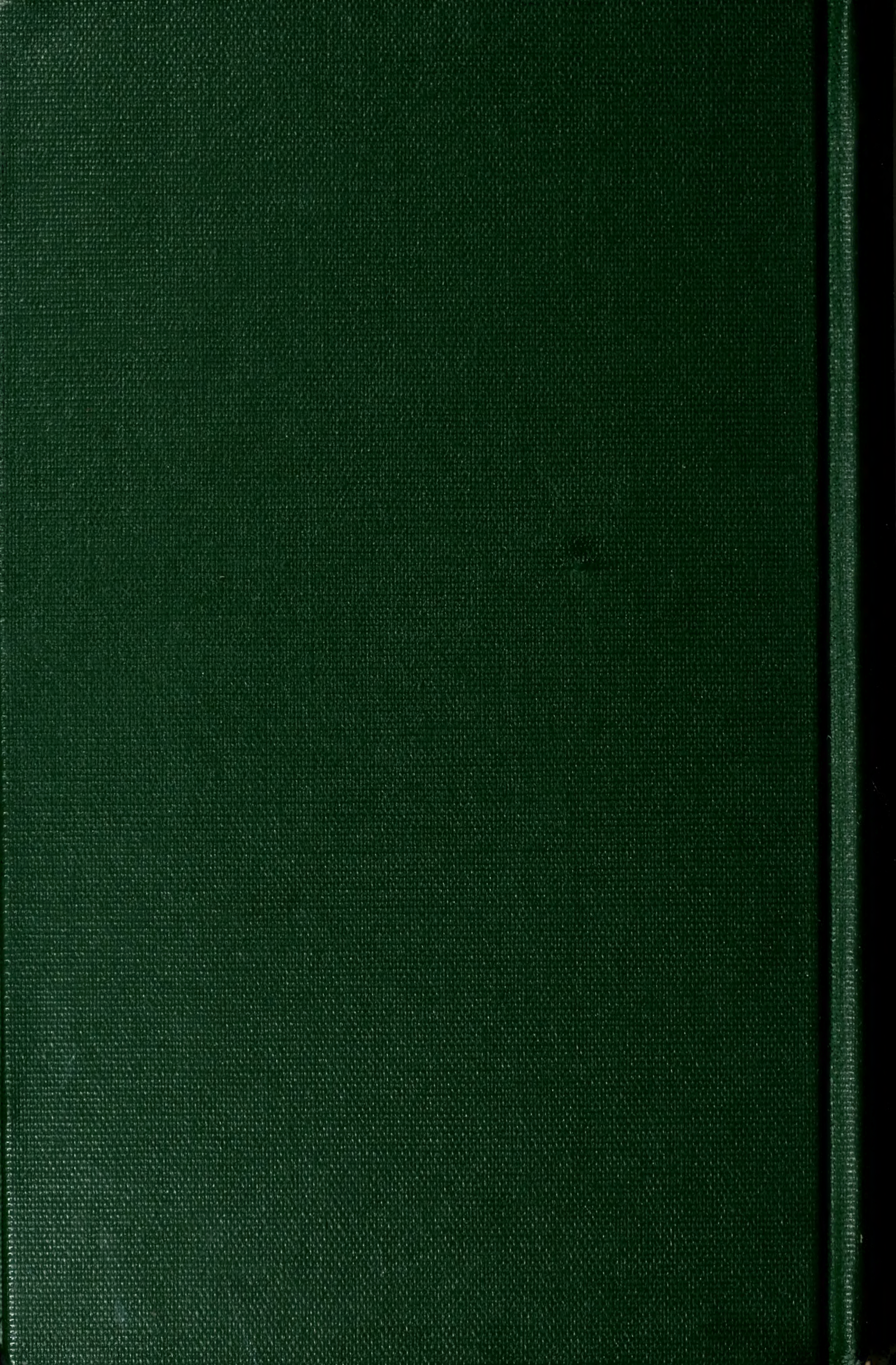
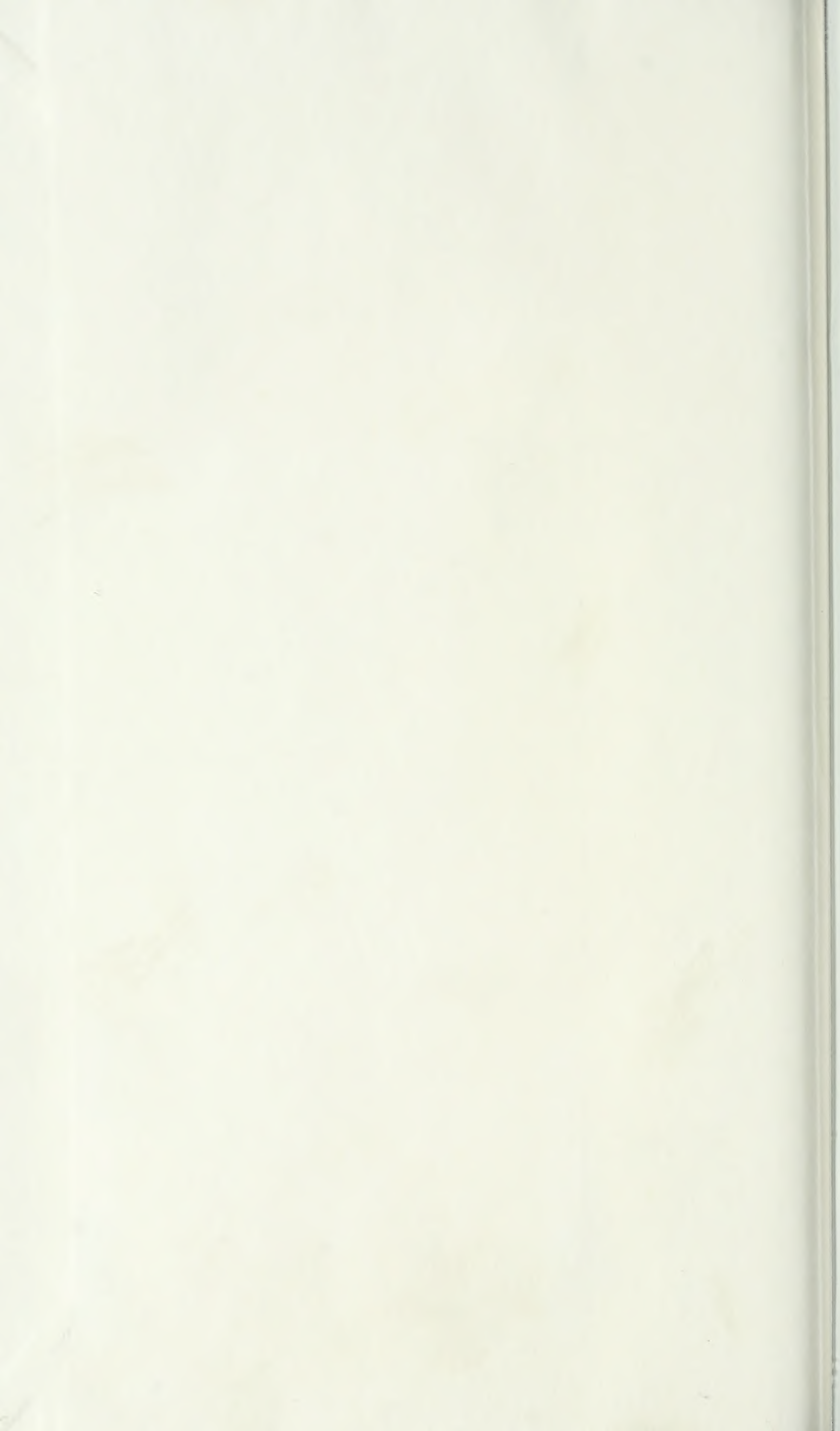
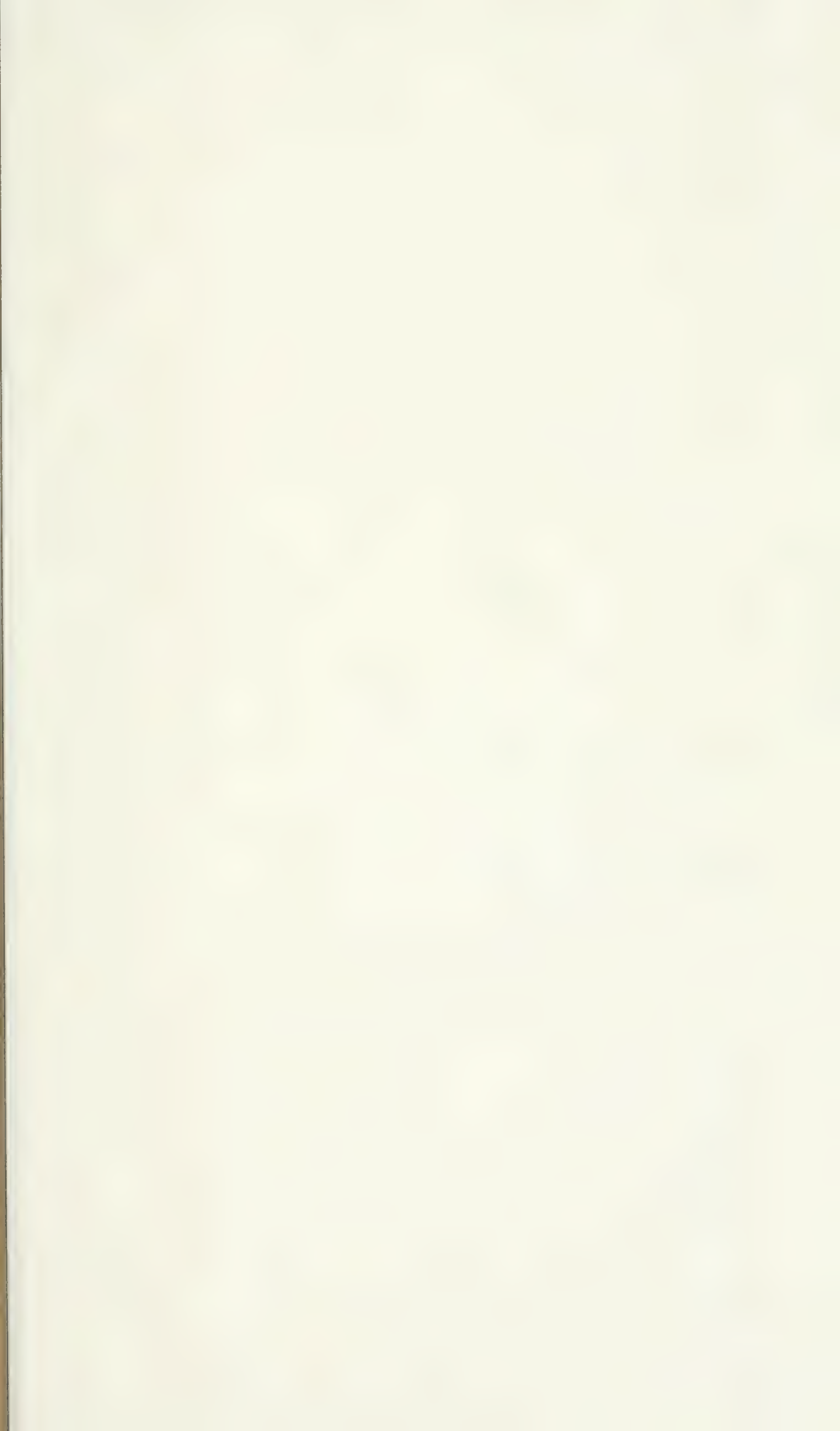






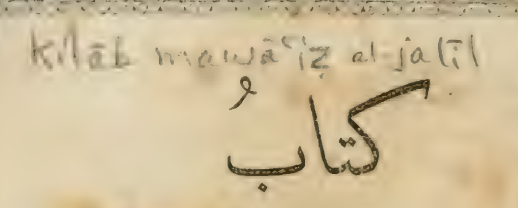








لقد اشرقت النعمة من فمك شبه النار وانارت المسكونة



مواعظ الجليل في القديسين يوحنا فم الذهب رئيس اساقفة القسطنطينية

يحتوي سبعاً وثمانين موعظةً من نفائس عظاتهِ . مرتبة على موضوعاتٍ مختلفة توضحها الفهرسة

قد نُقّحت عبارتهُ بقلم المثلث الرحمة الشيخ ناصيف اليازجي العلاّمة الشهير

وطُبع باذن قدس السيد اغابيوس مطران بيروت وجبيل الكلي الغيرة والقداسة

بنفقة فقرآء طائفة الروم الكاثوليك بوكالة ذوي الغيرة الخواجات ابرهيم

عطا الله وخليل الارقش وحبيب الموصليّ وميخائيل الجاهل

تحت مناظرة حضرة الخوري جرجس عيسى الراهب القانونيّ

الباسيليّ الشويريّ البلديّ

فدونكموهُ ايها التائقون الى اجتناء الدُّرر الخلاصية

من دواخل نفائس الصدف الذهبيَّة



طبعةٌ اولى

بمطبعة الاباء المرسلين اليسوعيين في بيروت

سنة ١٨٧٤ مسيحية

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

الفاتحة

المجدُ لله المفيض مياه الحيوة في فؤادِ مَنْ كان من بحرها مستمدًّا . المُنزِلُ علومَ النجاةِ على قلبِ من كان لها مستعدًّا . المُودِع صدورَ الكهنة اسرارهُ الالهيَّة التي هَدَى بها مَن استهدَى . الناطق على افواهِ الأيمَّةِ بما افادَ وانارَ وأسدَى وأجدَى . نُمجِّدهُ على تفضيلِ طبيعتنا بهذه العناية . وتخصيصِ نحلتنا بالاهتمامِ بها الى هذه الغاية . سبحانهُ من الهٍ لم تزل سوابغ جودِهِ شاملةً لِعبادِهِ . ومعبودٍ بهرت نوابغ هَدْيِهِ فاسترشدت بها اعين عُبَّادهِ . ونستشفعُ اليهِ بتلاميذهِ المُرسَلين بالحقّ . وخلفائهم المخلوقينَ لنفعِ الخَلْق . واتباعِهم المنيرينَ العقولَ إنارةَ الأُفقِ بوميضِ البرق . وبعدُ فانَّ كلَّ واحدٍ من افاضل البطاركةِ الأبرار . والعلماءِ الاطهار . قد وضعَ في البيعةِ ما رفعَ بهِ عقولَ دراريها الى واهبها . وحقَّقَ بهِ الديانةَ المسيحيَّةَ واظهرَ محاسِنَ مناقبها . فمنهم من صنَّفَ في التوحيدِ والتثليث والاتّحاد . ومنهم مَن ردَّ على مَن قال بالقِدَمِ وانكر المبدأَ والمَعاد . ومنهم مَن شرح النصوصَ وفسَّرها . ومنهم مَن وعظ البصائر ونوَّرها . ولمَّا طالعتُ جمهرة كتبهم وابعاضها . ولخَّصتُ مقاصدَها واغراضها . لم اجد في البيعةِ أَعمَّ نفعاً من مصنَّفاتِ الأَب . البطريرك يوحنا فم الذهب . الذي هو لسانُ المسيح الامجد . لا فَمُ العسجد . فانَّ الذهَب عَرَضٌ تحدثُ منهُ عوارضُ البُؤُوس . وتعليمهُ جوهرٌ يجوهر النفوس . وذاك محبتهُ علَّة الموت ومعلولها . وهذا تلاوتهُ صحَّة الحيوة موضوعها ومحمولها . فادام الله لبنيهِ النفع بلسانهِ وبنانهِ واقلامهِ .

وحسب له برَّ تعبهِ واهتمامهِ . فانهُ لم يترك نصًا الاَّ شرحهُ . ولا مشكلاً الاَّ اوضحهُ . ولا معنى مُغلقًا الاَّ فتحهُ . ولا لفظًا مُستهجنًا الاَّ هذَّبهُ ونقَّحهُ . ولا سرًّا من اسرارِ الصُحُف الحديثة الاَّ باح بهِ من لسانهِ . ولا شكًا متوجهًا على الاسفار القديمة الاَّ حلَّهُ لاهل زمانهِ . فاراحَ قلوبنا بعدهُ من تعب الفكر . وافعم من البراهين اليقينيَّة خزانة قوَّة الذكر . ولم اجد في مصنَّفات هذا الامام . انفع للخواص والعوام . واروى لاكبادِهم من الأُوام . من مواعظهِ البديعة . التالية شروح كتب البيعة . ولاسيَّما شرح انجيل الرسول البشير فانهُ شحنهُ بالآراء المقبولة من جميع الطوائف . والعقائد التي يأمن فيها الخائف من الحائف . والإنذارات التي اشخص بها عيون الخطاة وابكاها . والإخطارات التي جرح بها قلوب العصاة وادماها . والتلويحات التي توعَّد بها المنافقين ووعد الابرار . والتصريحات التي ساوى في النفع بها بين العبيد والاحرار . والتنبيهات على الاصغاء الى سماع الكتب الشرعية الحميدة الآثار . والتحذيرات التي منع بها من الزهو واللهو والعُجب والافتخار . والامثال التي ضربها لمن تمسَّك بشرف الجنس . ولم يلتفت الى شرف النفس . والاقوال التي امر بها ان تُحمل الصدقة الى المنعم بمادَّتها على يد رسلهِ قبل الترحال . ونهى عن تأخيرها عنهم في كل مكانٍ وزمانٍ وعلى كل حال . واحتال بتكرار القول فيها على نفع الطالب والمطلوب . واستدلَّ على انها تستر العيوب . وتغفر الذنوب . وتبذر حبَّات المحبَّة الالهيَّة في اراضي القلوب . وحرَّض المؤمنين على القيام بفرض الصلوة والصيام . والمحبة في الله لجميع الانام . فيا لمعجزات كتبهِ كم احيت

من نفوسٍ كان الاثم قد اماتها. وبالآيات خُطَبِهِ كم فكّت قلوبًا من اسر
ذنوبها وضمنت نجاتها. ويا لعجائب تعليمهِ كم جذبت اليها عقولاً بلطائف
كلماتها. ويا لغرائب تقويمهِ كم ردّت اعوجاج طبائع الى استقامة هيئاتها.
ويالمرايا توقيفهِ كم ارتهم اسوداد وجوه اعمالهم فبيّضوها بمياه الاستغفار.
ويالمزايا تثقيفهِ التي اصبحت مثالاً للكواكب والاقمار. ويالحنايا اضالعهِ التي
طُوِيَت على قلبٍ نقيٍّ مطهّرٍ قلوب شعبهِ من الاوزار. ويالخبايا اصابعهِ
التي اودعت في الطروس ما هدت بهِ البصائر والابصار. فالغلام انشأتهُ
تعاليمهُ مثالاً صالحًا. والفتى افاحت منهُ رياض رياضتها لهُ عرفًا نافحًا.
والكهل حملتهُ على كاهل فضائلها غاديًا ورائحًا. والشيخ شغلتهُ بتجر الاخرة
فحيثما انقلب كان رابحًا. والنساءُ جميعًا على اختلاف اعمارهنَّ واحوالهنَّ
اقتدينَ بها فاصبح عملهنَّ ناجحًا. وجميع الرؤساء والمرؤُوسين منهم من
صيَّرتهُ راهبًا ومنهم من جعلتهُ سائحًا. والذين لم يسلكوا هذه المسالك.
ابقتهم في العالم عونًا لاولئك. وركنًا للدين والدنيا والملوك والممالك.
ورحمةً للعالِم العامِل ونقمةً للجاهل التارك. فطوبى لهُ من امامٍ لم يَدَع
عيوبًا تلحق برعيتهِ الاَّ بادر الى ازالتها واستلابها. وهنيًّا لهُ من راعٍ لم يترك
نبذةً من الفضيلة الاَّ الزمتهم تعاليمهُ باكتسابها. ولا غادر صغيرةً من
الرذيلة الاَّ نهتهم مواعظهُ عن ارتكابها. الاَّ ان اسماع رعيتهِ كانت في
عصرهِ تحتمل الاطالة في الوعظ. وتقبل ما اشتملت عليهِ من التوسُّع في
اللَّفظ. فاطال لهم واطنب. واوسع في العبارةِ واسهب. واضرم القلوب
المنتبهة بنار الزجر والهب. غير ان ناقلها الى اللسان العربيّ ومترجمها.

قد استعمل في الفاظها كثيرًا من غريب اللغة فاعجمها . فاختصَّ بالانتفاع بها الخواصُّ الذين لهم في اللغة اطّلاع . ووقع الغمُّ على العامَّة الذين حُرِموا منها هذا الانتفاع . فلمَّا رايت حال مطالعتها . واطَّلعت على اسرار منفعتها . ورايت اهل هذا العصر قد شغلتهم حوادث الزمان عن قراءة الكتب المطوَّلة . ولم تباشر اسماع عامَّتهم منها سوى الالفاظ المشهورة المستعملة . اختصرتها باسهل الالفاظ واوجزتها . وحفظت معانيها وابرزتها . وخاطبت بها اهل زماني بما يفهمونهُ من الالفاظ المألوفة . ولطَّفت حجمها بسبك العبارات المعروفة . وجمعت فيها بين البيان الشافي . والاختصار الكافي . وادراك غاية المرام البعيد . بواسطة اللفظ القريب المفيد . ولما رايت بعض الكنائس الشرقية منها خالية . وقلوب ابنائها اليها صابية . اختصرت الشرح والوعظ بقدر ما ساعدتني الهمَّة المقصِّرة . وجرَّدت منها المواعظ وجعلتها كتابًا مفردًا غير انني لم اجد العظة الخامسة عشرة . فمن ظفر بها في بعض النسخ فليدوّنها . وان لم يجدها فليطلب العظة السابعة عوضًا عنها . وهي المرتبة على الفصل المتضمن اخراج الشيطان من الذي كان يأوي الى القبور . وتشتمل على ذم الزناة ومحبي الغِنى من اهل الغرور . ثم اني تأمَّلت ابتداءَ بعض هذه المواعظ فوجدتها معطوفةً على ما تقدَّمها من كلمات شرح أَخواتها . وان فهرسها الاول مع تجريدها منها لا يستقلُّ بنفسهِ فاضفت اليهِ ما يُستدلُّ بهِ على متفرّقات اغراضها ومجتمعاتها . وعدد هذه المواعظ سبعٌ وثمانون موعظة . والله المسؤُول ان ينفع بها كل ذي قلبٍ سليمٍ وعينٍ مستيقظة

العظة الاولى

مرتبة على قول السيد المسيح انهُ لم يَقُم في مواليد النساءِ اعظم من يوحنا المعمدان
وهي تتضمَّن الحثَّ على القيام بحقوق الله الواجبة كالعشور والابكار والنذور والباكورة
من الاثمار والزراعات وفوائد التجارات . وان المسيحيين ان لم يَزِد برُّهم على الكَتَبة
والفريسيين لا يدخلون ملكوت السموات

ان شرف الفضيلة عظيمٌ وشانها جليلٌ . لانها ترفع محبها الى السماءِ وتشبّههُ بالملائكة وتمجدهُ في المحافل وتنقلهُ الى اماكن النعيم وتؤهّلهُ لمديح سيدهِ كيوحنا المعمدان . لان يوحنا لشرف فضيلتهِ استحقَّ قول السيد المسيح انهُ لم يَقُم في مواليد النساءِ اعظم منهُ . فاذا كان هذا الذي تربَّى في القفار واستأنس بالوحوش البريَّة ولم يسمع نبيًّا ولامبشرًا ولاسمع بعابدٍ ولامتقشفٍ اظهر طرائق الابرار واصلح مسالك الفائزين فالذين يسمعون العظات وينبَّهون بالتعاليم الالهيَّة ويقتدون بالشريعة الفاضلة وهم مع ذلك متغافلون كيف لايُعاقبون . ومع انهُ لا يُثقَّل عليهم بطلب شيءٍ اكثر من الواجب عليهم نراهم يتضجَّرون من الحقوق الواجبة ويُعرِضون عن الفرائض اللازمة ويتمسَّكون بالاباطيل الزائلة وينهمكون في محبة اللذات الفانية . حتى ادَّاهم ذلك الى اهمال الحقوق الواجبة والسُنَن المندوب اليها . واذا كان الذين يجب عليهم الخراج لملوك الارض اذا اهملوا تقديمهُ يضيَّق عليهم ويُسجَنون فكيف لا نُعاقَب نحن اذا اهملنا القيام بما يجب علينا من حقوق الله . فان قلت ما هي الحقوق اللازمة لنا والمفروضة علينا . اجبتك انها هي العشور والابكار والنذور والباكورة

من الثمر والزرع وربح المتاجر واشباه ذلك بموجَب قولهِ تعالى في التوراة افرزوا عشوراً من كل غلاتكم وزراعاتكم مما تغلُّ ارضكم كل سنةٍ لله ربكم. وكل بكرٍ يولد من الناس الى البهائم فانهُ لي يقول الربُّ . ويقول على لسان ملاخيا النبي موبخاً بني اسرائيل هكذا واما انتم يا بني يعقوب فلم تتوبوا عن اثمكم. ومنذ ايام آبائكم الى الآن انتم تميلون عن وصاياي ولم تطيعوا اقوالي ولم تعملوا بها كما يجب. اقتربوا مني لاقترب انا منكم . وان قلتم بماذا نُقبِل اليك . قلت هل انتم تظلمون الالهة الغريبة كما تظلموني يقول الرب . وان قلتم بماذا ظلمناك . قلت بالعشور والابكار لانكم تلعنون بافواهكم واياي تطلبون . ياجميع الشعب اهدوا العشور الى اهرآءي لتصير طعاماً في خزائني وجرّبوني في هذه يقول الرب القادر لافتح لكم طاقاتٍ في السماء واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا حتى تقولوا كفانا كفانا . وانهي الدودة ان لا تُفسد اثمار ارضكم ولا تُتلف شيئاً من كرومكم ويمدحكم جميع الشعوب . ويقول الانجيل المقدس لمشايخ اليهود الويل لكم ايها الكتبة والفريسيون المراؤون لانكم تعشّرون النعنع والسُبت والكمون وتتركون عظائم الناموس التي هي الحكم والرحمة والايمان . قد كان ينبغي لكم ان تعملوا هذه ولا ترفضوا تلك . ومعناهُ انكم تتظاهرون باخراج العشور والقيام بالحقوق الواجبة فتعشرون الاشياء الدنية التي لا ثمن لها كالنعنع والسبت والكمون لتتظاهروا للناس بذلك وتهملون عشور الاشياء النفيسة. ومع هذه الخصال الذميمة تُعرضون عن الحكم والرحمة والايمان وقد كان يجب عليكم ان تفعلوا الامرين جميعاً . ويقول الرب

مخاطباً هرون وبنيهِ ان كل بواكير الزيت وبواكير الخمر وبواكير الحنطة واوائل كل الثمرات وكل محرَّمٍ لله وكل بكرٍ من الناس الى البهائم قد جعلتها لك ولبنيك ولعشيرتك . وقيل في القوانين المقدسة وبواكير ثمرات الارض من كانت لهُ فليذهب بها الى الكنيسة واوائل البيادر واوائل اللبن واوائل العسل واوائل الصوف واوائل عمل كل انسانٍ . ومعنى هذا من كانت لهُ بساتين اوكروم او زروع فاول ما يجني من ثمراتها كل سنة يقدمهُ هديةً لله ربّهِ وتُصلّي عليها الكهنة لتكثر خيراتهُ وتتضاعف الارزاق عندهُ ويأكل منها الذين يخدمون بيت الله ويفرّقون على المساكين . وكذلك من لهُ بقرٌ وغنمٌ وخلايا عسل وغير ذلك من جميع ما يُستغَلُّ في اوَّل السنة يعمل هذا العمل . ومن لهُ مواشٍ يجب عليهِ في كل سنةٍ ان يقدم لله من اول اولادها واول البانها واول جزاز اصوافها . وكذلك ما يُولَد من بني البشر فان البكر يكون لله يجب على والديهِ ان يحملا ثمنهُ الى الكنيسة بحسبما يتراضيان مع الكهنة عليهِ . وكذلك كل بكر بهيمةٍ . واما البقر والغنم والمعزى فتُحمَل ابكارها الى بيت الله واما الحمار فيُعوَّض عنهُ بخروفٍ . فاذا كانت هذه الاشياء كلها مفروضةً على الاسرائيليين مع كثرة عتوّهم وغلاظ اعناقهم وكانوا يُوبَّخون على اهمالها فكيف لا يجب علينا ان نتيقَّظ من نومنا ونصحو من سكرتنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا . وكيف لا يُقلقنا دائماً قول ربنا انكم اذا لم يزد برُّكم على الكتبة والفريسيين لا تدخلون ملكوت السماوات . واذا كان شرط دخول الملكوت الزيادة على اعمال

اولئك فماذا يقال للناقصين عنهم . وينبغي ان نعلم ان الله انما فعل هكذا مع الناس ليجرّب الطائعين لهُ كما يفعل الاب مع البنين فانهُ يعطيهم المال او الاثمار وغير ذلك ثم يسألهم ان يعطوهُ شيئاً تجربةً لهم فالذي يبادر اليهِ مسرعاً ويعطيهِ ما بيدهِ فَرِحاً مبتهجاً يُقبّلهُ ويسرّ بهِ ويعوّضهُ اضعافاً كثيرة . والاَّ فهو القائل على لسان النبي ايَّ بيتٍ تبنون لي . السماءُ كرسيٌّ لي والارض موطأُ قدميَّ . ان جعت فلا اقول لك لان لي الدنيا وكل ما فيها . لا آكُل لحم الثيران ولا اشرب دم التيوس ولا اسكن في البيوت المصنوعة بالايدي . وانما سمح الله تعالى ان يكون في الدنيا اناسٌ اغنياءُ واناسٌ فقراءُ وامر الاغنياءَ ان يُسَاعِدوا المساكين قاصداً اصلاح الفريقين جميعاً لان الاغنياءَ الذين يقومون بحوائج الفقراءَ ويُسَاعِدون المساكين بفرحٍ ونشاطٍ طاعةً لربهم يقبلهم في ملكوتهِ كما قال تعالى ويُسمِعهم الصوت المملوَّ من كل فرحٍ ولذةٍ القائل لهم تعالوا يامباركي ابي رِثوا الملك المعدَّ لكم من قبل انشاءَ العالم . لاني جعت فاطعمتموني وعطشت فسقيتموني وكنت عرياناً فكسوتموني وما اشبه ذلك . واما الفقراءُ الصابرون على ضيق المسكنة الشاكرون لله من كل قلوبهم فانهُ يجازيهم بسعادة الابد ويُعوّضهم عن الاموال الزائلة بما لا يزول ويأخذون الطوبى المعدَّة للحزانى والجياع والعطاش والباكين وامثالهم . أَفرأَيتم مثل هذا الصنيع . أَشاهدتم مثل هذه الكرامة . أَسمعتم بمثل هذا الاحسان العظيم . ارايتم كيف يطلب السيّد الرحمة من العبيد ليجازيهم عن الاعراض الزائلة بالجواهر التي لاتزول . أَسمعتم قولهُ في

العشور احملوها الى خزائني وجربوني في هذه يقول الرب لافتح لكم في السماء طاقاتٍ واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا حتى تقولوا كفانا كفانا . من يستطيع ان يصف عظمة هذه المواهب وايُّ لسانٍ ينطق بشكر هذه المنن وايُّ عقلٍ يُدرِك شرف هذه المراحم . اما كان الذي يعطيك عوضًا عن الواحد مائة ضعفٍ قادرًا ان لا يجعل اخاك محتاجًا اليك . ولكن لكثرة محبتهِ لنا وجودة حكمتهِ يريد ان تكون انت سامعًا ومطيعًا ومحسنًا ورحومًا ويكون الآخر المحتاج محتملًا وصابرًا وشاكرًا لانهُ يبتغي ان لا يترك شيئًا من انواع الفضيلة الَّا ويحثُّنا على اكتسابهِ ليحسن مجازاتنا ويكثِّر خيراتنا ويوصلنا الى النعيم الابديّ الذي لا يزول . واعلم يا هذا انهُ لكوننا لا نقوم بالحقوق الواجبة علينا ولا نطيع اوامر ربنا يتسلَّط علينا الذين ياخذون اموالنا مجَّانًا . فان الكتاب الالهيَّ يقول ان الاموال التي لم تاكلها الاطهار تُحمَل الى بابل . ومعناهُ انكم اذا كنتم تنظرون الحقوق الواجبة لله عليكم وتستكثرونها وتتغافلون عن القيام بها فيتسلَّط عليكم الذين يظلمونكم ويسلبون اموالكم ويتلفون زروعكم ويجعلونكم اذلَّاءَ مهانين . فسبيلنا ان نبادر الى اقوال ربنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا ونتحنَّن على المساكين ونتعطَّف على اخوتنا البائسين لننال المجازاة في الملكوت السمويّ بمحبَّة وتعطُّف الهنا لهُ المجد الى الابد امين

العظة الثانية

مرتّبة على فصل حماة بطرس تتضمّن الحثّ على التعاليم الالهيّة
والازدراء بالاموال والذخائر العالميّة وغير ذلك

اذا كان يجب في مداواة الاجسام البشرية ان يكون الطبيب ماهرًا والمريض مطاوعًا ونحن قد علمنا قدرة الشافي لامراضنا والحامل لاوجاعنا فكم يجب ان ننتصب لطاعة اوامرهِ ونبادر الى قبولها والقيام بها ونتعلَّم منهُ قوانين المداواة الروحيَّة ومنافع الادوية السماوية لنقتدر على معالجة الامراض الشيطانيَّة وننقذ المؤمنين من عذابها ونستحقّ ان يمسك بايدينا ويشفي امراضنا وينشلنا من اعماق الرذائل . واذا كان الذين يتعلمون العلوم الدنيويَّة يحتاجون في اثباتها الى المذاكرة والتكرار وملازمة الدرس ليلًا ونهارًا . وكل ذلك لاجل ضبط الالفاظ وتحرير المعاني وايضاحها وتقريرها في الاذهان . وكذلك الذين يغرسون الحقول ويزرعون الاراضي يحتاجون في اخصابها الى التعهُّد بالسقي والقيام بخدمة الارض الواجبة لها . والّا فالذين يتعلَّمون يُضيّعون اتعابهم واوقاتهم . والذين يغرسون ويزرعون يخسرون خراج الارض وكُلَفها . فكذلك الذين يسمعون المواعظ ويتعبون في استماع التعاليم الالهيَّة ينبغي لهم ان يحفظوها بالمفاوضة فيها والتكرار لكي تثبت في اذهانهم وتعطي ثمرًا صالحًا . وعلى ذلك قول الرسول كونوا فَعَلةً للناموس ولا تكونوا مستمعين فقط . لان الذي يسمع ولا يعمل بما سمعهُ يشبه الرجل الذي ينظر وجههُ في المرآة فانهُ

عند رفعهِ اياها ينسى المثال الذي نظرهُ فيها ويكون كالذي بنى بيتهُ على الرمل كما قال الكتاب الالهيّ من يسمع كلامي هذا ولا يحفظهُ يشبه رجلاً جاهلاً بَنَى بيتهُ على الرمل . فانهُ اذا هبَّت الرياح ونزلت الامطار وجرت الانهار وصدمت ذلك البيت سقط وكانت سقطتهُ عظيمةً لان اساسهُ كان على الرمل . ويقول ايضاً مَن منكم حكيمٌ فليُرِني حسن اعمالهِ من تصرُّفهِ بتهذيب الحكمة . ولاجل ذلك لا اكفُّ عن تذكاركم وتنبيهكم ومفاوضتكم في ما يجب حتى اراكم ذاكرين دروسكم حافظين تعاليمكم عاملين باقوال ربكم متغايرين على عمل الفضائل مبتعدين عن طرق الرذائل لكي اسرَّ انا بحسن اعمالكم وابتهج بجميل مجازاتكم وافرح بدخولكم مساكن النعيم . فان قلتم وما الذي يدلُّ على ذلك من اعمالنا قلت هو ان اراكم مُحبّين لعمل الفضائل كالصلوة والصوم والصدقة والرحمة والمحبة وامثال ذلك . ومبغضين للرذائل كالغضب والحسد والنميمة وحبّ المال الذي هو سببٌ لتولُّد الشرور كلها واداةٌ لعمل الهالكين . فان قلت وكيف نقدر على بغض المال وهو قد جُعِل واسطةً لتحصيل الامور الضروريَّة التي نحتاج اليها . قلت ان الكلام عن المال الذي يدخل من الوجوه المحرَّمة ويُنفَق في سبيل اللذَّات العالميَّة لا في ما يكتسب من الوجوه الجائزة ويُنفَق في اللوازم الضروريَّة لقوام الحيوة وفي مصالح الفقرآء . ولا تظنَّ ان الازدرآء بالاموال امرٌ جسيمٌ فانك اذا امعنت النظر ترى كثيرين من الناس يفعلون ذلك طلباً للمديح من الناظرين وذلك انك تجد قوماً يتركون الاموال الكثيرة ويَدَعُون الاملاك

والضياع والامتعة والزراعات ويطوفون في القفار وينقطعون في الجبال والمغاير طلباً للمديح من الناس الذين ينظرونهم او يسمعون اخبارهم . وتجد آخرين يجهدون انفسهم ويتعبون ويحتالون ويظلمون ويُحصّلون الاموال من اقبح الوجوه ولاجل حبّ المديح من الناس يصرفونها في ثمن الملابس الفاخرة والمراكيب والاواني النفيسة وغير ذلك مما لاتدعو الحاجة اليهِ . وترى قوماً اخرين يهتمّون بعمل الاطعمة الشهيَّة وتصفية الخمرة اللذيذة ويُعِدّون انواع النُقل والفواكه والازهار والملاهي وينهمكون في امورٍ أُخَر كثيرةٍ يطول شرحها ويدعون اناساً من الاغنياء والاكابر ليتنعَّموا معهم ويحصلوا بذلك على المديح والافتخار . وربَّما لو اتاهم في ذلك الوقت فقيرٌ جائعٌ وطلب منهم ما يسدُّ جوعهُ بهِ لردُّوهُ خائباً واحياناً يشتمونهُ ويطردونهُ خارجاً . ولهذا تنقلب اكثر مسرَّاتهم الى الشرور والنكد والمخاصمات المزعجة ونحو ذلك . فاذا كان هذا يغترم النفقات الجزيلة لينال المديح من الناس وذاك يبذل النفقات الكثيرة في سبيل العُجْب والافتخار . والآخر يبدّد اموالهُ في استعمال ما يستحيل سريعاً الى الفساد ويُقذَف بهِ الى المزابل . فكيف لانتأمَّل هذه النقائص بعيون العقول ونكشف عنها ستور الظلمات وننتقدها بالاذهان السليمة والافكار المستقيمة ونبتعد عن المنقادين الى استعمالها المتمسكين باذيال الافتخار بها لكي ننجو من بحارها سالمين . ويا للعجب كيف اننا ننفق الاموال الكثيرة ونصرف النفقات الجزيلة ونُتعِب اجسادنا واولادنا وخدَّامنا طلباً للافتخار والمديح الذي يضمحلُّ كالدخان ويمرُّ كالبروق والرياح وينتسخ

كالظل وينتثر كالهباء . ولانجعل هذه العناية في الذخائر الباقية التي لاتزول . وكيف يحسن بالعقلاء ان يطلبوا الشرف من معادن الخساسة ولا يطلبون ذلك من الخالق عزَّ وجلَّ . وكيف يُجمَّل بنا ان نطالب المديح من العاجز والناقص والمتغيّر والمائت والخائف والمنقلب والحقير والذليل ونعدل عن الطلب من السيّد القادر الحكيم الكامل الحيّ الباقي الذي لايزول الخالق لانفسنا واجسادنا والمدبّر لنظام حياتنا والمنعم علينا بكل هذه المواهب والمُعِدّ لنا ميراث النعيم الابديّ . فسبيلنا ان نقتفي آثار الافاضل ونُعرِض عن مسلك الاراذل ونتمسَّك بوصايا الهنا المفيدة الحيوة طائعين لكي ننال ملكوت ربنا لهُ المجد الى الابد امين

العظة الثالثة

مرتَّبة على الفصل المتضمّن اخراج الروح النجس وهي تتضمّن توبيخ الذين لا يطيعون اوامر الله والذين يتنازعون على الرياسة ويتخاصمون على التقدّم وامثال ذلك

اذا رأينا الارواح النجسة والشياطين الخبيثة تسمع اقوال ربها وتخاف من خالقها هكذا وتمتثل اوامرهُ بسرعةٍ وتبادر الى العمل بمراسيمهِ بالخوف والوقار فما بالك انت تسمعهُ دائمًا يامرك بمحبة الاخوة والاحسان الى المسيئين والمسالمة مع المبغضين وانت لاتصنع هكذا . بل تغتصب اخاك وتخاصم صاحبك وتشتهي قتل مبغضك وتنازع المشاركين لك . وليس ذلك في الشوارع فقط بل في مجامع المؤمنين ايضاً . اسمع ياهذا قول

بولس الرسول انهُ بلغني انكم اذا اجتمعتم في البيعة يكون بينكم اختلافٌ وشقاقٌ وانا مصدّقٌ لذلك لان الحسد والشقاق مزمعان ان يكونا بينكم لتُعرَف الاخيار منكم من الاشرار . ومعناهُ انهُ اذا وقع بينكم شرور يتميَّز الطائعون للمسيح بالصبر والاحتمال والصفح عن المسيئين . ويظهر شرُّ الاشرار بكثرة المماحكة والفجور والمنازعة وحبّ الغَلَبة . وقال بعد ذلك أَلَا ترون ان اقسام المواهب كثيرة واصناف الخدم موجودة والله يفعل في واحدٍ واحدٍ من الناس كما يشآء . فواحدٌ يُعطى بالروح قدر ما ينفعهُ . وآخر أُعطِي كلام الحكمة . وآخر كلام العلم . وآخر أُعطي مواهب الشفآء . وآخر القوّات وآخر النبوَّة وآخر اصناف الالسن وآخر ترجمة اللغات . وكل هذه المواهب يقسمها هذا الروح الواحد لكل واحدٍ كما يشآء . فما بالكم الان تتنافسون وتتغايرون اذا كان الله هو مقسِّم الرتب والمُعطِي كل واحدٍ بحسب استحقاقهِ . ويا للعجب من الذين يكثرون المخاصمات في الاسواق والشوارع فيكسبون المذمَّة من الناس والملامة من الحاضرين والذين يُشوّشون بالفِتَن مجالس المجتمعين في ملاهي اللعب وخيال الظلّ والخمَّارات وحَلَق المشعبذين فيشتَمون ويُهانون . ومن الذين يتنازعون في ابواب الملوك والعظمآء فيُضرَبون بالسياط ويُحبَسون ولا يُرحَمون . فاذا كان الذين يُشوّشون هذه الاماكن العالميَّة يُفعَل بهم هذه الافعال فالذين يُشوّشون بيعة الله ومصافَّ الملائكة ومجامع الشهدآء والابرار بماذا يُعاقبون وبايّ عذابٍ يُعذَّبون . اسمع يا هذا قول الله لداثان وابيروم وبني قورح والذين حسدوا موسى وهرون

وارادوا ان يكونوا كهنةً مثلهما وينتقلوا عن رتبة اللاويين . فانهُ يقول وقام داثان وقورح وابيروم ومائتان وخمسون رجلاً من روساء الجماعة على موسى وهرون وقالوا لهما لماذا تقومان انتما بالرئاسة على جماعة الرب دون جميع الشعب وكلهم اطهارٌ والله فيهم . فلما سمع موسى ذلك سقط على وجههِ ثم نهض مخاطباً قورح وجماعتهُ قائلاً لهم اما كفاكم يا بني لاوي ان اله اسرائيل اختاركم من بين الجماعة ان تقوموا باعمال القبة وتقفوا قدام الجماعة . وتريدون الان ان تكونوا احبار الله انت يا قورح وجماعتك هذه . وارسل موسى يدعو داثان وابيروم فلم يجيباهُ وقالا لهُ أَقليلٌ ما فعلت بالشعب انك اخرجتهم لتصعدهم الى ارضٍ صالحة تدرُّ لبناً وعسلاً . وانت الآن تقتلهم في البرية والى الارض الصالحة ما اصعدتهم . وقد صرت علينا رئيساً وقاضياً . فقسا لذلك موسى جدًّا وقال لقورح تقوم انت وجماعتك وهرون في الغد وتكونون على اهبةٍ امام الرب وليأخذ كل واحدٍ منكم مجمرةً مثل هرون الكاهن واشعلوا النار في مجامركم وضعوا فيها البخور قدام الرب والذي يختارهُ الله ان يكون كاهناً امامهُ يبقى امام الشعب . ولما اصبحا اجتمع موسى وهرون وقورح وداثان وابيروم والمائتان والخمسون رجلاً وكل واحدٍ وضع البخور في مجمرتهِ امام الرب وكانت العادة ان لا يحمل البخور في المجامر الاَّ هرون وبنوهُ الاحبار فقط . ووقف موسى وهرون عند باب قبة الزمان . فترآءى مجد الرب وكلَّم موسى وهرون وقال لهما اعتزلا من بين هذه الجماعة الشرّيرة حتى ابيدها دفعةً واحدة . فسقطا على وجوههما وقالا يا الله الارواح وخالق

جميع البشر كيف اذا اخطأ رجلٌ واحدٌ يغضب الرب على كل الجماعة (لانهُ كان يريد ان يهلك جميع بني اسرائيل) فقال لهما ثانيةً اعتزلا من بين جماعة قورح وداثان وابيروم الذين يقولون انهم بقوّتهم ياخذون الكهنوت . ولما اعتزلا عنهم فتحت الارض فاها وابتلعت قورح وكل جماعتهِ وبيوتهم ومواشيهم وخيامهم وجميع ما لهم ونزلوا الى الهاوية احياءً . واما المائتان والخمسون فنزلت نارٌ من السماء واحرقتهم حتى شمل الرعب والفزع من كان حولهم وخافوا ان تفتح الارض فاها وتبتلعهم ايضاً او تنزل عليهم النار فيحترقوا . وقال الله لموسى قل لالعازر بن هرون الحبر ارفع مجامر النحاس من بين هولاءِ المحترقين واطرقها صفائح واجعلها غشاءً للمذبح تذكرةً لبني اسرائيل لئلَّا يتجاسر ويتقدم من ليس هو من بيت هرون ويضع بخورًا امامي فيصيبهُ ما اصاب قورح وجماعتهُ . فسبيلنا ان نهرب من طلب الرئاسات والامور العالميَّة ونطلب ما فيهِ خلاصنا ونسارع الى العمل باقوال ربنا لنفوز بملكوتهِ لهُ المجد الى الابد امين

العظة الرابعة

مرثية على الفصل المتضمّن احياء ابنة الرئيس . وهي تتضمّن تبكيت الذين يحزنون على الاموات كطوائف الامم

انهُ ينبغي ان لا نندب ولا ننوح على امواتنا بعد ان حقق لنا سيدنا لهُ المجد قيامة الاموات . فما بالنا نبكي على الاموات بحرقةٍ ونتّخذ النائحات

والنادبات وقد قهر سيدنا يسوع المسيح الموت وانتزع ملكهُ وسلطانهُ . ما بالك يا هذا تنوح نوحًا مزعجًا وتكابد احزانًا وغمومًا وقد صار موتنا نومًا عارضًا من شانهِ الزوال . ولقد كان يجب علينا ان نضحك على الخارجين عنا الذين ينكرون قيامة الاموات . فما بالنا نجعل الخارجين عنا يضحكون علينا لانهم يقولون ان النصارى لو كانوا يُصدّقون بقيامة الاموات كما يزعمون لما كانوا يعملون على موتاهم هذه الاعمال . ما بالكِ ايتها الامراة تندبين بالبكاء والعويل وتكثرين من الحزن والنحيب وتتخذين النوائح والنوادب وتخدّشين وجهكِ وتنهشين ساعديكِ وتُقطّعين شعركِ وتلطمين وجهكِ ولا تسمعين قول سيدنا ان الجارية لم تمت لكنها نائمة . الا تنظرين الى حياتها بعد الموت الذي دعاهُ نومًا . فان قلتِ فلماذا لا يقيم لي ابنتي الان كما اقام تلك . قلت ان كان عملكِ هذا على الموتة الحاضرة فما الفائدة في ان تعيش مدةً ثم تموت موتةً اخرى . ثم اقول لكِ ولسائر المؤمنين اما تعلمون يا هولاء اننا في الدنيا معذّبون مسجونون مكابدون احزانًا وهمومًا يطول شرحها لان الله تعالى قال للاب الاول اعني آدم لما وُجِد مخالفًا للوصيّة الاولى قد لعنت الارض بعملك فتكون منذ الان محزونًا فيها طول ايام حياتك تنبت لك حَسَكًا وشوكًا وبعرق جبينك تاكل خبزك حتى تعود الى الارض التي أُخِذت منها لانك ترابٌ والى التراب تعود . ثم قال للامراة لاكثّرنَّ احزانكِ وتنهُّدكِ بالاوجاع تلدين الاولاد والى بعلكِ ترجعين . فاذا كان الامر هكذا فما بالنا نندب على من خلّصهُ الله من موطن الآفات ونبكي ونتحرّق على من

رفعهُ الله من قرارة الاتعاب والهموم . واننا نرى اناساً آخرين يرهبون من الموت ويظنون انهُ موجبٌ للعدم مطلقاً . وآخرين يتذمَّرون على الله تعالى اذ يعدُّون هذه شدَّةً وضعها عليهم ويعترفون بالعجز عنها . فيا للعجب من كونك تفعل مثل هذه الافعال ثم تفرّق عنهُ الاموال وتقدّم القرابين وتطلب من الكهنة ان يذكروهُ في الصلوات . فان قلت انني افعل ذلك لكي يجد راحةً ومعونةً . قلت وهل يجد راحةً الّا الاحياءُ . فان كان حيًّا فما لك تندبهُ وتنوح عليهِ . فاذاً لا ينبغي لنا ان نحزن على امواتنا بل يجب علينا ان نسرَّ ونفرح لنقلهم من ارض الشقاءِ الى دار النعيم حيث لا غمَّ ولا حزن ولا اسف ولا ندم ولا همَّ ولا تنهُّد بل نعيم الملكوت الذي لم ترَهُ عينٌ ولم تسمع بهِ اذنٌ ولم يخطر على قلب بشرٍ . فان قلت ان الحزن طبيعةٌ لازمةٌ لنا فكيف تخرج الطبيعيات عن التصرُّف بما يقتضيهِ وضعها . قلت ان الذنب ليس للطبيعة الحيوانية بل لعقل صاحبها المصرّف لها . لانك لو ثقَّفت عقلك وروَّضتهُ بالنظر في الناموس دائماً لغاب الطباع الجسميَّة وقهرها وفعل ما تقتضيهِ البصيرة العقلية . فان قلت انهُ يحملني على الحزن والبكاءِ اني اموت ولا يكون لي وارثٌ واترك الاموال والعقارات والمواشي لقومٍ آخرين . قلت فما هو الافضل عندك ان هذا الشخص يرث الدار التي ستخرب والاموال التي ستفنى والثياب التي ستبلى ام يرث نعيم الملكوت الذي لا تصل هذه العوارض اليهِ ولا يخاصمهُ اخوهُ على اقتسام الميراث ولا يدافعهُ الى الحاكم الشرعيّ بل يكون وارثاً مع المسيح بالراحة والسلامة . وان قلت فلمن اخلّف اموالي واملاكي . اجبتك

انهُ ينبغي لك ان تخلّفها لهُ ولا تتركها لغيرهِ . فان قلت وكيف ينتفع بها وهو قد صار عظامًا رميمة . قلت بان تتصدّق بها عنهُ على الفقراءِ والايتام والارامل وتقدّم بها عنهُ قرابين ليجدها هناك سليمةً عادمة الفساد والزوال . فان كان بعض الامم كما يُقال يحرقون مع الميت جميع ذخائرهِ ومقتنياتهِ فلماذا لا تُرسِل انت مع ابنك مقتنياتهِ سالمةً من الحريق لينتفع بها هناك . لانهُ ان كان قد ذهب من الدنيا وعليهِ اثرٌ من دنس الخطيَّة سَلَخَتْ عنهُ ذلك الاثر . وان كان نقيًا كان لهُ بها زيادةٌ في الشرف والسرور امام خالقهِ . فان قلت اني كنت اريد ان يعيش ايضًا لاتمتَّع برؤيتهِ ايضًا . قلت اذا اردت ان تتمتَّع بمنظرهِ فعش كعيشتهِ الاولى حين كان صغيرًا فانك ستتقبلهُ وتجتمعان معًا في النعيم . فان فكرت في انهُ لا يعود الى هنا فلماذا لا تفكر في انك سائرٌ اليهِ عن قليلٍ ويكون لك الحظُّ الاوفر في ذلك الحين ولا تكون مفارقًا لهُ ابدًا . وان كان قد خرج من الدنيا خاطئًا فقد توقفت مساعي خطاياهُ عن الزيادة . فان الله لو عرف انهُ ينتقل عن حال الخطيَّة لما بادر اليهِ مختطفًا بسرعةٍ قبل الشروع في التوبة واجتناب المآثم والاقلاع عنها . وان كان قد خرج من الدنيا بارًّا صالحًا فقد حُفِظ عليهِ برُّهُ وصلاحهُ وتخلَّص من وهدة الآفات والبلايا . اخبرني ياهذا ما الذي تراهُ في الدنيا من السعادة حتى تحزن على النازحين عنها . ألست دائمًا ترى اضدادك محيطين بك من كل جانب وانت متقلبٌ بين انواع الآفات واصناف المصائب . تارةً تطلب ما لا تجدهُ . وتارةً تفقد الموجودات التي تهواها . وتارةً تشكو ثقل الامراض

والاوجاع . وتارةً قلّة المكاسب . وتارةً تتوجع لتوجع الاقرباء والاحباب . وتارةً تشكو مشقّة الكبر . وتارةً تشتهي الموت لشدّة المضايق والآلام . وتارةً تنزعج حواسك لوقوع بعض المصائب كالغلاء واحتباس المطر وقيام الاعداء وتواتر الحروب والفتن . فلماذا لا نصبر على فراق الاحباب ونسرُّ بانتقالهم من دار الشقاء والهموم ونحسن ظنّنا بالله في الاجتماع بهم هناك . واذا رايتِ ايتها الامراة ان الذي اعطاكِ الاولاد هو الذي اخذهم اليهِ ليعطيهم اكثر مما عندكِ وانكِ سائرةٌ الى الاجتماع بهم عن قليلٍ فكيف تندبين وتحزنين . فان قلتِ اني ارملةٌ وحيدة وليس لي سندٌ ولا معين . قلت وكيف تقولين هذا وقد رجع امركِ الى ربكِ ابي الايتام وقاضي الارامل . الا تسمعين قول بولس الرسول ان الارملة رجآؤها الله وحدهُ . ولو علمتِ ما هي حقيقة العيشة الحاضرة وما هي الحيوة المنتظرة لاعرضتِ عن هذه ورغبتِ في المسارعة الى تلك فسبيلنا ان نُنهِض عقولنا ونُطهِّر سرائرنا ونجتهد في الانتقال الى ملكوت ربنا لهُ المجد الى الابد امين

العظة الخامسة

مرتّبة على قول السيد المسيح انكم لم تطلبوني لنظركم الآيات بل لاكلكم الخبز وهي تتضمّن الحثّ على الصدقة ورحمة الفقرآء والنهي عن التحلّي بالخواتم الذهبيّة ولبس الثياب الفاخرة ونحو ذلك

انهُ يجب علينا ان نقدِّم الاهتمام بالامور الروحانية ثم بعد ذلك نطلب الامور الجسدية الضروريّة . وان نلازم المسيح لا لنلتمس الهيوليات

الارضية كاليهود بل لنطلب نوال الملكوت السماويّ . لانهُ اذا كان قد قال لاولئك مبكّتاً لهم وان كانت مواعيدهم جسديَّة . انكم لم تطلبوني لنظركم الآيات بل لاكلكم الخبز فماذا عساهُ ان يقول للمؤمنين . واذا كان الطالبون للطعام الفاني تركوا المدن والقرى والصنائع والمنازل وتبعوهُ في القفار والجبال فكم ضعفاً يجب علينا ان نبتعد عن الامور الارضية الفانية لنحصل على السماويَّة الباقية وبعد ذلك نهتمُّ بالضروريَّات الوقتيَّة . فان قلت فاذا كان للانسان مالٌ ومقتنياتٌ كثيرة وحقولٌ ومزارع وغير ذلك وليس لهُ صناعة يعيش منها افلا يجب ان يهتمَّ بتدبير امور مقتنياتهِ كما ينبغي . اقول يجب ان يكون شبيهاً بايوب الصديق الذي كان يستعمل اموالهُ ويصرفها كما ينبغي لامغتبطاً بوجودها ولاحزيناً على فقدها . واذا كان ذو المال يعلم ان في العالم صنائع كثيرة وهو لا يُحسِن ان يكون صانعاً للذهب ولا الفضَّة ولا للنحاس ولا للحديد ولا نسَّاجاً ولا نجَّاراً ولا غير ذلك من امثال هذه الصنائع فانا الان افيدهُ صناعةً هي افضل من هذه الصنائع كلها . فان قلت وما هي هذه الصناعة العظيمة . اقول هي ان يبذل اموالهُ لعَوَز المحتاجين ويقرض المعسرين ويرحم البائسين ويتحنَّن على المساكين فانهُ بهذه الصناعة يفوق جميع ارباب الصناعات لان اولئك حوانيتهم في الارض وهو يكون حانوتهُ في السماء . اولئك يقتدون بالبشر في صناعتهم وهذا يقتدي بخالقهِ في اعمالهِ . اولئك يحتاجون الى آلاتٍ من نحاس وحديد وخشب وغير ذلك لاعمال صنائعهم وهذا يستغني عن جميع الآلات . اولئك يحتاجون

الى زمانٍ يتعلمون فيهِ والى اجرة للمعلمين وهذا لايحتاج الى زمانٍ ولا اجرة.
اولئك غاية اعمالهم الفساد والهلاك وغاية هذا خلود الخيرات السماويَّة
والتمتُّع بالنعم الابدية . فاذا كان شرف هذه الصناعة هكذا على الصناعات
الضرورية لقيام الحيوة فما قولك في الصنائع الاخرى المستعملة للمترفهين
والمتنعّمين والمنهمكين في الاسراف كالذين يصبغون الحلل الملونة والثياب
المنقوشة والذين يصوّرون الحيطان وينقشون السقوف والذين يصنعون
الخفاف بالنقوش المزخرفة ويعملون اواني الشراب وآلات اللهو
والطرب وامثال ذلك . فتلك لاينبغي ان تسمَّى صناعات بل تُسمَّى
وسائط للفساد والتورُّط في التيه والتجبُّر . والذين يستعملونها لايحتسبونها
من الخطايا مع انها تسبّب آثاماً كثيرة . واذا كان بولس الرسول
ينهى النسآء ان لاتكون زينتهنَّ بضفائر الشعر ولا بالمعادن الثمينة
ولا بحِلَى الذهب والفضَّة ولا بالثياب الفاخرة بل ان تكن زينتهنَّ بخشية
الله كما كانت النسآء الطاهرات في القديم فماذا عساهُ ان يقول للرجال
وماذا يقول لك ايها اللابس الثياب المزخرفة بالنقوش المختلفة الالوان
والاشكال المتختّم بخواتم الذهب المتخذ الاسرَّة العالية والمفارش الحريرية
الموشَّاة والبيوت المزيَّنة حيطانها بالنقوش وصُوَر الحيوانات والطيور
المصنوعة للزينة والافتخار . واذا كان الرجال لايأنفون من التشبُّه
بالنسآء في الزخرفة والبهرجة فاولادهم ماذا عسى ان يصنعوا . ولعلَّهم اذا
تمادَى الزمان ولبسوا بعض حِلَى النسآء لاتنكر عليهم آباؤهم . واذا كنت
ياهذا الى الآن مغرماً بالوان الازهار ونقوش الحلل واستماع الملاهي

المطربة فمتى تصير رصيناً مهذباً . ومتى تطلب زينة الباقيات . ومتى تشتاق الى نعيم الملكوت . واذا كانت عقولنا الى الآن منحطَّة نحو هذه الخسائس فكيف نضجر من تأديب ربنا اذا ايقظنا بالآداب اليسيرة كالامراض والاعراض وضيق الحال وقيام الظالمين . وكيف لانكون مستحقين اشدَّ العقوبات ونحن ننظر اخوة المسيح مطروحين في زوايا الشوارع وهم عُراةٌ جياع عطاش حزانى ونحن ننفق اموالنا في مثل هذه الخرافات الباطلة فنتنعَّم بنظرها ونجود بالعطايا على المطربين والمضحكين واصحاب الهزل والخلاعة ونمنعها عن الفقرآء المستحقين الاسعاف . واذا كنا الى الان نُوجَد كالخنازير التي تطلب اقذار الارض ومزابلها فمتى نطلب طهارة السمآء ونعيمها . ومتى نتفرَّس في حسن نظام صُوَر المُبدَعات ونُسبّح مبدعها . واذا تعجبنا من اشكال المصنوعات العجيبة من الحجارة والاخشاب وغيرها فلماذا لا نتعجب من ابداع الخلائق وترتيب الافلاك واشكال الكواكب ونظام الموجودات واخراج الارض وما فيها من العدم الى الوجود ونُسبّح خالقها الحكيم القادر . واذا كنَّا الى الآن نتخذ مثل هذه الثياب الفاخرة ونمدح اللابسين لها والمقتدرين عليها ونزدري بالمعسرين والعاجزين عن اتخاذ مثلها فكيف لا نُحسَب مع الجهلآء الضالين والمضلّين لاننا نجعل الاحداث من الرجال والنسآء يتهوَّرون في ما لايليق لاجل تحصيل ما يقتنون بهِ هذه الزخارف الباطلة . وفضلاً عن ذلك يتذلَّلون لمن يرجون منهم هذا الامداد ويصيرون عندهم بمنزلة العبيد والخدم . واذا وُجِدنا سبباً لفساد المؤمنين هكذا فكم عقوبةً يعدُّها

الله الذين يتعاطون هذه الاسباب . واذا كان بعض الرجال يجهدون انفسهم بتعليم بعض الحيوانات وتاديبها كالذين يعلمون اولاد الحمير والكلاب والخيل والطيور . ويكلّفون الحيوان الغير الناطق ان يتشبه بالناطق كتعليم الافيال السجود للملك والنسانيس الرقص على اشكالٍ مختلفة والطيور النطق باللغات فكيف لا نعتني نحن بتعليم المؤمنين حقائق الديانة والعبادة وحسن السيرة المرضية لله . واذا كنّا نعتني بتنظيف ثيابنا واصلاح منازلنا فكيف نترك انفسنا ملطَّخة بالادناس وبعيدة عن مواطن السعادة . وكيف لا نعلم ان النفوس المهملة من الفضائل كالاراضي المهملة من الزراعة . بحيث تكون جديرةً ان ينبت فيها الشوك من هنا والحسك من هنا . وتكون مكامن للوحوش والافاعي ومراتع للشياطين . فسبيلنا ان نبتعد عن الزائلات ونمتنع من التنازل الى الشهوات ونتيقظ لعمل الصالحات ونستعدَّ لمواعيد الخيرات لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد امين

العظة السادسة

مرتّبة على الفصل المتضمّن حضور الجُباة الى بطرس لطلب الغرم . وهي تشتمل على ذمّ السكر والتنعُّم وما اشبه ذلك

ان سيدنا لهُ المجد اعطى ما لا يجب عليهِ وبذلهُ بسهولةٍ ومن غير ممانعة ليعلّمنا العمل بمثل ذلك . فاذا كان قد قبل تكليفاتٍ جسديَّة ليفعل مثلهُ

المؤمنون فلماذا لا نسارع الى الاقتداء بهِ مسرورين فنصوم صوماً نقياً كما صام ونصلّي بعقولنا ونرحم بقلوبنا ونسالم ظالمينا ونقوم بما يجب علينا من الغرم غير متضجرين ولا متظلمين لتيقُّننا جميل المجازاة . فان قلت اني لا استطيع ان اصوم دائماً لضعف الكبر او لكثرة توارد الامراض والعلل قلت ان هذه الموانع التي منعتك عن الصوم لا تمنعك عن ان تكون غير متنعم ولا مسرف ولا كاذب ولا نمَّام ولا حاسد ولا شَرِه ولاسكّير ولا غير ذلك من هذه الافعال لان الامتناع عن هذه الامور وان كان ليس صوماً في الحقيقة هو غير بعيدٍ عن مضمونهِ . ولا شيء من اعمال الناس يسرُّ الشياطين مثل التنعُّم والسكر لان منهما تنبعث جميع الشرور وتشتدُّ صرامة الغاصبين لان المنهمكين فيهما يسقطون عن رتبة البشريَّة ويشبهون الحيوانات الغير الناطقة . فان قلت كيف تُشبَّه الانسان بالبهائم اجبتك ان هولاء وان كانوا يختلفون بالصُوَر يتشابهون في الافعال . اذ السكر والنهم يجعلان الانسان يبحث في نجاسات الارض كالخنازير . وتارةً يدمدم غضباً كالسباع . وتارةً يصهل على النساء والغلمان كالخيل . وتارةً يخطف كالذئاب . وتارةً يمكر كالثعالب . وتارةً يهتك سترهُ ويمزّق ثيابهُ وتارةً يُلقِي نفسهُ في المهاوي كالمجانين . وانني اخجل ان اذكر كل واحدٍ من انواع القبائح والفضائح الناتجة عن السكر وما يجري على الرجال والنساء من جرائمهِ . ومثل هولاء يهجّنون دين النصرانية وينجسون طهارة المعمودية ويخمدون حرارة الروح المطّهرة لذواتهم . ويحركون الآخرين للاستهزاء بالناس . وينبهون اخرين على السبّ والشتيمة .

ويلعنون الخمر تارةً والذين يشربونها اخرى ويقولون لا كانت الخمرة ولا الذين يشربونها . أَفرأَيت كيف انك بسبب افعالك جررت اللعنة على الخير وجلبت الهوان على ما خلقهُ الله لمنافع البشر . ولعلك تقول في جميع ما خلق الله هكذا اذا استعملهُ المجرمون . فتلعن الحديد بسبب القاتلين والمَرَدَة . وتلعن الليل بسبب اللصوص والخَطَفة . وتلعن النساءَ والرجال لاجل ارتكاب الزنا والفجور . ولعمري اني لا اريد صدور هذه النقائص منكم لان الله خلق الخمر ليفرّح قلب الانسان كما قال الكتاب . والسكيرون يُشنِّعون بهجتها لانهُ ايُّ فرحٍ لك حينما تكون غائب العقل ناقص الحظ شاردًا عن طريق الادب قد استولى عليك دوار الراس وظلمة البصر واحتجت الى من يشدُّ راسك بالعصائب كالمحمومين والى من يرشدك الى الطريق كالعميان والى من يحرسك من المخاوف كالصبيان . أَفرأَيت كم من الخبائث التي تستكره الآذان سماعها يجلبها السكر على صاحبهِ . ولست اقول هذا موجهًا خطابي اليكم كأَنَّ جميعكم يشربون ويسكرون . معاذ الله من ذلك بل قاصدًا ان الذين لايسكرون ينبهون الذين يسكرون لان من عادة الطبيب الحاذق ان يترك الكلام مع المريض ويخاطب الذين حولهُ لا لانهم مشاركون لهُ في المرض بل ليذكّروهُ الطبيب في الاوقات المحتاج اليها . وانا اخاطبكم يا ايها الصُحاة هكذا لتذكِّروا السكيرين بقول بولس الرسول حيث يقول يُحجَب ملكوت السموات عن نظر السكيرين اليهِ . وحيث يقول ايضًا لاتضلُّوا ياهولاءِ فانهُ لا الزُناة ولا الفَسَقة ولا السكّيرون يدخلون ملكوت السموات .

نسبيلنا ان ننهض افكارنا الساقطة ونبتعد عمَّا يهلك انفسنا ونسارع الى ما يقرّبنا الى ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد امين

العظة السابعة

مرتبة على الفصل المتضمن اخراج الشيطان من الذي كان يأوي الى المقابر وهي تشتمل على ذمّ الزنا وحبّ المال وما اشبه ذلك

ينبغي لنا ان نروّض انفسنا ونقهر شهواتنا ونحافظ على الاقتداء باعمال ربنا لنقدر على تسكين رياح التجارب ومصادمة عواصف المضادّين . فاننا نرى المجانين الذين يأوون الى مقابر الاموات لا يضبطهم عن الذهاب الى هناك لا القيود ولا السلاسل ولا التهديد ولا المواعظ ولا التنبيهات . وكذلك نرى الرجل الزاني يشبه هذا المجنون من جهاتٍ كثيرة . لكن المجنون يُرحَم ويُعذَر والزاني يُزجَر ويُهان . لانك تراهُ يطوف دائمًا كالمجنون عريانًا من حلَّة الشهامة مجرَّدًا من شرف الديانة مقيَّدًا بقيود الشهوات مجذوبًا بسلاسل الهوى مكبَّلاً باغلال الشياطين لا تضبطهُ عن مقابر الشهوات آلام العذاب ولا الترهيبات ولا المواعظ ولا التنبيهات . وكذلك المجنون بحب الاموال تراهُ لا يصدهُ عن تحصيلها لا المخاوف ولا الاخطار ولا اهوال البحر ولا سطوة اللصوص ولا قُطَّاع الطرق . ولعمري ان شيطان مجنون المقابر ولو كان مخالفًا للبشر قد وُجِد مطيعًا للمسيح . واما هذان الرجلان فهما عاصيان لهُ لان ذلك يسمعهُ دائمًا

يقول لا تزنِ وهذا يسمعهُ قائلاً لا نقدر ان تعبد الله والمال وهما مع ذلك لا يزالان خائضَين في لجج مقاصدهما غير مطيعين لاوامر خالقهما . وانني اقول دائمًا ان السكنى مع المجانين بين المقابر افضل من السكنى مع هؤلآء لان الزناة يغضبون الله بنجاستهم ويفسدون نظام التزويج ويخربون المنازل العامرة ويفرقون بين النسآء والرجال ويُشوّشون الانساب بالتناسل الحرام ويصيرون علةً لفساد البيوت . وكذلك الذين يحبون الفضة فانهم يظلمون ويغتصبون ويخاصمون ويماحكون ويحلفون ويستحلفون ويختلسون ويطمعون ولا يرحمون ولا يترفَّقون بالضعفآء . أفرأَيت كيف يجب الهرب من هؤلآء اكثر من المجانين فان اولئك يرحمهم الناظرون وهؤلآء يحل عليهم الغضب من الله وعلى مساكنهم لاجل جرائمِ آثامهم كما حل على اهل الطوفان ومدائن سدوم وعامورة والالوف من بني اسرائيل وامثالهم . ولو فرضنا انهُ يوجد انسانٌ جسمهُ كاجسام الحيّات وعيناهُ تقدحان الشرار ويداهُ كايدي السباع وجوفهُ كالاتون وراسهُ مركبٌ من رؤوس الكلاب والذئاب واسنانهُ كالحراب وبقيّة اعضائهِ مشابهة لهذه المذكورات في السماجة واختلاف النظام وهو مع ذلك مستعدٌّ لقتل الانفس وهلاك المقاتلين لهُ لقلت ان هيئة الزناة ومحبي الاموال اشنع من ذلك كثيرًا لان محبَّ الاموال ينظر متهافتًا على سلب مال غيرهِ كالنار ويجذب بقوتهِ كالسباع ويطلب الزيادة كالاتون ويسارع الى جمع الحطام كالكلاب ولا يشبع كالذئاب . وهنالك خبائث كثيرة لا تحصى حتى ان حبَّ المال يعمي قلوب اهلهِ وبصائرهم ويُشوّش عقولهم فيتزوَّجون

بالزواني اللواتي يحتوين الاموال والحُليّ والثياب الثمينة ويتركون العفيفات ذوات النسب الطاهر اذ ليس لهنّ مثل ذلك . وما احسن قول بولس الرسول واما الذين يحبون الثروة والغنى فانهم يقعون في بلايا فخاخ كثيرة ضارّين للنفوس بالفساد والهلاك . وكذلك قولهُ لان اصل الشرور كلها حبُّ المال فضلُّوا عن الحق واجتذبوا لانفسهم خطايا كثيرة . فسبيلنا ان نهرب من الزنا وحبّ الاكثار من المال ونتأمَّل قول الرسول الالهي في شان اولئك المكثرين واما نحن فينبغي لنا ان نقنع بالمطعم والمشرب وكسوة الجسد لاننا لم ندخل الدنيا بشيءٍ وقد علمنا اننا لانخرج منها ايضاً بشيءٍ وننهض من غفلتنا ونسارع الى ما فيهِ خلاصنا لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة

مرتّبة على الفصل المتضمن انفرادهُ في الجبل للصلوة . وهي تشتمل على الوعظ مطلقًا وعلى ان السبب في حدوث الامور المحزنة لنا هو آثامنا في الغالب

ان سيدنا لهُ المجد قد علمنا بانفرادهِ في الجبل في اوقات الصلوات ان نكون هادئين ساكنين في اوقات صلواتنا وان تكون تلاوتنا لالفاظ الصلوات بغير قلقٍ ولاطياشة كمن يكون منفردًا في الجبل . وان يكون اعتمادنا في الشكر والتسبيح والابتهال على رزانة النفس لا على تلاوة الالفاظ فقط . وان يكون وقوفنا قدام الله بالخوف والورع والوقار . وان يكون

مطلوبنا نعيم الملكوت الباقي لاتحصيل نعيم الارض الفاني . ويا للعجب من الذين يقفون قدام سلاطين العالم والوزرآء وذوي الشوكة ثابتين كالصخر وصامتين كالجوامد متأدّبين خائفين ناظرين الى جهة ذلك الشخص المنتصبين لديهِ بالوقار ممتثلين ما يصدر من امرهِ ونهيهِ مبادرين الى العمل بهما صامتين متحفظين من الكلام في ما لا ينبغي . ولاسيما اذا حضر الذين يمدحون الملوك ويأخذون في قرآءة قصائدهم . فانهُ اذا سُمع احدٌ يضحك في المجلس او يشتغل بالحديث او لا يصغي الى ما يسمعهُ كما ينبغي فلا بُدَّ ان يُهان و يُطرد وربما يؤمَر بضربهِ ايضاً . فاذا كانت هذه المهابة توجد في مجلس الملوك المائتين فالذين يدخلون بيعة الله الحيّ الابديّ ويقفون امام خالق السلاطين ويسمعون الله يتكلم والانبيآء يُسبّحون والرسل يبشّرون والملائكة يُمجّدون وهم مع ذلك غافلون غير منتبهين لما يسمعون بل يتشاغلون باحاديث العالم فيوردون اخبار المتاجر والزراعات والمعاملات والحوادث السياسيَّة والحربية وغير ذلك كم وكم يستحقون من الاهانة والعقاب . واذا وجدناهم هكذا متغافلين غير متأدّبين وهم في بيعة الله وسفينة الخلاص وميناء السلامة فكيف اذا خرجوا الى الاسواق والشوارع وخاضوا في لجج البحار العالمية وتلاطمت عليهم امواج الحوادث وعصفت رياح التجارب وتراكمت وساوس الشياطين ورمتهم بسهام الشهوات وحراب اللذات البدنيَّة كالنَهَم والسكر والفسق فماذا يكون حالهم . واذا كانوا مغلوبين هكذا في المدينة المُحصَّنة الابراج المنيعة والقلاع الشامخة والعساكر والذخائر

والمهمَّات فكيف يكون حالهم في بلاد العدوّ . واذا كان هذا عملهم في الكنيسة وهذه افعالهم بعد الخروج منها فكيف يضجرون من تاديب الله ويتسخَّطون من حلول الامراض والبلايا والمظالم . وكيف يستعظمون وقوع المصائب ويتألَّمون من مصادمتها لهم ولا يتذكَّرون الاسباب الموجبة لوقوعها عليهم . واذا علمنا ان ما ينزل بنا من الاضرار انما هو من تأديب ربنا قصاصاً عن خطايانا فكيف لانتجنَّب المعاصي ونبتعد عنها . ويا للعجب من كوننا دائمًا نسمع ربنا مخاطبًا لنا وصارخًا بنا قائلًا كما تريدون ان يفعل الناس بكم افعلوا انتم بهم ولا نبادر اليهِ مسرعين . ومن هنا نعلم اننا نحن المخطئون الى ذواتنا لاننا لو لم نكن عُصاةً ظالمين لعبيد ربنا لم يتسلَّط علينا الظالمون والخاطفون والغاصبون . واسمع يا هذا يعقوب الرسول حيث يقول لا يقولنَّ احدٌ اذا ابتُلي ان الله ابتلاني لان الله لا يجرب بالشرّ ولا يبتلي احدًا بل كل انسانٍ انما يُبتلَى بشهوتهِ وبها يُخدَع ويُقاد . وكتاب سفر القضاة يخبر عن صاحب باراق انهُ لما هرب من الطالبين لهُ وادركوهُ وقطعوا اباهيم يديه ورجليهِ اعترف عند ذلك بعدل الله وقال كما صنعتُ صنع الله بي لاني ظفرت بسبعين ملكًا وقطعت اباهيم ايديهم وارجلهم وتركتهم يلقطون فضلات موائدي ولهذا صنع الله بي هكذا . وسليمان الحكيم يقول عن بني اسرائيل انهم حينما عبدوا المواشي البكم والحيوانات الحقيرة اعني الحيَّات وامثالها ارسل الله عليهم الحيَّات الصمَّ نقمةً ليعلموا ان الشيءَ الذي يخطئ بهِ الانسان يحلُّ عليهِ العذاب بامثالهِ . فسبيلنا ان نسارع مقلعين عن خطايانا وتائبين

عن ذنوبنا لينظر الينا ويرحمنا ويتحنن علينا ربنا الذي لهُ المجد الى الابد امين

العظة التاسعة

مرتبة على قولهِ لهم سمعٌ ولا يسمعون ونظرٌ ولا يبصرون . وهي تتضمن توبيخ محبي الغنى والاكثار ومدح الفقرآء والبائسين

ينبغي لنا ان نُطهِر ذواتنا وننبه عقولنا ونبادر الى العمل بمشيئة ربنا لئلاَّ نشابه القوم الذين لهم اعينٌ ولا يبصرون ولهم آذانٌ ولا يسمعون ولهم قلوبٌ ولا يفهمون. ولنزرع الاقوال الصالحة في اراضي العقول الجيدة الخالية من الاشواك والبعيدة عن قوارع الطرق لناتي بالثمار الزكية عوضاً عن الواحد مائة . اذا كان مراد ربنا ان نترك التمسك بالفانيات ونجتهد في تحصيل الباقيات فما بالك يا هذا الى الان تجمع ذهباً وتجتهد ان تكثر مقتنياتك . وحتى متى تستكثر من الشهود بانك عبدٌ للمال وخادم للشياطين والى متى تجتهد ان تصنع لنفسك سجناً حريزاً وتُعِدُّ فيهِ الاغلال والسلاسل وآلات العذاب. افرض ايها المُغرَم بكثرة الثروة انك قد حويت كل المعادن وجميع خزائن الملوك فهل تحصل على اكثر من ملءِ جوفك وستر عورتك ويكون الفاضل عندك من الاموال بمنزلة الحجارة او التراب . واذا كنت لا تسعف الضعيف ولا ترحم الفقير ولا تفرج المكروب وان كنت تجمع كثيراً وتصرف قليلاً فما بالك لا تنظر الى

اجتهادك الباطل ولا تفتكر في التعب الواقع عليك والراحة المبتعدة عنك .
لانك الان تشبه الكلب الكَلِب والخنزير الجائع اذ تمشي مهرولاً وتجري
سابقًا وتُحدِّق الى الذين عن يمينك و يسارك كالمجانين مع ما يضاف الى
ذلك من الاتعاب والمخاصمات ومكابدة الاسفار واهوال البحر وغير ذلك.
فتريد ان تُحزِن الناس باخذ اموالهم والناس يريدون ان تكون حزينًا
وخائبًا . لان الغنيّ البخيل الشحيح بما عندهُ يبغضهُ بنوهُ وزوجتهُ وجارهُ
وقريبهُ ويريدون موتهُ لينتفعوا بميراثهِ ويشتهون ورود المصائب عليهِ .
وليس هولاء فقط هكذا بل النار ايضًا والتراب والريح وهوام الارض
والحشرات . ويكون مع ذلك بعيدًا عن رحمة الله وقريبًا من الشياطين
مهيّأً لعذاب الجحيم . ولعمري ان مكاره حب المال كثيرة جدًّا لا يُستَطاع
احصاؤها . فان قلتَ ان الغنيّ يسرُّ ويلتذُّ بجمع المال وضبطهِ لانهُ يعلم
ان لهُ كنوزًا وخزائن ويرى غيرهُ فقيرًا خاليًا منها قلتُ هذا مرضٌ عقليٌّ
شبيهٌ بامراض الاجسام . لان المريض بحمّى الغبّ يرى الالوان البيض
صفرًا ويجد الحلو مرًّا كريهًا وليس ذلك كذلك . فان قلت ان الاغنياء
يلتذُّون باموالهم لانهم يبلغون بها شهواتهم ومقاصدهم قلت ان هولاء
يصيرون ذواتهم عبيدًا لساداتٍ كثيرين لانهم يقصرون انفسهم على خدمة
اللذات الشهوانية ويهتمون بخدمة اصحاب الخلاعة ويغوصون في النَهَم
والشراهة وسماع الغناء والهزل وما اشبه ذلك . فان الاموال طالما جعلت
الاغنياء الجهال اشدَّ جهلاً وفسقًا من الفقراء لانهُ كلما كثرت نعمة
الجاهلين ازدادت قبائحهم . وانني اعجب من الذين يثلبون الفقراء

ويستحقرون منازل المقلّين لانها عارية من آلات الذهب والفضة تُستعمَل فيها الاواني الخزفيَّة. فاقول لهذا المزدري اخبرني ما هو الفرق بين ان تصبَّ على يدك الماءَ بابريق من فضة او اناءٍ من خزف وبين ان تغسل يدك في طستٍ من الفضة او في قصعةٍ من النحاس او الفخَّار. وهل يعتني في التطلُّع الى الملوَّنات والمنقوشات والاواني المزخرفة اللامعة غير الصبيان والضعفاء العقول الذين يضعون الستور المنقوشة على الحيطان ويتخذون تماثيل الحيوانات والطيور من الخشب او غيرهِ ويُلبِسونها الثياب المبهرجة. وكذلك الذين يُحضِرون الكراسي والأَسِرَّة والرواقص والمغنّين ويضحكون على انفسهم ويُضحِكون غيرهم عليهم. فانظر كيف منازل الاغنياء تشبه ملاعب الراقصين واهل الخلاعة ومنازل الفقراء تشبه منازل الرسل القديسين. واذا اردت يا هذا ان تقف على برهان ذلك فانظر حين دخل المسيح الى بيت زكَّا كيف لم يَقُل لهُ تمهَّل يا سيدي حتى أُهيئَ اواني الذهب واستعير ستور الديباج وانصب الكراسي والاسرَّة وأُعدَّ الوان الاطعمة الفاخرة وانواع الاشربة اللذيذة لانهُ يعلم ان جميع هذه الامور ليست من أَرَب المسيح وغير مطابقة لقصدهِ. ولذلك بادر الى الامور التي يطلبها سيدهُ ويسرُّ بها فاعدَّ الامور اللائقة بجلالتهِ التي يطلبها منهُ وبناءً على ذلك قال اني اعطي المساكين نصف مالي ومن اغتصبت منهُ شيئًا رددت عليهِ اربعة اضعافٍ. فان اردت يا هذا ان تُضِيف المسيح فاصنع لهُ وليمةً خالية من جميع هذه الزخارف وادعُ الفقراءَ والمساكين والذين لا ترجو المكافأَة منهم. وان اردت ان تكون غنيًّا صالحًا فاتبع آثار

الاغنياء الابرار كابرهيم وايوب وكرنيليوس وامثالهم فان هولآء كانوا يحصِّلون الاموال من الوجوه المحلَّلة وينفقونها في مصالح الفقرآء . فسبيلنا ان نهرب من العالميَّات ونجتهد في تحصيل السمويَّات لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة العاشرة

مرتَّبة على قولهِ تاملوا الزهر كيف ينمو . وهي تتضمن الحثَّ على طلب السعادة الباقية والاعراض عن الشهوات الفانية.

اذا كان زهر الحقل الذي ليس ضروريَّ الوجود لقيام حيوة البشر وهو لا ياكل ولا يشرب ولا يلبس كما قال الكتاب يهتمُّ الله بهِ هكذا لانهُ من مخلوقاتهِ فكيف يهمل الاهتمام بمصالح عبيدهِ . فما بالنا نجهد انفسنا ونُتعِب اجسامنا ونستعمل الريآء والظلم والاقسام الكاذبة في معاملاتنا لكي نحصّل الاشيآء التي نحتاج اليها ولماذا لانطلبها من ربنا لنُعطاها بايسر طلب ومن افضل الجهات . ويا للعجب كيف يبذل الناس الاجتهاد في تحصيل الامور السريعة الزوال ويفارقون الاولاد والعيال ويركبون البحار المخوفة والطرق المخطرة ويستسهلون ما ينالونهُ من ملاقاة الغاصبين والخاطفين واللصوص مع علمهم بان نهاية المطلوب وغاية المقصود هي تحصيل الحاجات الضروريَّة الفانية ولا يفعلون ذلك في طلب الذخائر الباقية . وكيف لانفكّر بعقولنا ونذكر اننا في

عالمنا هذا غرباءَ عن اوطاننا واننا في كل ساعةٍ على جناح السفر فكيف يسوغ الغريب العاقل ان يجمع ذخائرهُ وامواله الى بلادٍ غريبة مزمع ان يخرج منها بالضرورة عرياناً صفر اليدين . وكيف يحسن عندهُ ان يترك امواله ومقتنياتهِ للناس ويسافر الى بلدتهِ فقيراً محتاجاً الى القوت . وكيف لا يخجل اذا نظر المعارف والاصحاب والجيران مقبلين من بلاد غربتهم بالاموال والمتاجر والخير الجزيل وهو يأتي عارياً ذليلاً . وكيف لا يذوب خزياً اذا اقبل عليهم الملك والحُجّاب والجنود وتلقوهم بالوجوه الباسمة وقبلوا هداياهم وشكروا اتعابهم وكلّلوهم باكاليل الظفر واعطوهم التصرُّف في سعادة الابد وطُرِد هو خارجاً مع الشياطين لا يُنظَر في وجههِ ولا يُؤذَن لهُ في الوقوف امامهم . واذا كان احدنا اذا صنع وليمةً لبعض اصحابهِ يجتهد ان لا يكون مقصّراً في نظامها ويبذل الاموال ويكثّر الوان الاطعمة واصناف الاشربة والجوارش والحُلْوَيات ويصنّف الاواني الجميلة ويستعير بعض ما يحتاج اليهِ لئلاَّ يراهُ اضيافهُ بعين النقص لتقصيرهِ عن ولائمهم التي يصنعونها فيعتريهِ الخجل . فكيف لا نفكر في الحضور مع المتكَّئين في وليمة الملك السمويّ حيث تجتمع الاقارب والاباعد والامم المختلفة واجواق الملئكة وطوائف البشر وننظر الى شرف المكثرين من الفضيلة وشقاوة العارين عنها . وسيدنا لهُ المجد يُنبّه افكارنا على اهتمامهِ بالاشياءَ التي لا نحتاج اليها لنعلم من ذلك شدَّة اهتمامهِ بنا واشفاقهِ علينا والتفاتهِ الى ما يعود الى صلاحنا . فانهُ يضرب لنا الامثال تارةً بزهر الحقل وتارةً بطيور السماءَ وامثال ذلك ثم يرفع

عقولنا الى طلب الباقيات ويامرنا ان نطلبها دائمًا ولانملَّ ليكون حصولها لنا بطريق الاستحقاق . وبعد الانعطاف اليهِ بضمائرنا يضرب لنا مَثَل الامرأَة المتردّدة الى قاضي الظلم والطالب من صديقهِ الخبزات ليلاً بالحاح والابن الشاطر المتلف اموال ابيهِ وغير ذلك حتى لاتنقطع آمالنا لانهُ تعالى يسرّهُ ان نطلب منهُ دائمًا ونتضرَّع اليهِ كلَّ حينٍ كما يفعل الاب الشفوق مع اعزّ الاولاد عندهُ . فان الانسان احيانًا يكون في يدهِ دينارٌ يريد ان يعطي ابنهُ اياهُ سريعًا ثم يمنعهُ برهةً يسيرة ليلتذَّ منهُ بالفاظ المطالبة ثم يعطيهِ اياهُ . ويفعل مع الولد العاصي كما يفعل مع العبيد العُصاة فانهُ اولاً يجذبهُ اليهِ فيُعرِض عنهُ ويطلبهُ فينثني هاربًا ويشير لهُ بالثمرات الشهيَّة فلا يلتفت اليها ويتوعَّدهُ بالقصاص الشديد فلا يبالي بتهديدهِ. فيهملهُ بعد ذلك ويرفضهُ كما يفعل السيّد مع عبيدهِ الذين يخلعون طاعتهُ ويفرُّون من منزلهِ . فانهُ يجتذبهم اولاً بالاحسان وثانيًا بالتهديد وثالثًا بالقيود ورابعًا بالعقاب والتأديب . واذا وجدهم بعد ذلك لم يزالوا مصرّين على غيّهم يُهملهم ويبيعهم ثم لايذكرهم طول ايام حياتهِ . فسبيلنا ان نطلب دائمًا خير الهنا ونجتهد في اصلاح سيرتنا لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية عشرة

مرتَّبة على قولهِ تعالوا اليَّ ايها المتعبون وانا اريحكم احملوا نيري وتعلَّموا مني فاني وديعٌ ومتواضع القلب . وهي تتضمن مدح سيرة الرهبان وذمَّ المتمولين

ينبغي لنا ان نبادر الى وضع ثقل الاهتمام بالامور العالميَّة ونكون دائمًا ودعاءَ متواضعين حاملين نير ربنا ليعطينا نعيم الملكوت السماويّ . فان قلت يا هذا ان نيرهُ ثقيلٌ لانهُ فرض على التابعين لهُ ان يكفروا بانفسهم ويحبُّوا اعداءَهم ويباركوا لاعنيهم ويتركوا آباءَهم وامَّهاتهم وبنيهم واخوتهم ولذاتهم العالمية والاَّ فلا يستحقون ان يكونوا لهُ تابعين . فاقول انهُ ينبغي ان نفهم ان الخفَّة والثقل المحمولين على النفوس البشريَّة يتميَّز كل واحدٍ منهما عن الاخر بحسب غايتهِ في المجازاة لانهُ يجب ان نفهم المعاني الواردة في الانجيل على هذا المثال . انهُ كان رجلان في طاعة واحدٍ من الملوك وعملا لهُ عملاً ثقيلاً في يومٍ واحدٍ . ولما فرغا من العمل امر الملك ان يُراح احدهما ولا يعود الى العمل ابدًا بل يكون دائمًا في الراحة والسرور وان يعود الثاني الى العمل ولا يراح ابدًا . فان الاول يرى تعبهُ خفيفًا لانهُ يقول انني عملت يومًا واحدًا فنلت راحةً الى الابد . والثاني يراهُ ثقيلاً لانهُ رجع الى التعب ولم يجد لهُ راحة . وهكذا ينبغي ان نفهم حمل نير ربنا لانهُ وان كان يقتضي تعبًا زمانيًا يُعقِب راحةً ابدية وعلى هذا لا يكون ثقيلاً بل يكون سهلاً خفيفًا . ثم اقول ولماذا لا نقيس حمل نير ربنا باتعاب الدنيا وعنائها ليتبين لنا ايُّ الجانبين اخفُّ على الحاملين . فنفرض وجود رجلين

احدهما راهبٌ ناسك والاخر غنيٌّ مُوسِر. فان الراهب يهتمُّ بحاجة نفس واحدة من الطعام والشراب واللباس والمسكن وغير ذلك. وكل هذه الحاجات خفيفة سهلة الوجود على ايّ وجهٍ كان. وامَّا الغنيُّ فانهُ يحتاج في طلب اللذَّات الى العبيد والجوري والخَدَم الذين بعضهم يقوم على اصلاح الطعام. وبعضهم على نظام الشراب. وبعضهم على تنظيف المنازل. وبعضهم على اصلاح الأَسرَّة. ويتكبد نفقاتٍ جزيلة على هولآء فضلاً عن اهل بيتهِ ولاجل ذلك يلزمهُ الكدُّ في تحصيل الاموال ليقوم بهذه الزمرة. وربما تعرض عليهِ اوقاتٌ تمتنع فيها المكاسب وتقصر يدهُ فيتضايق وربما تحدث لهُ الامراض المزعجة حتى يرى حالتهُ تلك انكد الحالات واشدَّها مرارةً على النفس ويعدُّها اثقل من جميع المحمولات. فها قد تبين الان خفة ذلك الراهب وسهولة معاشهِ. ولهذا يقول سيدنا لهُ المجد تعالوا اليَّ ايها المُتعَبون والثقيلوا الاحمال وانا اريحكم. ومعنى قولهِ هذا هو انكم انما تتعبون هكذا لتنالوا الراحة لانفسكم. وليس عالمكم هذا عالم اللذات والراحة فكانكم تطلبون منهُ ما ليس فيهِ فتخسرون الامرين جميعاً. لكنكم اذا حملتم المصاعب قليلاً طاعةً لربكم وتعبتم زماناً يسيرًا فانكم تنالون اللذَّات مهيَّاةً كلها ومجرَّدةً عن الاتعاب والمضايق. فسبيلنا ان نُلقي عن اعناقنا ثقل الاهتمام بالامور الزائلة ونبادر الى حمل نير ربنا لننال الحيوة الهنيَّة في ملكوتهِ السمويّ

العظة الثانية عشرة

مرتّبة على قوله للتلاميذ الى متى اكون معكم وحتى متى احتملكم . وهي تتضمن الحثّ على الصدقة وانها هي اشرف الذخائر

اذا كان ربنا له المجد يُبكّت الذين سمعوا اقوالهُ ابتداءً هكذا اذ لم يمتلكوا قوة النفس وشدة العزم ويضمروا القدرة على اخراج الشياطين فماذا عساهُ ان يخاطب الذين يسمعونهُ دائمًا ولا يتشجعون . فما بالنا لا نسمع تاديب ربنا ونتخذ قوة العزم بالايمان وكمال الاعمال الصالحة ونختار اللذة الباقيات ونجتنب الامور المانعة من خلاصنا . وكيف لا نميز تصرفاتنا ونتمسَّك بالاعمال النافعة لنا ونحيد عن الاعمال المهلكة لنفوسنا ونتأهَّل لقبول هذه العطايا الصالحة لنقدر على اخراج الشياطين وانهاض الساقطين . واذا كنا نعلم ان الصنائع الموجودة في عالمنا هذا كالصياغة والحدادة والنجارة وغير ذلك تحتاج الى رجال يجدُّون في العمل والى آلاتٍ مختلفة كثيرة الاثمان فكيف لا نهتمُّ ونجتهد في ممارسة صناعةٍ قليلة الكُلَف والآلات كثيرة الفوائد مأمونة الغوائل محمودة العواقب لا يتلف مالها ولا يستحيل حالها . فان قلت وهل يوجَد في الصنائع صناعةٌ على هذه الصفة اقول نعم وهي الصدقة على المساكين . فان قلت كيف تسمّى الصدقة صناعة قلت ينبغي اولا ان ننظر في تعريف الصناعة فنقول ان الصناعة عمل يُكتسب العامل به فائدة لنفسه . فان قلت ان الصدقة لا تطابق هذا التعريف لان تلك تحصِّل الاموال وهذه تبدِّدها قلت قد ذكرنا

ان الصناعة تُكسِب فائدةً لصاحبها غير ان فائدة الصناعة وقتيَّة زائلة وفائدة الصدقة ابديَّة باقية . لان البنَّائين يصنعون منازل تأُول الى السقوط والخراب . والنسَّاج يصنعون ثيابًا تبلى وتتلاشى وهكذا بقيَّة الصنائع والمِهَن . واما هذه الصناعة الفاضلة فانها تبني قصورًا لا تُهدَم . وتنسج ثيابًا لا تبلى . وتذخر كنوزًا لا تفنى . وتنقل صاحبها من الارض الى السماء . وتحفظ امواله من اللصوص وقطاع الطريق . وتُشبِّه المخلوق بخالقهِ في التحنن على المساكين والرحمة للبائسين . وهي مع ذلك غنيَّة عن اتخاذ الآلات والحاجة الى الذين يصنعونها . فان قلت نعم انها لا تحتاج الى الآلات ولا الى الذين يصنعونها لكنها تحتاج الى الاموال وغيرها من لوازم المعيشة . فان بعض المساكين يحتاج الى المال وبعضهم الى الثياب وبعضهم الى المنازل وكيف يتيسَّر ذلك لكل احدٍ . قلت أَلَا تسمع قول ربنا لهُ المجد حيث نَدَب الى سقي شربة ماءٍ وضمن المجازاة عنها . أَوَما رايت كيف ذكر الارملة التي القت الفلسين في الخزانة وقال انها القت اكثر من الكل . وانما قال هذا ليعلمنا ان الصدقة لا يكون ربحها بحسب الكثرة فقط بل بحسب الوجود والنية ايضًا . ولهذا قال لان اولئك القوا من فضلات ما عندهم وهذه القت كل مالها . والمراد انهُ اذا كان لاحدنا مالٌ ولم يتصدق منهُ بشيءٍ فهذا لا يُعَدُّ انسانًا ولا حيوانًا بل يكون حظهُ مع الشياطين . واذا كان لهُ واعطى اقلَّ مما ينبغي فانهُ يكون ملومًا لانهُ لم ينظر النظر الواجب . وكيف لا يُعَدُّ عاجزًا وشقيًا من يعلم ان لهُ دارًا تزول ودارًا تدوم ولا ينقل ما في هذه الى تلك . واما الذين

ياخذون اكليل الغلبة ويفوزون بملك السماءَ فهم الذين يرحمون الناس
حسب طاقتهم وبما يفضل عن كفافهم وما تصل قدرتهم اليهِ في زمانهم .
فتارةً يرحمون بالاموال. وتارةً بالصلوات عن المتضايقين. وتارةً بارشاد
الضالين . وتارةً بزيارة المسجونين . وتارةً بتعزية الحزانى وما اشبه ذلك.
فمن مجموع اقوالنا الان يتبين ان الصدقة افضل الصنائع لانها عندما
تفسد جميع الصناعات وتضمحلُّ يشرق ضياؤها ويزهر جمالها ويكون
صاحبها اوجه من الفصحاءَ والبلغاءَ وارفع شانًا من الخطباءَ والادباءَ لان
الفصيح والاديب وامثالها كلما زادت علومهم وارتفعت منزلتهم انتصبت
لهم الحساد وتناولتهم السنة المناقشين . واما ارباب الصدقات فكلما كثر
رفدهم وتزايدت مراحمهم كثر المادحون لهم والمحدّثون بحسن صنيعهم .
والذين يتشبهون بسيرتهم يقفون ويظهرون افعالهم امام الناس
ويريدون المديح منهم ويلتمسون فوائد زمانية سريعة الزوال . واولئك
يظهر ضياءَ صدقاتهم امام منبر المسيح وياخذون اكاليل المجد وتاج البهاءَ.
وان اردت ان تعرف شرف الصدقة من وجهٍ اخر فاقول اننا لو سألنا
العلماءَ والجهلاءَ من الناس هل يرضون بانقراض وجود الادباءَ والبلغاءَ
والخطباءَ من الارض ام بانقراض وجود الرُحَماءَ والمتعطّفين على
الناس فلا بُدَّ انهم يختارون بقاءَ هولاءَ دون اولئك لان الله تعالى
غرس في الطبائع البشرية بل في الطبائع الحيوانية باسرها ايضًا الرافة
والرحمة لحفظ نظام عالم الكون من الفساد . وهذا نراهُ عيانًا ليس في
الناس فقط بل في الوحوش الضارية ايضًا كالسباع والذئاب وغيرها .

وفي الطيور كالحمام واليمام وغيرهما . فاننا نرى الاسد لا يزال راصدًا حتى يظفر بالفريسة فيحملها وياتي بها الى اشبالهِ ولعلهُ يكون في اكثر الاوقات جائعًا وتقودهُ الطبيعة الى ذلك . وهكذا الطيور فانها تطوف البيادر والبراري وتلتقط من بين الاشواك والهشيم وتملا حواصلها من الحبوب وتعود الى اعشاشها وتفرغ ما في حواصلها الى افواه افراخها . فتبيّن انهُ لو انقطعت الرحمة من الوجود لانقطع حسن نظام الموجودات . وهذا لا يُوجَد في غير الصدقة من الاعمال الاخرى . لانهُ ما هو الذي يكون افضل من جبر الكسير واطلاق الاسير وانهاض الساقطين واشباع الجياع ومعونة الضعفآء والعاجزين . ولذلك يجب علينا ان ناخذ انفسنا واولادنا واحبابنا ونقصد مواطن هذه الفضيلة ونتمسك بها ونتعلَّم آدابها ونتذكر دائمًا قول ربنا كونوا رُحمآء مثل ابيكم السمويّ . وقولهُ طوبى للرحمآء فانهم يُرحمون . وقول الرسول من يزرع بالشحّ فبالشحّ يحصد ومن يزرع بغزارةٍ فبغزارةٍ يحصد . وقولهُ ان مجازاة من لم يستعمل الرحمة تكون بغير رحمة . فسبيلنا ان نهرب من الشحّ والقساوة ونتسلَّح بسلاح الرحمة لكي نفوز بملكوت ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد امين

العظة الثالثة عشرة

مرتبة على انجيل الخاطية . وهي تتضمن تبكيت النساء على التزيّن بالحلى الذهبية وترك التجمّل بالاعمال الصالحة

أَلا تنظرينَ ايتها الامراة الى سيرة النساءِ اللواتي كنَّ في القديم وكيف كنَّ يجتهدْنَ في تحصيل زينة النفوس الخالدة لا في زينة الاجساد البالية حتى استحقَّت بعضهنَّ ان تمسَّ قدمي سيدنا يسوع لهُ المجد . لكنني اقول لكنَّ ايتها النساءُ الحاضرات ان فعلتنَّ جميع ما ينبغي ان تفعلنهُ برغبةٍ ونشاطٍ تنَلنَ اعظم مما نالتهُ تلك النساءُ المذكورات . لانكنَّ اذا اخذتنَّ الاسرار المقدسة باستحقاقٍ فقد وصلتنَّ الى اعظم من مراتبهنَّ . وليس هذا فقط يكون لكنَّ من الفرح بل ترَينَ السيد آتيًا في مجدهِ الذي لا يوصف وتسمعنَ الصوت البهج القائل تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملك المعدَّ لكم من قبل انشاءِ العالم . ثم اقول لكنَّ ايتها النساءُ اللابسات الحلَى الذهبيَّة انزعنَ الان حِلاكنَّ وتزيَّنَّ بحلى تلك المغبوطات . اذ لا فائدة لكِ ايتها الامراة في ان تلبسي ثيابًا فاخرة وتقلّدي عنقكِ جواهر نفيسة وتتخذي اسورة ليديك واقراطًا لاذنيكِ وزخارف اخر كثيرة تصنعينها لما لا تدعو اليهِ ضرورة المعيشة . فان قلتِ ان النفس تسرُّ بذلك وتبتهج قلتُ ان السؤال عن المنفعة اللازمة لهذه الزينة التي عوض ان تجدي نفعًا تجني ضررًا الانهُ لاشيءَ اشدُّ على النفس العاقلة من التشاغل بالاباطيل الفانية والاغتباط بها لان السرور بالزائلات تعبُّدٌ لها . واذا

كنا الى الان نختار الفانيات فمتى نكون رافضين لها وضاحكين على المتهافتين عليها الان المقيمين في السجون اذا كانوا ملتذّين بها فكيف يكرهون الاقامة فيها ويحتالون على الخروج منها . وهل يفعل ذلك الاّ اوباش الناس الاشقياء ومن لا بيت لهُ ولا منزل . واما الذين لهم بيوت مشيدة مزينة كما ينبغي ويرون انفسهم في السجون فانهم يبذلون اموالهم ويصانعون الولاة ليسرع خروجهم من هناك ورجوعهم الى منازلهم . وقد علمتم ان الدنيا سجن المؤمن فكيف يمكن للعاقل ان يلتذَّ في السجن الاَّ اذا اهمل ذاتهُ واخرب المنازل التي لهُ هناك . فاخبريني ايتها الامراة ما هي منفعة الحلَى هنا وانتِ مقيمة في سجن الدنيا . فان قلتِ اني احوز الكرامة من الناظرين لي قلت وهذه علةٌ لفسادٍ اخر يجذب الى الافتخار والعُجب وانكسار قلوب النسآء اللواتي لا يقدرنَ على هذه الملابس فان كثيراتٍ من النسآء يتشوَّقنَ الى مثل ذلك فيحزنَّ ويندبنَ سوءَ حظهنَّ ويتسخَّطنَ على ازواجهنَّ ويُشوِّشنَ نظام عيشتهنَّ ويصنعنَ مخاصماتٍ مع رجالهنَّ ويكلفنهم اجتلاب الاموال من غير وجوهها ويحملنهم على السرقة والمظالم. فان قلتِ اني عند الذهاب الى الكنيسة امرُّ في الاسواق فاريد ان اكون امام الناس بزي الجلالة والوقار . قلت هذا كان يقتضي ان ترفضيهِ ولا تستعمليهِ مطلقا لئلا تمتدَّ نحوك الابصار وتحدّق بكِ اعين الجهلآء والفاسقين وتفتح افواه كثيرين من الناس بالثلب والشتيمة . فتصيرين ملعبا للظنون الردية وتحصلينَ على الهوان عوض الكرامة وحينئذٍ تدخلينَ الكنيسة وتخرجينَ عوض الثواب باثمٍ كبيرٍ قد نشأ من

تسبيب الشتائم والشهوات التي مرَّ ذكرها وتكون الخسارة عوض الربح الذي كنتِ تطلبينهُ . ويا حبذا لو سمعتِ قول الله على لسان اشعيا النبي حيث يقول سيكشف الرب جمال بنات صهيون لانهنَّ يشمخنَ بانوفهنَّ ويثنينَ اعناقهنَّ ويغمزْنَ باعينهنَّ ويضربْنَ بارجلهنَّ ويسحبنَ ثيابهنَّ. فسيفضح الرب اشكالهنَّ وسيصرف مجد جمالهنَّ وضفائر شعورهنَّ واسورتهنَّ وخواتمهنَّ وخلاخيلهنَّ وثيابهنَّ ومُذهَباتهنَّ المرصعة باللؤلؤ . واجعل في اوساطهنَّ عوض المناطق حبالاً . وهذا لم يُقَل لاولئك وحدهنَّ بل لكل امراةٍ تتشبه بهنَّ . وبطرس الرسول يقول ولتكن زينتكنَّ ايتها النسآء لا بالثياب الفاخرة ولا بحلى الذهب والفضة بل بالزينة الطاهرة الخفية التي كانت تستعملها النسآء البارَّات في القديم . فانظري يا هذه كم كنتِ تُشبِعين بثمن هذه الملابس من بطون الجياع . وكم كنتِ تسترين بهِ من اجسام العراة . وكم كنتِ تطلقينَ من الماسورين وتفرجينَ من المتضايقين . لا ريب ان هذا افضل من وضع القرط في اذنكِ والعقد في عنقكِ وهلمَّ جرًّا . وان كنتِ قد اتخذتِ هذه الزينة للمديح والشرف فانزعيها عنكِ واصرفيها في مصالح المحتاجين وانظري كم ربوات من المدائح تنالينها من الله والناس . وكيف يتُناقَل شكركِ في الاخبار والاحاديث . وكيف تتشرفينَ وتزدادينَ مجدًا وجاهًا . ولو قارنتكِ من لبست كثيرا من الحلى الملوكية لكنتِ اجمل منها واشرف . ولكنكِ في هذه الحالة مستهدفة لكل هجوٍ وملامةٍ وقد تصيرينَ سببًا لاغتمام كثيرين لانهُ لو سقط درَّةٌ من عقدكِ على الارض في الكنيسة او خاتمٌ من يدكِ

فانظري كيف تشوّشين بيعة الله وكيف يغتمّ الناس الذين حولكِ وكم يُتهَم من النسآء الحاضرات معكِ. وحينئذٍ تقوم المخاصمات والضجيج وتشتغل الناس عن استماع الصلوات. فكيف يمكنكِ يا هذه ان تقولي جئت اطلب التقرُّب الى المسيح وانتِ متزينة بما يكرههُ ويرفضهُ ولا يقدر اللابس مثل هذه الملابس ان يدنو من علوّ مجدهِ. لان اصل الذهب من التراب وهو عائدٌ اليهِ بطبعهِ ولا يجوز عندهُ الافتخار بالارضيات. ولكن ان اردتِ ان تدخلي بيعة الله وتقتربي من سيدكِ فالبسي حُلَل اولئك النسآءِ الطاهرات وهي الرحمة والمحبة والاتضاع وخشية الله والعفة والتقوى والطهارة. وانا اقول هذا لا لتسمع النسآء فقط بل ازواجهنّ ايضاً فيخاطبوهنّ بهذا الكلام ولا يتورَّطوا معهنّ باجتلاب النفائس الفاخرة. لانهُ اذا كان الافتخار بالزينة العالميَّة غير لائقٍ للنساء فبالأَولى ان يكون للرجال عاراً وخزياً. فسبيلنا ان نبتعد عن الزينة الفانية ونحافظ على التجمل بالزينة الباقية لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الرابعة عشرة

مرتبة على فصل الزانية وهي تتضمن اجتناب محبة المال والافتخار بالاباطيل العالمية

اذا كان مثل هذه الامراة الزانية المشغوفة بحبّ اللذات حين سمعت بذكر مخلص الخطاة وحققت قيامة الاموات وخلود الاثمة مع الابالسة

وعظم سعادة الفائزين اسرعت الى طرح الاموال والحِلَى وجميع اللذات البدنية والافتخار بالنفائس الدنيويَّة ونزعت اثواب الاثام الدنسة ولبست جلباب الفضيلة واحرقت بحرارة التوبة حطام الذنوب وغسلت بمياه الدموع اوساخ المعاصي حتى استحقت ان تمس قدمي يسوع الطاهرتين وتاخذ عربون الحيوة الابدية . واذا كانت مشيئة ربنا ان تكون في المسكونة غريبًا وعن البطر والتنعم مبتعدًا وللافتخار بالاباطيل مجتنبًا فما بالك تتباهى بالاموال والمنازل وشرف الانساب . واذا كانت الحاضرات كلها بالنسبة الى ملكوت الله لا تُعدُّ شيئًا فما الذي يفيدك الان من الافتخار بالاموال والرِمَم البالية . فان قلت أَوَ ليس لي ان افتخر بالانتساب الى النصرانية.قلت وكيف تفتخر بما تنتسب اليهِ بالاقوال وتتبرَّأُ منهُ بالافعال . الم تسمع قول يوحنا للذين اتوا الى المعمودية لا تفتخروا وتقولوا ان ابانا ابرهيم ان الله قادرٌ ان يقيم من هذه الحجارة اولادًا لابرهيم . وبولس الرسول يقول لليهود ليس كل من كان من آل اسرائيل هو من اولاد اسرائيل ولا كل من اختتن يُسمَّى مختونًا ولا المولودون من الجسد كلهم ابناءَ الله . وانما يُنسب الابن الى الاب اذا شابههُ في اخلاقهِ والَّا فما الذي استضرَّ بهِ تيموتاوس من كون ابيهِ هلاطيًا وثنيًا وما الذي انتفع بهِ ابن نوح من فضيلة ابيهِ لما صار بعد الحرّية عبدًا . ومن هذا القبيل قول سيدنا لهُ المجد ليس كل من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات يريد بهذا ان الذين يؤمنون بهِ ولا يعملون وصاياهُ لا ينتفعون بمجرَّد الايمان . فلا تفتخر يا هذا بكثرة مالك ولا بشرف

جنسك ولا بعبيدك وجواريك ولا باتساع موائدك ولا بكثرة زراعاتك
وحقولك ورفعة شان عشيرتك . ولكن سبيلك ان تزدري بمن هذه
سجاياهُ وتلومهُ على التمسك بها . واذا اندفعت الى حالةٍ من الفقر لفقد
هذه المذكورات فلا تظهر الغمَّ والاسف على فقد الاباطيل الفاسدة
بطبائعها . لكن سبيلك ان تسرَّ بفقد الفاني وتجتهد في تحصيل الباقي .
واذا اردت ان تعلم ان الفقير من العالميات غنيٌّ عند الله وان الغنيَّ بها
فقيرٌ هناك فانظر في قضية الغنيّ والعازر اللذين ذكرهما سيدنا في
الانجيل بقولهِ ان الغنيَّ صار الى الجحيم والعازر المسكين صار الى حضن
ابرهيم . الا ترى كيف انقلبت ايامهما فانتقل الغنيُّ المتنعم الى العذاب الدائم
والفقير المتوجع الى النعيم الابديّ . واذا كانت الاموال الكثيرة لا تشتري
لنا ملكوت الله فلماذا نتهافت على اذّخارها . واذا كانت تُعسِّر علينا
دخول الملكوت فما بالنا نجتهد في طلبها . ترى لو ان ملك المدينة
اعلن لكبار دولتهِ ان كل من كان غنيًّا بالمال لا يدخل وليمتهُ ولا
ينال من عطاياهُ وكراماتهِ شيئًا أَمَا كان الكبرآء من الناس والامرآء
من رجال دولتهِ يستهينون باموالهم ويميلون الى ما يرضيهِ ويتيقنون ان
الذي يحصل لهم من الملك لاجل طاعتهم لهُ افضل من الذي رفضوهُ
من اموالهم . واذا كان هذا وثوقنا بقول ملك من شانهِ الزوال والفنآء
وشوقنا الى مالٍ من شانهِ الذهاب والفراق فلماذا لا نسمع اقوال ربنا
ونذخر الباقيات التي لا تفنى ولا تفارق . افلا نسمع قولهُ انهُ يعسر على
الغنيّ دخول ملكوت السموات اكثر من دخول الجمل في ثقب

الابرة . الا ترى كيف يجعل لهم الويل بقولهِ الويل لكم ايها الاغنياءُ فانكم قد نلتم عزاءكم . وكيف لا يجب علينا ان نهمل هذه الاباطيل لنمتلك ملكوت ربنا عوضاً عنها كما دخل اولئك الاولون . وايُّ عقابٍ لا نستحقهُ اذا تمسكنا بما يمنعنا من الدخول الى هناك وحفظناهُ في الخزائن والصناديق وتحت يد الأُمناء والحافظين ولم نكنزهُ في خزائن السموات تحت حفظ ربنا الامين الاعظم . وعلى هذا نكون في ذلك اشبه بفلاَّحٍ اخذ من صاحب الارض حنطةً ليزرعها في ارضهِ فاعجبهُ حسنها ونقاؤها ورزانتها فاحتفر بئراً في الارض وخزنها هناك . فلما حان زمان الحصاد حضر صاحب الارض ليجمع غلة ارضهِ فلم يجد فيها زرعاً . فاحضر ذلك الفلاَّح وسألهُ فاخبرهُ عن صنيعهِ . فارسل غلمانهُ فاخرجوها واتوا بها وقد انتخرت واعتراها التعفن والفساد . فقيَّدهُ والقاهُ في السجن وطلب منهُ ثمن البذار وغلَّة الارض . ولو نظرت نظراً محكماً واختبرت حال الاموال اختبار عالمٍ بالامور لرأَيتها سبباً لكل بليةٍ وينبوعاً لكل مفسدة وعناء . لانك تجد امام المجتهدين في تحصيلها اهوال ركوب البحار واقتحام الاخطار وسطوة اللصوص والخاطفين ومكابدة الجوع والعطش ومقاساة حرّ الصيف وبرد الشتاء وارتكاب الخبائث من المخاصمات والمحاكمات والحيل النفاقية والاقسام الكاذبة والتردُّد الى مجالس القضاة والولاة وما اشبه ذلك . وكم ترى بسبب المال من المقتولين والمنهوبين والمحبوسين والمعذَّبين والمكلفين العمل في الابنية وتمهيد الطرق ونحو ذلك من الاعمال المتعبة . واما تلك السعادة المعدة في الاخرة التي وعد بها سيدنا

لهُ المجد فلا يحتاج طالبها الى شيءٍ من هذه المشقّات ويقدر على تحصيلها الفقير كما يقدر الغنيُّ . فان قلت كيف يقدر الفقير على تحصيلها . قلت يقدر ان يُحصّلها بشربة ماءٍ او بزيارة محبوسٍ او بمساعدة الذين هم في الشدائد وبالصوم والصلوة حسب امكانهِ وباجتناب ما نُهِي عنهُ وعمل ما أُمِر بهِ . فسبيلنا ان ننهض افكارنا ونرجع الى ذواتنا ونجتهد في ما يقرّبنا الى نوال ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة عشرة

هي العظة المفقودة التي ذكرناها في مقدّمة الكتاب
وجعلنا العظة السابعة عوضاً عنها فلتُطلَب من هناك

العظة السادسة عشرة

مرتبة على قولهِ وكان يسير الى كل مدينةٍ وقريةٍ ومعهُ مريم المجدلية وامراة خازن هيرودس وغيرها . وهي تتضمن تبكيت الذين يتصرّفون بعد المعمودية تصرُّف الخوارج الغير المعتمدين

اذا كانت النساءُ اللواتي عرفنَ قدر مواهب المسيح تركنَ بيوتهنَّ واهلهنَّ وخدمنَهُ بانفسهنَّ واموالهنَّ فما لي ارى الآن اناساً كثيرين يتصرفون بعد المعمودية تصرُّف الذين لم يعتمدوا بل شرّاً منهم كثيراً حتى انهم لا يتميَّزون بخصلةٍ واحدة عن الخارجين عنهم . ولهذا صار يلتبس على الناظرين الفرق بين المؤمنين بالمسيح وغيرهم لان المؤمنين ينبغي ان يُعرَفوا من الاعمال الصالحة المشرقة انوارها عليهم ومن هيئاتهم

وملابسهم واطراقهم الى الارض من الخشوع والتواضع . ومن حديثهم في الحقائق الباقية دون الاباطيل الفانية . وهم يسيرون هذه السيرة لا لطلب المديح من الناس بل لانها صارت لهم كالغريزة المطبوعة فيهم ولينتفع بها الناظرون . واما الان فاني لا افرق بين المؤمن وغير المؤمن ولا استطيع تمييزهُ عن الخارجين . وكيف و بماذا اميزك يا هذا وانا اراك تصاحب الاشرار والفاسقين وذوي الفساد والنفاق وتطيل المكث معهم في ملاعب اللهو والخلاعة وحَلَق المشعبذين ومحاضر خيال الظلّ وترقيص الحيوانات وغير ذلك . وان اردت ان اعرفك من لباسك فلا اراك تتميز بملابس المؤمنين بل تتصنع في التشبه بالخارجين وتتبهرج مثلهم بالملابس الخارجة عن الاحتشام . وان اردت ان اعرفك من الحياء والوقار والخشوع والوداعة فاني اراك خليعاً مستغرقاً في قهقهة الضحك متهتكاً طائشاً متصلفاً نفوراً كالبرابرة العتاة . وان اردت ان اعرفك من كلامك فاراك لاهجاً بالهزل والمزاح ونقل احاديث السفهاء والمضحكين واصحاب الملاهي والخلاعة . وان اردت ان اعرفك من مائدتك التي ينبغي ان تقدم عليها ما يدفع ضرورة الجوع لا ما يُصنَع للذات والنَهَم فاراك تهيئُ الوان الاطعمة الشهية والاشربة اللذيذة والاواني الفاخرة قاصداً اللذّات البدنية والافتخار على الفقراء. واذا كنت لا اعرفك من هذه الجهات كلها فقل لي من اي جهةٍ اعرفك . وكيف يُعرَف انهُ انسانٌ من كان يرقص كالنسناس ويصهل كالحصان و يزمجر كالاسد ويحقد كالجمل ويخطف كالذئب ويلعب كالفهد ويخزن السمَّ في فمهِ

كالحية ويحتال كالشيطان . واننا نرى كل واحدٍ من الوحوش حافظاً طبيعة نوعهِ حاوياً نقيصةً واحدةً ونرى بعض الناس حاوياً نقائص الجميع . وكذلك الشياطين لا يهتمون ببطونهم ولا يعشقون المال ولا ينهمكون في اللذَّات البدنية بخلاف المتشبثين بهذه الخبائث من الناس . واذا كان الاصطباغ في المعمودية مع المسيح مثالاً لموتنا بالجسد وانبعاثنا بالحيوة الجديدة فكيف نهتمُّ برفاهية الجسد وتنعيمهِ وكيف لا نسمع بولس الرسول صارخاً بنا بقولهِ وان كنتم قد مُتُّم مع المسيح فاميتوا الان اعضاءكم التي على الارض اعني الزنى والنجاسة والشهوة الخبيثة . فسبيلنا ان نهذّب ذواتنا ونتأمَّل صفاتنا ونسارع الى الاقلاع عن آثامنا ونتمسك بما يقرّبنا من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة عشرة

مرتبة على فصل حماة بطرس . وهي تتضمن الحثّ على رفض الاهتمام بزينة الاجسام والاعتناء بزينة النفوس

اذا كان سيدنا لهُ المجد تجسد ليشفي امراضنا ويهذّب نفوسنا ويرشدنا الى طريق الفضيلة المؤدّي الى نعيم الملكوت فكيف نهمل مصالح نفوسنا . واذا كان سعينا ينبغي ان يكون بالروح فما بالنا نراعي الجسديَّات . واذا رآك يا هذا الخارجون عنا وانت متردّدٌ الى حانوت الزينة وهناك تجلس وتاخذ المرآة بيدك وتنظر تارةً الى وجهك وتارةً

الى شعرك . وتارةً تقصُّ اطراف الشعر وتمشطهُ . وتارةً تصفف طرّتك وتصقلها . ولعلك تكون شيخًا ولا تخجل من مثل هذه الزينة . ويا للعجب من كونك تبذل هذا الجهد في اصلاح جسمك المستحيل الى الفساد وتهمل امر نفسك الباقية . ولعلَّ صورتها تكون قد تشوّهت وتشنعت وانت لا تدري بها لعدم انتباهك اليها . واذا كنت قد اتخذت مرآةً ترى بها وجهك وتنظر في محاسنهِ وعيوبهِ افما ينبغي ان تتخذ مرآةً اخرى لنفسك لتنظر حسنها وقبحها وتميز بين محاسنها ومساوئها . فان قلت وكيف يمكن ان توجد مرآة للنفس وكيف ينطبع في المرآة ما ليس من الاشخاص الجسمية . قلت ان هناك آثارًا روحية تُظهِر معايب النفوس ومحاسنها . وان قلت وما هي . قلت هي قرآءة الكتب الدينية كالانجيل واسفار الانبياء واخبار الرسل وسِيَر الآباء القديسين . فانك اذا نظرت في هذه المرآة النقية الى هيئة سلوكك وسلوك نوح وابرهيم وايليا وامثالهم وقابلت افعالك بوصايا الله في العهد القديم والجديد ترى هيئة نفسك وتعرف معايبها بالنسبة الى سلوك الابرار ومقتضى الوصايا . وحينئذٍ ينبغي ان تجتهد وتخلع تلك الصورة السمجة وتلبس مكانها صورةً حسنة . فان قلت اني قد أَلِفتُ هذه الطباع وامتزجت بها فلا اطيق خلعها رددتُك الى الذين يُروّضون الحيوانات الضارية كالسباع والضباع والنمورة والذئاب وما اشبهَ ذلك . فانك ترى الاسد في الشوارع ماشيًا كالنعجة . والنمر يرقص كالمغنية . والفيل يسجد لصاحبهِ كالعبد . واذا رايت الوحوش الضارية ذوات الطبائع الحجريَّة قد انقادت بالاداب والتعاليم الى التخلُّق

باخلاق الناس تحققت سهولة ذلك عليك . وايُّ عذرٍ يكون لك وايَّة حجةٍ تحتجُّ بها وقد ركَّب الله في طباعك قدرةً تُخرِج بها الوحوش الضارية من الاخلاق الوحشيَّة الى الاخلاق الانسيَّة وانت تُخرِج ذاتك من طباع البشر الى طباع الوحوش . فتشابه الاسد في الافتراس والذئب في الخطف والثعلب في الروَغان وهلمَّ جرًّا . وايُّ خزيٍ تسوقهُ الى ذاتك وانت تُعرِض عن التحلّي بفضائل النفس وتهتمُّ برفاهية الجسد . وتجعل الناس يتعجبون من طراز ثيابك وجمال منزلك واطعمة مائدتك وكثرة عبيدك ومركباتك وحِلَى نسائك وملابسهنَّ الثمينة وغير ذلك من الزخارف الباطلة . فسبيلنا ان نهرب من الافتخار بهذه الاباطيل ونزيّن ذواتنا بالفضائل الروحيَّة ونتخلَّق باخلاق الصالحين لكي نتنعَّم في ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة عشرة

مرتّبة على فصل ركوب السفينة . وهي تتضمّن الحثَّ على الاعراض عن الامور العالميَّة وتذكُّر القيامة والمجازاة وامثال ذلك

اذا كان الذين سمعوا اقوال ربنا زمانًا يسيرًا تدرَّعوا بجلباب الشجاعة وسارعوا الى استماع خطابهِ وظهرت آثار تصديقهم وثمرات ايمانهم حتى القوا نفوسهم في البحر وصادموا تلاطم الامواج وعواصف الرياح ومشوا على

المياه ذات اللُّجَج وقاوموا الملوك وقهروا الفلاسفة وجذبوا السلاطين
الى اتّباع رايهم فما بالنا نحن الذين نسمعهُ دائمًا يخاطبنا تارةً بذاتهِ وتارةً
برسلهِ وتارةً بانبيآئهِ وتارةً بوعظ التابعين لهُ ويأمرنا بان نتيقَّظ من غفلتنا
ونبادر الى ما ننال بهِ الخلاص . وليت شعري حتى متى لا نكفُّ عن
الانهماك في السكر والتنعُّم وحبّ الغنى والاهتمام باجسامنا البالية لكي نصير
من جملة السُعَدآء الفائزين . وهل ينبغي ان نقرَّ باقوالنا معترفين
بالدخول تحت نير المسيح ونكون بافعالنا مخالفين لهُ . لانهُ شَرَط على مطيعيهِ
ان يكفروا بذواتهم ويتركوا شهوات انفسهم ويتبعوهُ حاملين صلبانهم .
ومن المعلوم انهُ حيث يكون الكفر بالنفس لاتكون لذَّةٌ هناك ولا سكر
ولا غنى ولا غير ذلك من المحبوبات العالميَّة . وحيث يوجد الاسترسال
مع الشهوات واللذَّات البدنيَّة فهناك توجد المناقضة لشروط المسيح . واذا
نقضنا شروط ربنا وخالفناهُ باعمالنا فكيف نكون مبتهجين ومسرورين .
وهل نكون في حالتنا هذه الا بمنزلة الاطفال والمجانين والاولاد الذين
يخالفون آبآءهم ويفعلون ما يشتهون وهم مع ذلك غافلون عن
عقوباتهم المنتظرة سريعًا . وكيف يحسن عند العقلآء الالتذاذ بنوال
الشهوات الخسيسة مع الخلود في عذاب الجحيم . وكيف لا نصوّر في عقولنا
دائمًا انقراض حياتنا وفساد اجسادنا وتفرُّق اوصالنا وهول مجلس القضآء
وجلوس الديَّان للمحاكمة واجتماع جميع الامم ودوام سعادة المطيعين
وشقاوة العُصَاة فننتبه من غفلتنا ونفعل مشيئة ربنا . فان قلت اني
افعل جرائم كثيرة ولا اعلم كيف الخلاص منها . قلت انا ارشدك الى

مسالك الخلاص. وذلك ان تستحضر خطاياك امامك وتعدّدها ثم تهرب من سماجتها وتقرع باب رحمة المسيح بالبكآء والندم والتوبة والصوم والصلوة والعفّة والطهارة والمحبة والرحمة وامثال ذلك . ثم تتذكّر واحدةً واحدةً من انواع خطاياك وتسارع الى العمل باضدادها . فتقابل الدعارة بالعفّة والطهارة وضبط الشهوات . وان كنت قد اكتسبت مالاً جزيلاً فتصدَّق بقدر الحاصل من مقتنياتك . ومن اغتصبتهُ مالاً بالظلم فاردد عليهِ اضعاف ذلك كما قال الكتاب . وان كنت قد تبعت الشهوات الأُخَر واسرفت في معيشتك بلبس الثياب الفاخرة والتأنُّق في الطعام والشراب ونظرت الى النسآء بعينٍ شرّيرة فاستعمل الاصوام والصلوات والتقشُّف في المآكل والملابس وغضّ النظر عن النسآء . وان كنت اسأت الى غيرك فاطلب منهُ المسامحة واحسن اليهِ عوض تلك الاسآءة وان كنت قد ضررتهُ بشيءٍ فاصلح ذلك الضرر. وان كان احدٌ قد اسآء اليك فاصفح عنهُ وان كان قد لعنك فبارك عليهِ. ويجب ان تعلم ان حال النفوس المهملة من التقويم والادب هي كحال الاجساد بالنسبة الى الامراض التي تستحوذ عليها . فكما ان الانسان اذا اهمل مراعاة صحّتهِ فاكثر من الاطعمة الردية وترك التنقية بالمسهلات تولَّدت في معدتهِ العفونات وفسدت الاخلاط وتولَّدت منها الامراض وآل حالهُ غالبًا الى الهلاك . هكذا حال الانفس اذا لم تُهذَّب بالتعليم والادب فانها تتوغَّل في حماة الخطايا وتستعذب مناهل الآثام فتستغرق في الذنوب وتصير كالمرآة المغشَّاة بالصدأ الذي يعسر جلاؤُهُ حتى انهُ ربَّما يمتنع على من يريد صقالها . واذا علمنا ان الادب

نافعٌ لنا فلا نضجر من تأديب ربنا لانهُ يريد رجوعنا بهِ اليهِ لناخذ اكاليل السعادة الابدية بنعمة مخلصنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة عشرة

مرتّبة على انجيل المخلَّع . وهي تشتمل على تبكيت المجرمين والظالمين والذين يتجاوزون الاوامر الالهيَّة

اذ قد سمعنا ان الذين بهم الامراض والعاهات كانوا يتغرَّبون عن بلادهم ويهجرون اوطانهم وينفقون اموالهم ويكابدون مشقَّاتٍ عظيمة طالبين الشفآء من الامراض المعترية اجسادهم الصائرة الى التراب حتى ان هذا المخلَّع اقام لاجل ذلك عند تلك البِركة كل هذه السنين . فكيف يسوغ لك ياهذا ان تتغافل عن العناية بامر نفسك الخالدة العديمة الفساد . ولعلَّها تكون في الاكثر رمدآء العين قريحة الكبد جربآء الجلد مخلَّعة المفاصل مشتملة على انواع الاسقام وانت لا تنظر الى امراضها وتهتمُّ بمداواتها . وكيف تكون موءمنًا بالمسيح ومولودًا من المآء والروح ومعترفًا بقيامة الاموات وموءمّلًا سعادة الابد ومتقلدًا بسلاح النصرانية وتفعل ما لا تفعلهُ الخوارج . واذا كان ربنا لهُ المجد شرط على الذين يطلبون الملكوت ان يزيد برُّهم على الكتبة والفريسيين وهم كانوا يقومون بالعشور ويحملون الابكار والنذور ويصومون كثيرًا ويقدّمون القرابين عن خطاياهم فكيف يوجد بينكم الان المهملون انفسهم والسائرون بهوى

قلوبهم الذين يتلقبون بالنصرانية فقط وهم غير عاملين بالوصايا المسيحية بل يرتكبون اكثر الخطايا . واذا كان الله قد عاقب العُتاة والغلاظ الرقاب والغُلف القلوب على تعدّي الشريعة بالعقاب الشديد فماذا عساهُ يعاقب الخطاة من المؤمنين . اسمع قولهُ تعالى لبني اسرائيل على لسان هوشع النبيّ حيث يقول موبّخًا لهم . اسمعوا قول الرب يا بني اسرائيل لانهُ يحاكم سُكّان الارض لعدم الاستقامة والعدل ولِمَا كَثُرَ بينهم من اللعن والكذب والقتل والزنى واختلاط الدم بالدم . ولذلك تتبلبل الارض وينوح جميع سكّانها وحيوانات القفار وطيور السماءٓ وسمك البحر تهلك لان ليس من يقضي بالحق ولا يبكّت ولا من يردُّ الى الطريق المستقيم . لان الشعب لعدم العلم صار اخرس . انت رذلت العلم ايها الشعب وانا ارذلك من الكهنوت لانك نسيت سنّة الهك وانا ايضًا اتوانى عن بنيك وانساهم لان خطيتهم كثرت لكثرة عددهم وابدّل كرامتهم بالذلّ لانهم اكلوا ثمن الاثم والقوا نفوسهم في البلايا بخطاياهم . فساحكم ايضًا بعقابهم واخزيهم بخزي طرقهم واعاقبهم على اعمالهم واقلّل عددهم وياكلون ولا يشبعون لانهم فسقوا بصنائعهم وسلب الخمر والسكر قلوبهم . ودعوتهم فلم يسمعوا ولذلك يدعونني في وقت ضرّهم فلا استجيب لهم . اقول للذين يظلمون منهم ويجورون ويقرضون مالهم بالرباءٓ ويحبّون الارباح الرديّة اسمعوا هذا القول ايها الذين يزدرون بالمساكين ويستصغرون الفقراءٓ ويقولون في انفسهم متى تمضي الشهور وتجوز الايام ويغلو الطعام ويتعالى ثمن الحنطة وتفتح الاهراءٓ والمخازن وتصغر المكاييل وتزيد المثاقيل ونبيع

القصالة بورقها والغلَّة مخلوطةً بالتبن . ونبيع كناسة الاهرآء بثمن الحنطة وناخذ رباءَ الدغل . اقسم الرب نصير اسرائيل وقال اني لاانسى جميع اعمالكم الى الابد . كيف لاتتزلزل الارض من اجل هذه الافعال وكيف لا ينلمل جميع سُكّانها وتُعفَى من العقاب . اجعل الشمس مظلمةً نصف النهار والارض قاتمةً في اليوم المضيء واقلب اعيادهم الى الحزن واحوّل غناءَهم نوحاً ويشتملون على ظهورهم بالمسوح وتمتلئ رؤوسهم جراحاً ويحزنون كالحزن على الوحيد . وارسل الجوع في ارضهم ليس جوعاً من خبزٍ ولا من ماءٍ لكن من سماع كلام الله . ويجتمعون من المشارق الى المغارب ومن البحر الى البحر . ويسعون في طلب كلمة الله ولا يقدرون على ذلك . انتهى .

واذ قد سمعتم وعيدهُ للمجرمين والظالمين . والذين يسيرون سيرةً رديَّةً فاسمعوا وعدهُ للطائعين لتنظروا الطريقين وتسلكوا في المستقيم منهما . فانهُ يقول وان انتم سرتم بوصاياي وحفظتم اوامري وعملتم بها انزلت امطاركم في اوانها حتى تخرج الارض لكم غلاتها وشجر البقاع اثمارهُ ويلحق القطاف دراسكم ويدرك الزرع قطافكم وتاكلون خبزكم شبعاً وتسكنون ارضكم مطمئنّين وتنامون آمنين ولا يقلقكم احدٌ ولا يروعكم . واطرد شرَّ السباع عنكم واسقط اعداءَكم قتلى بين ايديكم وتهزم الخمسة منكم مائةً والمائة تهزم ربواتٍ وأُقبِل عليكم حتى انميكم واكثّركم واتم عهدي لكم وتاكلون العتيق وعتيق العتيق وتعزلون العتيق من قدام الحديث . فاجعل مسكني فيكم ولا تتبرَّم نفسي بكم واكون لكم الهاً وتكونون لي شعباً . فاذ قد سمعتم توعُّد العُصَاة ومواعيد الطائعين فلنحذر من ان يُوجَد

احدٌ ظالمًا او غاصبًا او متهاونًا او متَّصفًا بمثل هذه الصفات فتصدق عليهِ الاقوال الاولى التي سماعها عند العقلآءِ يسحق كالصواعق ويلهب كالنار وينبِّه الغافلين ويوقظ النائمين . واذا علمنا ان الخطايا هي سببٌ لحدوث الامراض والاسقام وتسلُّط الظالمين ووجود الغلآءِ والجلآءِ وباقي الامور المزعجة فما بالنا لا ننهض من سقوطنا ونتيقَّظ من غفلتنا ونخلع ثياب آثامنا ونقرع باب رحمة الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة العشرون

مرتَّبة على قولهِ ان كنت انا اشهد لنفسي . وهي تتضمن الحثَّ على طلب العلوم والبحث في الكتب وتبكيت السحرة والمنجِّمين والكهنة الذين يكتبون الاحراز

اذا كان سيدنا لهُ المجد يُبكِّت المُعرِض عن البحث في الكتب كما ينبغي بقولهِ فتِّشوا الكتب فانها تشهد من اجلي فبماذا عساهُ يبكِّت المؤمنين . ومعنى قولهِ هذا انكم لو قرأْتم كتب الشريعة قرآءة المتفهِّمين لها لعلمتم انني انا المُنتظَر لا غيري ولأَغنتكم شهادة الاقوال والاعمال عمَّا سواها لمطابقةِ المكتوب قديمًا . فما بالنا نحن نُعرِض متغافلين عن البحث والتفتيش حتى نكون عند المخالفين لنا في الايمان ضحكةً وخزيًا ويصدق علينا ما قالهُ الكتاب ان شعبي لعدم العلم والمعرفة صار اخرس . واذا كنا الى الان نوجد هكذا مغفَّلين فينبغي لنا ان نبتدئ من الشريعة القديمة بالاسهل والاقرب مما يصلح للاطفال لا للكاملين في السنّ ثم نرتقي الى تفهُّم المعاني

الخفيَّة والنبوات الرمزية . فاذا كنتم الى تفهُّم ذلك متسارعين فان الفلَّاح اذا نظر قوَّة الارض يبذر الحبوب بكثرةٍ . اسمعوا قولهُ تعالى في اول التعاليم انا الرب الهك لايكن لك الهٌ غيري . لاتحلف باسم الرب الهك كاذباً لان الرب لايزكّي من يحلف باسمهِ كاذباً . اكرم اباك وامك ليكون لك الخير ويطول عمرك . لاتقتل . لاتزنِ . لاتسرق . لاتشهد بالزور . لاتشتهِ مال صاحبك ولازوجتهُ ولاعبدهُ ولا أَمَتهُ ولا بهائمهُ ولا كلَّ شيءٍ لهُ . ولا تشتم راس شعبك والحاكم لاتنتقصهُ . ولا تؤخّر اوائل بيادرك وغلَّاتك ومعاصرك والابكار من بنيك بل اجعلهم لي يقول الرب . وكذلك ابكار بقرك وغنمك وحميرك يكون المولود منها سبعة ايامٍ مع امهِ وفي اليوم الثامن تأتي بهِ اليَّ . وان رايت ثور عدوك او حمارهُ ضالاً فردَّهُ اليهِ . وان رايت حمار مبغضك واقعاً تحت حملهِ فلا تتجاوزهُ حتى تقيمهُ معهُ . وان وجدت ضالَّةً لاتعرف مالكها فخذها الى منزلك لتكون عندك الى ان يطلبها صاحبها لانهُ لا يحلُّ لك ان تتغافل عن الضالّ . ولا تاخذ رشوةً في القضاءِ فان الرشوة تعمي عيون الحُكَّام وتزيّف الامور العادلة . ومن اخطأَ في فعلٍ واحدٍ من محارم الله او فعل ما لايحُلُّ فليقدّم عنهُ قرباناً . وان خان احدٌ صاحبهُ في وديعةٍ اومعاملة او اغتصبهُ شيئاً او اخذ مالهُ ظلماً فليردَّ كل واحدٍ من ذلك مضاعفاً ويقرّب قرباناً عن خطاياهُ . ولا تكشف امرأة في وقت طمثها ولاتتنجّس بزوجة صاحبك ولا تأتِ الذكور ولايتدنس احدٌ من الرجال او النساءِ مع البهائم . ولاتلقط ما سقط من حصاد زرعك

ولا تستقصِ في قطاف كرمك ولا تلقط ما وقع منهُ بل اترك ذلك للغريب والفقير وانا الله ربكم اجازيكم بالاحسان. ولا تؤخّر اجرة الاجير عندك الى الغد. ولا تشتم الاصمَّ ولا تضع قدام الاعمى معثرةً. لا تقطعوا شعوركم ولا تفسدوا لحاكم ولا تخدشوا وجوهكم وابدانكم على موتاكم. ولا تَشِمُوا اجسادكم بالابرة. ولا تؤذوا الساكن بينكم. ولا تسمعوا قول المنجمين والعرَّافين والمشعبذين لاني انا الله ربكم عالم الغيب. ولا تصنعوا غشًّا في الحكم ولا في المساحة ولا في الوزن ولا في الكيل بل تكون لكم موازين عادلة ومكاييل عادلة ومثاقيل عادلة انا الله ربكم العادل. ومن يُلقِ زرعهُ في غريبةٍ فليقتل رجمًا ومن تغافل عن قتلهِ ورجمهِ فانا ابيدهُ. والزاني والزانية يُقتَلان معًا. وكذلك من يتدنس ويتنجَّس ببهيمةٍ يُقتَل الانسان والبهيمة رجمًا. ومن غشي طامثًا فليُقتَل الرجل والامرأة معًا. والمشعبذ والعرَّاف يُقتَلان رجمًا بالحجارة ودمهما في اعناقهما. ولا تستبقِ الساحر ولا يوجد فيكم عرَّافٌ ولا ساحرٌ ولا من يأخذ بالعين ولا من يزجر الطير ولا من يقول بالرُقَى ولا من يتكلَّم بالفال ولا من يفسر الاحلام ولا من يعمل الاحراز. ومن وُجِد هكذا فليُخرَج. واما الذين يسألونهم او يخالطونهم او يُدخِلونهم بيوتهم او ياكلون من طعامهم او يشربون من شرابهم فان كان كاهنًا قُطِع ومُنِع من مخالطة المؤمنين. وان كان غير كاهنٍ فليُخرَج خارج الجماعة الى ان يرجع ويتوب عن عملهِ الرديّ. وان كان رجلٌ لهُ ابنٌ عاصٍ ماردٌ لا يطيع امر ابيهِ وامهِ ولا يسمع منهما فليخرجا الى المشايخ ويقولا لرجال تلك المدينة ان ابننا هذا عاصٍ وماردٌ يلعب

ويسكر ولا يطيع امرنا فيرجمهُ جميع اهل المدينة بالحجارة حتى يموت موتاً . واعزلوا الاشرار من بينكم . ولا تلبس المرأة ثياب الرجل ولا تلبس الرجال ملابس النساء . فان جميع هذه الافعال مكروهةٌ عند الربّ الملك . اعمل لك سوراً على سطحك لئلا يقع احدٌ منهُ فيموت ويكون قتيلٌ في منزلك . اياك ان تُرابِي اخاك لا ربا الفضة ولا ربا الطعام ولا ربا امرٍ ما ليباركك الرب الملك في جميع اعمالك . ان انت نذرت نذراً للرب فلا تؤخّر قضاءَهُ . فان الرب الملك يطلبهُ منك فيكون عليك اثمٌ . احفظ ما يخرج من شفتيك واعطِ ما يتكلم بهِ فمك تُجازَى بالحُسنَى . ان كان لك على صاحبك دينٌ فلا تدخل بيتهُ لتأخذ منهُ رهناً بل تقيم خارجاً . فان كان فقيراً فاياك ان تنام في رهنهِ فاردد عليهِ الثوب عند غروب الشمس لينام فيهِ لتصيب رحمةً عند الرب الملك . ولا تجُرْ على الضعيف في القضاء ولا تسترهن ثوب الارملة . وكونوا اطهاراً فاني انا طاهرٌ . فاذا علمنا ان هذه الاقوال الاولى والقريبة المأخذ السهلة العمل متعذّرة على الكثيرين فكيف شريعة التمام والكمال المثقّفة عقول الفاضلين . فسبيلنا ان نستيقظ من غفلتنا ونتفهم معاني اقوال ربنا لنحظى بسعادة الملكوت مع الذين ارضوهُ باعمالهم الصالحة وننال النعيم الابديّ بنعمة مخلصنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والعشرون

مرتبة على فصل ابن الملك . وهي تتضمن الحث على شفاء النفوس من امراض الخطايا

اذا كان طبيب الارواح والاجساد قد حضر ليشفي امراضنا فكيف لا نُقبِل اليهِ فَرِحين مسرورين . واذا كان هؤلاء المرضَى تركوا المنازل والاخوان والاهل والمكاسب والزراعات وتبعوا المسيح حيثما كان فما بالك يا هذا تستصعب الذهاب الى اجتماع المؤمنين . واذا كان احدنا يتألم بعض اعضاء جسدهِ ولو كان عضواً دنيّاً فيلازم بيوت الاطبَّاء ويبالغ في الحمية واستعمال الادوية الى ان يعود ذلك العضو صحيحًا كما كان فكيف نغفل نحن عن العناية بالنفس ونعلم انها في الاكثر تكون مصابةً بانواع من الامراض فتكون رمداء العينين مجروحة القلب وارمة الكبد مخلَّعة المفاصل قد جمعت عدَّة امراضٍ مهلكة ونحن لا ننظر اليها . واذا كان الذين يتردَّدون الى دور الولاة وينظرون الى المحابيس مغلولين بالسلاسل والقيود . واناس منهم يضربون بالسياط وآخرون يُعلَّقون وغيرهم يعذَّبون فيرتاعون لهذه المشاهد ويجتنبون الاعمال التي من شانها ان تفضي بهم الى هناك طول زمانهم . فكيف لا ترهب من مجلس القضاء واجتماع الامم وجلوس الديَّان للمحاكمة وهول العذاب الرهيب والتهاب الجحيم والخلود فيهِ الى الابد مع الشياطين . واذا كان سيدنا لهُ المجد بذل ذاتهُ عنا وشقَّ كتاب رقنا وغسل ادناس خطايانا واعتنى بمداواة امراضنا فكيف نكون مخالفين لوصاياه . واذا كان احدنا اذا اخطأ

مرَّةً واحدةً الى من احسن اليهِ مرَّتين يُقال انهُ شريرٌ وخائنٌ فكيف نحن الذين نكون دائمًا مخالفين لرضى الهنا غافلين عن احساناتهِ التي لا تُحصَى . وماذا نستحقُّ من العقوبات لسوء مكافاتنا لهُ . وايُّ الالقاب الرديَّة نستحقُّ ان يُطلَق علينا . فسبيلنا ان نتذكر احسان ربنا ونمجد الشافي لامراضنا ونحذر من الرجوع الى الخطايا بعد تركها لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والعشرون

مرتَّبة على قولهِ لا تهتمُّوا بالغد . وهي تتضمن الحثَّ على العمل لما بعد القيامة

اذا كان ربنا لهُ المجد لمحبتهِ لنا واشفاقهِ علينا يامرنا بعدم الاهتمام في الفانيات وان لانشغل افكارنا عن طلب الباقيات في الاهتمام بحاجة الغد . ويعرّفنا انهُ اذا كان يهتمُّ بطعام الحيوانات المخلوقة لاجلنا فكيف يهمل مصالحنا . ويضرب الامثال لذلك بطيور السمآء وسوسن الحقل وغير ذلك . فمالي ارى كثيرين من الناس لايقنعهم حصول قوت اليوم ولا الاسبوع ولا السنة كلها ولاسنين كثيرة بل يخطفون مال قومٍ ويغتصبون مال آخرين . ولايكتفون بحصول صناعتهم اوتجارتهم فيستعملون الظلم والربآء ويستبيحون الغش والخيانة وما اشبه ذلك . وما بالنا لاننظر الى نعيم السمآء الذي نمتلكهُ مع المسيح والخلود في سعادة الابد . ونُعرض عن الاهتمام بالامور التي تعوقنا عن البلوغ اليها . فاذا

كان احدنا اذا دُعِي الى وليمةٍ قد جَمَعَتْ الوانًا من الاطعمة والاشربة والفواكه والروائح الطيبة وسماع المطربات يقطع كلَّ العوائق المانعة لهُ عن الذهاب الى هناك ويختصر الكلام مع ولدهِ وعبدهِ واهل بيتهِ والذين يُقبِلون عليهِ بالسلام في الطريق قَصْدَ سرعة الوصول اليها مع علمهِ بان لذَّتها قصيرة الزمان سريعة الزوال . وربما لا يَسلَم فيها من عروض حادثٍ يكدّر سرورهُ ويزعج نفسهُ . فما بالنا لا نلتفت ونشتاق الى وليمة المسيح صانعها ومبدعها ومهيئ اصناف طيّباتها ولذَّاتها الدائمة بحيث لا يصل المتطفلون ولا المفسدون الى هناك . وكيف لا نقطع الاسباب المانعة ونترك الاهتمام بالامور التي تعوقنا عن الوصول اليها . ويا للعجب من الذين يخافون من اهوال يوم القيامة ومن عذاب الجحيم ولا يرغبون في الحضور الى وليمة المسيح والنظر الى وجههِ الانيس والتمتُّع بسعادة الابد ومعاشرة الملائكة وغير ذلك من المسرَّات التي لا يُستَطاع وصفها ولعمري ان الخيبة من ذلك المجد اشدُّ عقوبةً من العذاب في الجحيم . وكيف لا نخاف من الوقوف بين يديهِ وهو عابسٌ في وجوهنا وغير مقبلٍ علينا . وكيف لا نذوب خجلاً من قولهِ صارخًا نحونا امضوا بهؤلاَء الى النار المعدَّة للشياطين . وقولهِ لغيرنا تعالوا يا مباركي ابي رِثُوا الملك المُعَدَّ لكم من قبل انشاَء العالم . فانظر يا هذا الى حسن صنيعهِ بنا ومخاطبتهِ ايانا حيث لم يبكّتنا على دوام احسانهِ الينا وسوء مكافاتنا لهُ . لكنهُ يُبكّتنا تبكيتًا يدلُّ على عظم محبتهِ لنا وكثرة رافتهِ علينا . ولهذا لم يقل اني اعاقبك لانك لم تخدمني جيدًا انا الذي خلقك من العدم . واوجد لك

نفساً ناطقة واقامك متسلطاً على البرايا الارضية . وخلق لاجلك العناصر والحيوانات والنباتات والاشجار واسماك البحار وطيور السماء . ثم خالفت وصيته فاحتمل لاجل خلاصك بالعدل خسة التلبس بالناسوت البشريّ وآلام الصلب وخزي البصق واللطم والموت الشنيع . بل انهُ انزل المساكين منا بمنزلة اخوته وقال اني عاقبك لاهمالك العناية بمصالحهم وغفلتك عن الرافة بهم والرحمة لهم . فاذا كانت المجازاة لابدَّ ان تكون عن يقينٍ فما بالنا نلعب في مدة حياتنا كالاطفال ونتعلّل بما يشغلنا كالمفطومين عن الرضاع . وكما اذا رأينا الصبيان في وقت لعبهم يصنعون بيوتاً صغاراً ويسقفونها بالعيدان ويتخذون لهم تماثيل الخيل وغيرها من الطين والخزف فننقلب ضاحكين عليهم لاغتباطهم بهذه الدنايا الحقيرة ولا نخجل من ضحك العقلاء الناظرين في الحقائق علينا اذا رأونا نبذل الجهد في بنيان القصور والمنازل الجليلة . ونأمر العملة بتمكين الاساس وتوثيق البناء وتلوينه بالاصباغ وتزيينه بالنقوش وترصيع ارضه بالرخام ونحوه . ونهتمّ بعمل الاطعمة واتخاذ الاشربة واجتلاب الفواكه والحلويات وغير ذلك . فانهم يضحكون علينا لنقص عقولنا ويندبون خسارة اهتمامنا لانهم يعلمون سرعة مفارقتنا لهذه المنازل وسرعة تلاشي لذة الاطعمة والاشربة فانها لا تدوم اكثر من ساعةٍ في وقت تناولها . وكما ان الصبيان لتشاغلهم بتلك الاباطيل المذكورة آنفاً يهملون دروسهم ويتهاونون في الذهاب الى مكاتبهم فينالون القصاص من المعلّمين فنحن ايضاً اذا اشتغلنا بالامور الباطلة وافتخرنا بنقوش

الثياب وتزيين المنازل واهملنا المواعظ والتعاليم الروحية فاننا نستحقُ القصاص ولا يوجد لنا شفيعٌ ولا منقذٌ . فسبيلنا ان نتحوَّل عن مشابهة الصبيان ونستيقظ من نومنا ونسارع الى نوال خلاصنا لنفوز بنعمة ربنا الذي له المجد الى الابد . آمين

العظة الثالثة والعشرون

مرتَّبة على انجيل التجربة . وهي تتضمَّن الحثَّ على التيقُّظ لقتال عدوّ الخير الذي هو الشيطان

اذا كان سيدنا له المجد تجسَّد لاجل خلاصنا وقهر الشهوات البدنية والبواعث الدنيوية والتجارب الشيطانيَّة ليفعل مثلهُ المؤمنون فما بالنا تاركين الاهتمام بخلاصنا ومقاومة عدوّنا . وما لنا لانتذكَّر ان المسيح ابتدأ بعد الصعود من الماءِ بالصيام ومجاهدة الشيطان ليعلّم المؤمنين ان يصنعوا بعد المعمودية هكذا فيتركون الاهتمام بامور العالم ويشرعون في الجهاد من اولهِ بالصيام ومقاومة الشيطان لان اول قتال الشيطان للبشر يكون بسبب الطعام كما فعل مع آدم وحوَّآء اولاً . ثم بالنتائج المتولّدة عنهُ ثانياً كالزنى والسكر وغير ذلك . لانهُ حيث يكون الصيام والجهاد لايكون تنعمٌ ولاتلذذ ولا سكر ولا طرب ولا شهوات جسديَّة . ولعمري ان الشيطان لاجل محبته هلاك البشر يضع في طرقنا مصايد كثيرة واشراكاً مختلفة . فينصب شركاً للزنى وشركاً للنَهَم والاسراف وشركاً للسكر وشركاً للشراهة وشركاً لمحبَّة المال وشركاً للعُجْب والافتخار وشركاً للعتوّ

والتصلُّف وشركًا لطلب المناصب العالميَّة وامثال ذلك . وليس ذلك لقصدهِ ان نكون مسرورين ومتنعّمين بل لعلمهِ ان المتنعّم هنا زمانًا يسيرًا يشقى هناك دهرًا طويلاً والمكثر من الدنيويَّات يكون فقيرًا في ملكوت السماوات . واذ قد رأَيت يا هذا كيف ان المسيح قهر الشيطان حين جرَّبهُ تارةً بحبّ الغنى وتارةً بحب الرتب . فهلمَّ لكي أُريك ايوب الانسان الساذج كيف تشجَّع في محبَّة خالق البرايا فتدرَّع ثوب الصبر وتشدد بمنطقة الامانة واستتر بترس الرجاء وضرب بسيف العزم والقى عدوَّهُ جريحًا بتلك الاسلحة . لانهُ اولًا قاتلهُ بكثرة المال والذخائر والجواري والعبيد والزراعات والحيوانات التي اتلفها . فقاتلهُ الصدّيق بالصوم والصلوة والهذيذ بذكر الله وتقدمة القرابين ورحمة المحتاجين . ولما رأَى المحارب قوة عزمهِ وطهارة نفسهِ وشجاعة قلبهِ طلب ان يسلبهُ جميع مقتنياتهِ احتيالًا على استمالتهِ اليهِ بطريق الكفر والضجر . ويا للعجب من ذلك الصدّيق كيف ظهر في حالة الفقر اعظم شجاعةً مما كان في حالة الغنى . وكيف قدر الشيطان ان يسلبهُ كل مقتنياتهِ ولم يقدر ان يسلبهُ محبَّة خالقهِ . واذ لم يبلغ عدوُّهُ مقصدًا ولا ظفر بهذه الواسطة رجع الى شَرَكهِ القديم الذي اصطاد بهِ الانسان الاول وهو الامراة وجعل يطغيها مذكِّرًا اياها بغناها السابق وما صارت اليهِ من الفقر لكي تذكّر بعلها بذلك . اما ذلك الشجاع القاهر فانهُ جعل قلبهُ عند سماع الفاظها كالحديد القاسي وكحجر الماس في القوَّة على كسر المصادمات لهُ حتى تكلَّل باكليل الظفر ونال تاج الغلبة وفاز بنعيم الملكوت . فهكذا ينبغي لنا نحن ان

نصمّ آذاننا عن سماع الذين يريدون صدّنا عن قبول اوامر الهنا ولو كانوا من الاقربين الينا كالزوجة والاولاد والاخوة . وان تكون طاعتنا لربنا ومحبتنا لخالقنا واحدةً في حالة الغنى والفقر . وان نجعل اصوامنا نقيّةً من الادناس وافكارنا سالمةً من الهواجس الردية . وان نبتعد من القوم الذين يشابهون الصبيان في سخافة عقولهم ويقولون الاقوال التي تستحقُّ الضحك عليها لانهم يقولون نتنعّم اليوم ونرتدُّ غدًا . ويقول الاخر أَعطِني اليوم وخذ غدًا . ويقول الاخر ليس للانسان عمران واذا كان لنا عمرٌ واحدٌ فلنقضهِ بالسرور كما ينبغي . فهولآء يشبهون البهائمِ التي تنظر الى يومها ولا تحسب ما يكون في الغد . واما نحن فسبيلنا ان نطهِّر اعمالنا ونقهر شهواتنا ونستعدَّ لمجاهدة عدونا لنفوز بنعيم ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الرابعة والعشرون

مرتبة على قول الكَتَبة للسيد المسيح لماذا تلاميذك يتعدَّون وصية المشيخة

وهي تتضمَّن الحثَّ على العناية بتطهير النفوس وما اشبه ذلك

انهُ يجب علينا ان نترك الاهتمام بزينة اجسادنا ونبتعد عن الامور التي تنجس نفوسنا . فاننا نرى الان جماعةً من المؤمنين يتناظرون عند الذهاب الى الكنيسة ويتفاخرون بدخول الحمَّام ولبس الثياب الفاخرة والتضمُّخ بالطيوب والاعطار ونحو ذلك ويغفلون عن زينة

النفوس الناطقة. فان قلت افلا يجوز الاهتمام بتنظيف الاجساد. اجبتك نعم ولكن ليس بالماء وحدهُ بل ان اردت ان تغسل فمك نقيًّا فيجب ان تصونهُ عن الهزل والسفاهة والنميمة والكذب والشتم والتجديف والحلف الكاذب. وتزينهُ بتلاوة المزامير والتسابيح وقراءة الكتب الروحيَّة والصدق والارشاد وما اشبه ذلك . والَّا فما بالك تحتمل الاتعاب باطلاً اذ تجتهد في تنقية الفم واللسان بالمياه وهما متدنّسان باقذار الخبائث . وهكذا اقول في تطهير اليدين والرجلين وظاهر البدن كلهِ. فينبغي ان تبعدها عن نجاسات السرقة والخيانة والسعي لتحصيل مقاصد الفسق والظلم والخطف واشباه ذلك . وان تغسلها بمياه الصدقات والاعانة للضعفاء والتفريج عن المتضايقين وامثال هذه من الاعمال الصالحة . ويجب ان تعلم ان اللسان للنفس بمنزلة الفرس للراكب. فكما ان الفرس اذا اهتمَّ بهِ الراكب كما ينبغي وضبطهُ باللجام ونبَّههُ بالمهماز وعلَّمهُ ان ينقل خطواتهِ على النظام الحسن ويمشي مشيةً مرتَّبة أَمِن بهِ من القلق والعثار وخطر السقوط . فاللسان ايضاً اذا ضبطهُ الانسان وقيَّدهُ عن الكلام الذي لايليق وعلَّمهُ ان يلهج بالتسابيح والاقوال الصالحة فانهُ يكون اهلاً لحلول الروح القدس . اسمع كلام سيدنا انهُ من كلامك تتبرَّر ومن كلامك يُحكَم عليك. ويعقوب الرسول يقول ان اللسان عضوٌ صغير من اعضاء الجسد وهو ينطق بالعظائم لان كل طباع السباع والحيوانات وطيور السماء وسمك البحر يذلُّ لطبيعة البشر الَّا اللسان فانهُ شرٌّ لا يُطاق وهو مملوٌّ من سمّ الموت وملبَّسٌ بالصدأ اذ بهِ نبارك الله الاب وبهِ نلعن البشر الذين خلقهم الله على صورتهِ

ومثالهِ . واذا كان الذين يستعدُّون لملاقاة الملك يُزيّنون اجسادهم واعمالهم جميعاً فكيف لانستعدُّ لملاقاة ملك الملوك وكيف يجوز ان نهمل العناية بالنفس الناطقة ونهتمَّ بالاباطيل كاليهود الذين يجتهدون في تطهير الاجساد والاواني . فان قلت وما هي زينة النفس . اجبتك من قول سيدنا لهُ المجد انها الرحمة والمحبَّة واللين والاناة والتواضع والسهولة والاعراض عن اضداد هذه الامور . فسبيلنا ان نجتهد في تطهير نفوسنا الباقية لا اجسادنا البالية لنستحقَّ المديح من سيدنا القادر على خلاص نفوسنا لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والعشرون

مرتبة على قولهِ لا تهتمُّوا لانفسكم بما تأكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون . وهي تتضمن الحثَّ على ترك الامور الفانية وطلب الامور الباقية

ان سيدنا لهُ المجد لاجل محبتهِ لجنسنا وكثرة رافتهِ علينا يحثنا دائماً على ما فيهِ صلاحنا وينبّهنا على ما فيهِ خلاصنا . فيقول لنا تارةً لاتهتمُّوا بالغد وتارةً لاتهتمُّوا بما تاكلون . وتارةً يقول لنا اطلبوا ملكوت الله وبرَّهُ . ويكرّر هذه الاقوال علينا ويضعها دائماً امام ابصارنا لنرسمها في قلوبنا ونتلوها في حال قيامنا وقعودنا واكلنا وشربنا ونومنا ويقظتنا ليحرّك شوقنا الى السمويَّات ونفارنا من الارضيَّات ونظرنا الى نعيم الملكوت عادةً وطبعاً . فاذا ارتسمت هذه الاقوال في نفوسنا وانارت عيون قلوبنا واعتبرنا

حظوظنا السعيدة في دار الملكوت وظهر لنا عظم خسارة الاهتمام بالجسديَّات وشقاوة المنعكفين عليها يخفُّ علينا حمل نير ربنا . واذا كان الفلَّاح الراجي غلَّتهُ يستسهل تعب الحرث والزرع ونفقات الاعمال وتنقية الارض وملاقاة الثلوج والسيول والرياح العاصفة بالنسبة الى الفرح الذي سيحصل عليهِ من تلك الغلَّة الزائلة قريباً . وكذلك البحرية يستخفُّون ملاقاة الاهوال والامواج واللجج وحرَّ الصيف وبرد الشتآء بالنسبة الى ما ينالونهُ من اجرة اتعابهم . وكذلك الجنود يلقون انفسهم في اخطار الحروب والمعارك ويتعرَّضون لضرب السيوف وطعن الرماح ورمي السهام وحمل اثقال الدروع والخُوَذ بالنسبة الى تحصيل مرتَّباتهم المعيَّنة لهم . فما بالنا نحن الذين نترجَّى نعيم الملكوت وسعادة الابد والمملكة السموية لانستخف احتمال نير ربنا الذي هو اخف من جميع هذه الاثقال المذكورة . وما بالنا لا نتعب يسيرًا في زرع الفانيات لنحصد الباقيات دائمًا . وحتى متى لا نطيع ربنا في ترك الاباطيل الدنيويَّة ونتوكَّل عليهِ في تحصيل الخيرات السمويَّة . والى متى يُرينا اهتمامهُ بالمخلوقات الحقيرة التي اوجدها لاجلنا كزهر النبات وطير السماء وصيد البحر وامثال ذلك لنزدجر عن جهلنا ونحن لانعتبر . فان قلت اما قال ربنا ان طريق الخلاص عسر والباب المؤدّي اليهِ ضيق . اجبتك انهُ قال ذلك مخاطباً للكسالى والمتهاملين في طلب الفضيلة لان هولاءِ لانهماكهم في الاطعمة والاشربة واللذات البدنية يعسر عليهم الصوم والصلوة والتقشف . ولذلك شبَّههم بالكلاب والخنازير لاجتهادهم في الامور الارضية وتركهم الباقيات

السموية. لان المكثرين من معاشرة النساء وحضور مجالسهن وسماع كلامهنَّ يظنون انهُ لا يوجد في الرجال عفيف. وكذلك القاطعون النظر عن الباقيات التابعون اللذات البدنية يظنون انهُ لا يوجد احدٌ من البشر زاهدٌ كما ينبغي. والاَّ فربنا يسمّي الاهتمام بالارضيات احمالاً ثقيلة ويدعو السماويات احمالاً خفيفة حيث يقول تعالوا اليَّ ايها المُتعَبون والثقيلوا الاحمال وانا اريحكم. فسبيلنا ان نترك الاهتمام بامور اجسادنا ونحرص على عمل الفضائل المقربة من ربنا والهنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة السادسة والعشرون

مرتبة على فصل قاضي الظلم. وهي تتضمَّن الحثَّ على الصلوات والعناية بخلاص النفوس

ان سيدنا لهُ المجد لاجل رافتهِ واشفاقهِ علينا يحثنا على ما فيهِ خلاصنا فيطلب منا ان نُصلّي دائمًا ونطلب نعمتهُ طلبًا متواترًا لتكون رحمتهُ لنا واحسانهُ علينا بطريق الاستحقاق. ويضرب على ذلك لنا الامثال بقاضي الظلم والملتمس الخبز من صديقهِ بالحاحٍ وتكرارٍ وغير ذلك. ويُنهض عزمنا ويضرم نار شوقنا ويبكّت نفوسنا المتراخية في حقيقة الطلب. ويقول اذا كان هذا القاضي الظالم الزمنيُّ الآخذ بالوجوه المرتشي في الاحكام البعيد عن الخوف من الله وعن الحياء من الناس لما ضجرتهُ بالالحاح وتكرار الطلب تلك المرأَة الارملة الخالية عن الحقوق الموجبة الانتقام من خصمها.

قام لها هذا الالحاح مقام الرجال والمال وكانت كانها اجبرت حاكم الارض على الانتقام من غريمها . فكيف لا يعطينا ملك الملوك الحاكم على جميع البرايا جميع مطلوباتنا اذا كنَّا نطلب منهُ دائمًا باجتهادٍ . واذا كان لنا جسمٌ مائتٌ ونفسٌ غير مائتة ودارٌ تزول ودارٌ تدوم فكيف نهتمُّ بالمائت والزائل ونترك الغير المائت والدائم . ويا للعجب من كون احدنا يمرض عندهُ غلامٌ فيقول لاهل بيتهِ ينبغي ان يراه الطبيب . واذا حضر الطبيب ونظر في حالة ذلك المريض امر لهُ باستعمال الادوية كما يراهُ صوابًا في صناعتهِ ورتَّب لهُ استعمال الاشربة والاغذية والمضجع والهوآء وامر اهل بيتهِ ان يكتموا عنهُ الاخبار المزعجة ويجتنبوا تكديرهُ بما لا يوافق هواهُ . فان جميعهم ينتبهون الى وصايا الطبيب كلها ويحرصون على اعطائهِ الادوية في اوقاتها ويوكلون بهِ من يتولَّى المحافظة عليهِ من جميع الجهات الى ان يبرأ . فاذا كان اهتمامنا هكذا بالعبيد والخدم لانهم يخدمون اجسادنا المائتة فما بالنا نرى النفس الخالدة تتألم بانواع الامراض ولا نهتمُّ بمداواتها . فان قلت هل النفس تمرض . اقول نعم ويعلوها الصدا والسواد والظلمة . وان قلت فما امراضها . اجبتك انها تمرض تارةً بحب الغنى . وتارةً بالانهماك في التنعُّم . وتارةً بالعشق والخلاعة . وتارةً بالسكر والاسراف . وتارةً بالظلم . وتارةً بالغضب . وتارةً بالحسد . وغير ذلك مما يطول شرحهُ . فان قلت ومن هو طبيبها . اجبتك ليس لها طبيبٌ واحدٌ بل كثيرون . وهم ليسوا ممَّن يطلبون اجرةً . ولا يقبلون هديَّةً . ولا يكلّفون ابتياع ادويةٍ بل يداوون كلَّ واحدٍ مجَّانًا . فان طلبت معرفة هولآء الاطبآء فهم

متَّى ومرقص ولوقا ويوحنا وبطرس وبولس ويعقوب وبقية الرسل والانبيآء.
واعلم يا هذا ان اقوالهم تثقل عليك اولاً لانهم يأمرونك بما لا يوافق هوى نفسك كما يثقل على المريض بالجسد قول اطباءَ الاجساد لانهم يأمرونهُ باجتناب اكل اللحوم والفواكه وتقليل الغذآء والاقتصار على اكل البقول والمزوَّرات ونحو ذلك فيكرهون كلامهم ويضجرون منهُ . وكذلك اولئك السُعَدآء اطباءُ الانفس فانهم يامرونك باجتناب اللذات البدنية ومقاومة هوى الطبيعة فيقولون لك لا تزنِ ولا تسرق ولا تنظر نظر المشتهي ولا تحسد ولا تبغض ولا تستكثر من الخمر وغير ذلك . واستعمل لمداواة نفسك الصوم والصلوة والصدقة والزهد في العالميات واشباه ذلك . فانك تكره ذلك اولاً وتنفر منهُ ولكن اذا اضطرَّك الامر الى استعمالهِ فستحمد العاقبة كما يحمدها المريض عند شفائهِ ويشكر فضل الطبيب . واذا كنت الى الان مهملاً مداواة نفسك فمتى تعتني بها . أَبَعد خروجها من الجسد . كلَّا فان ذلك الوقت وقت الندامة لا وقت المداواة . كما ان مداواة مرض الاجسام انما تكون ما دامت الروح فيها لا بعد الموت . وكذلك الملَّاحون يعتنون بسياسة السفينة وهي مشحونةٌ بوسقها جارية في لجَّة البحر فانهم عند ذلك يراعون سلامة الآلات والقلوع وحفظ الامتعة الموسوقة فيها . ويُنهضون الرجال للعمل ويميزون هبوب الرياح ويحذرون التطوُّح وملاقاة الصخور ونحو ذلك . واما بعد غرق السفينة فانهم يهملون كل هذه العناية . وكذلك النفس انما ينبغي سياستها ومداواة امراضها ما دامت في هذا العالم . واما بعد مفارقتها

لهُ فلا حيلة تنتفع بها هناك . فسبيلنا ان نعتني دائمًا بمداواة امراض نفوسنا ونترك الاهتمام بزينة اجسادنا لنجد رحمةً امام ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والعشرون

مرتبة على قولهِ انسانٌ كان لهُ ابنان . وهي تتضمَّن الحثَّ على الصَّدَقة والاعتناء بالباقيات

اذا كنت يا هذا اخذت نصيبك من المال وانفقتهُ مع الخارجين وعاشرت الفاسقين واصحاب الخلاعة وتبعت اللذَّات والشهوات البدنية زمانًا طويلًا افما حان لك ان ترجع الى ابيك وتقرع باب رحمتهِ بالتوبة والاستغفار لكي يُلبِسك الحلَّة الاولى وخاتم الذهب وتاكل العجل المسمَّن وتستريح من عذاب الغربة واكل الخرنوب ورعي الخنازير ومكابدة ذلّ الخدمة . وما بالك لاتنهض من نوم كسلك وتبادر الى حضن ابيك قبل ان ياخذ اخوك جميع الخزائن وتكون انت خارجًا وعاريًا . ويا للعجب من كون هذا النازح عن ابيهِ المخالف لهُ زمانًا طويلًا المبدّد مالهُ مع الزواني كيف انهُ لمَّا رجع وقرع باب رحمتهِ اكرمهُ وجاد عليهِ بالملابس والاطعمة الشهيَّة . وانت قد يرجع اليك اخوك المسيحيُّ وقد بدَّد مالهُ في اصطناع الخير وافتقر الى قصد منزلك فلا تلقاهُ كما ينبغي لكنَّهُ يسأَلك فلا تقبل السؤَال . ويستعطفك فلا تنعطف . ويعتذر فلا تسمع . ويخاطبك بصوت الذلّ فلا ترحمهُ . هذا مع انهُ يطلب

رغيفًا او قليلًا من الفضة فكيف لو طلب منك حلَّةً من الديباج او خاتمًا من الذهب . وكيف يرسل اليك الشيطان جنودهُ الذين يرقصون في الملاعب ويهزلون وينصبون خيال الظلّ ويتكلمون بما لا يليق ويُعِدُّ لك اذا قبلتهم الهلاك في الجحيم وانت تبادر الى اكرامهم بالعطايا والثياب والعمائم وتتزايد مع غيرك في هذا الاكرام . ويرسل اليك المسيح اخوتهُ المساكين ويمدُّ اليك يدهُ امامهم ويُعِدُّ لك اذا قبلتهم الخلود في النعيم فلا تسمع لهُ ولا تلتفت اليهِ . ولعمري ان المسيح هنا يشبه رجلاً بيدهِ حلَّةٌ نفيسةٌ من الارجوان مرصوفةٌ بالذهب والجواهر الكريمة وهو يشير الى العابرين ان من قبل احد عبيدهِ في الغربة كانت لهُ هذه الحلَّة الثمينة . والشيطان يشبه رجلاً من الخادعين بيدهِ ثمرةٌ مملوءَةٌ من السموم القاتلة وهو يُبرزها ويصفها بصفة المآكل اللذيذة ويغرُّ بمنظرها الجهلاءَ المغفَّلين . افلا ترى كيف تتسابق الصبيان الى تلك الثمرة ولا يلتفتون الى تلك الحلَّة الشريفة . واذا عرفت يا هذا ان لك منزلين احدهما في دار الدنيا والآخر في دار الاخرة وانك ستفارق احدهما بالضرورة عاريًا من جميع مقتنياتك وتصير الى الاخر وتكون فيهِ دائمًا فما بالك لا تعرف حظك وتنزع هواك من قلبك وتحمل ذخائرك من دار غربتك الى دار مقرّك الابدي . فان قلت وكيف انقل ذخائري الى هناك وانا اذهب عاريًا قلت قد قال المسيح أَعطِها لاخوتي المساكين وانا اعوّضك عن جميعها مما لا يفنى وليس بمثلها فقط بل عن الواحد اضعافًا كثيرة . وان بخلت نفسك عن هذا العطاءَ وحاربك الشيطان ومنعك عن الرحمة

فقل لنفسك معاتباً لها أليس انكِ يانفس في كل مدةٍ تصنعين موسماً وتُعِدّين وليمةً للاصحاب وتنفقين مبلغاً من المال في ثمن الخراف والدجاج والخمر والفواكه وغير ذلك مما لاترجعين منهُ الى غايةٍ اكثر من طرحهِ في القاذورات سريعاً . فما بالكِ لاتُعِدّين وليمةً لخالقكِ وموجدكِ من العدم وتكرميهِ بها مرَّةً واحدةً في الاسبوع لكي يجازيكِ عن ذلك بسعادة الابد . فان امتثلَتْ هذا الراي وعرفَتْ الفوائد التي تحصل لها منهُ فاحسب لها ثمن نفقة هذه الوليمة الطاهرة حيث لايكون خراف ولا دجاج ولا خمر ولا فواكه غيرَ خبزٍ وماءٍ فقط واجعل ذلك في الاسبوع لافتقاد المحتاجين . ويا للعجب من كون المنا لهُ المجد جاد عليك بالنفس والجسد وفضَّلك على جميع المخلوقات وسلَّطك على جميع الحيوانات والنباتات والمعادن واذلَّها لطاعتك واعدَّ لك سعادة الابد وانت تبخل عليهِ باليسير ممَّا اعطاك ويسألك المحتاج شيئاً يسيراً فتردهُ فارغاً او تعطيهِ بعض الاحيان كارهاً . وكيف لانستحي من خالقنا عند ذلك . ولماذا لانتذكَّر قول الرسول ان من يزرع باشفاق باشفاقٍ يحصد . ومابالنا لانتشبَّه بالمؤمنين في البلاد الاخرى الذين يحملون الى بيعة الله من العشور والابكار والنذور والصدقات وغير ذلك ما يعول ثلثة آلاف نفس دائماً في مدينةٍ واحدة وكنيسةٍ واحدة . وليس ذلك مما يحتاجون اليهِ من القوت وحدهُ بل من الملابس وغيرها ايضاً . وذلك عدا حاجات المرضى والوافدين من الغرباء والذين في السجون وخدَّام المذبح وغير ذلك . فسبيلنا ان نستيقظ من غفلتنا ونجتهد في نقل اموالنا الى دار مقرّنا الابديّ عن يد

اخوتنا المساكين لنأخذ هناك المجازاة من ربنا ومخلصنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والعشرون

مرتبة على انجيل الخاطئة وغدر يهوذا . وهي تتضمن الحثَّ على طهارة النفس قبل التقدُّم الى الاسرار الالهية

يجب ان نهرب ايها الاحبَّآء من محبة المال والشراهة وطلب الاكثار من حطام الدنيا لان المريض بهذا الدآء يشتهي ان تمطر السمآء ذهباً وتثمر الارض سبائك وتنبع العيون فضةً وتستحيل الجبال معادن . ويبغض الاغنيآء حسداً على مالهم ويكره الفقرآء خوفاً من الجود عليهم . وينكر الاهل والاقارب لئلَّا يُثقّلوا عليهِ . وبذلك يستعدُّ لعقوبةٍ عظيمةٍ من الله . فان يهوذا الذي كان تلميذاً ورسولاً للمسيح وكان مشاهداً عجائبهُ ومعجزاتهِ لما أُصِيب بحبّ المال سلب منهُ هذا الدآء صحَّتهُ فصار عادم العقل مظلم البصيرة وحشيَّ الطباع رديَّ السريرة عارياً من الايمان غارقاً في بحار الغدر والخيانة بائعاً سيدهُ بابخس ثمن مخلَّداً مع الشياطين في الدَرَكات الجهنميَّة . وتلك الامرأَة الصحيحة العزم لما استهانت بمالها استحقَّت ان تمسَّ قدمي يسوع الطاهرتين وتبلَّهما بدموعها وتمسحهما بشعرها لتنال مغفرة خطاياها الكثيرة . واذ قد عرفنا الآن سبب سقوط يهوذا وانتشال هذه الزانية فلنجتهد في اجتناب حبّ المال والهرب من كل رذيلةٍ وان

لا نتقدَّم الى جسد سيدنا كما تقدَّم يهوذا الخائن ونحن متمسِّكون بحب الفضَّة مظهرون الوَرَع مضمرون الخبث والحسد فنكون مذنبين اليهِ وناخذ اعظم دينونةٍ . ان الذين يريدون شرب الدوآء لازالة امراضهم يأمرهم الاطبَّآء اولاً بالحِمْية والامتناع عن تناول الاطعمة الرديَّة . ويكلّفونهم استعمال المُنضِجات والاغذية اللطيفة . ويُقدِّرون لهم اوقات الغذْآء واوقات الرياضة لكي تتقطَّع الاخلاط اللَزِجة وتتلطَّف الفضلات الكثيفة وتنفتح المجاري المنسدَّة . وبعد ذلك يُطلِقون لهم استعمال الدوآء لعلمهم ان الدوآء اذا استُعمِل على خلاف مقتضاهُ يُشوِّش نظام الطبيعة ويثير الاخلاط الساكنة ويُعرِّض البدن لحدوث امراض اخرى . وكذلك الذين يريدون زرع غلَّاتهم يتقدَّمون اولًا بالاهتمام في حرث الارض واصلاحها وتنقيتها من الاشواك والحجارة . وبعد ذلك يلقون بذارهم فيها على وثيقةٍ . وكذلك الذين ينتظرون حلول الملوك في منازلهم فانهم يتقدَّمون اولاً بتنظيف الاوساخ واخراج الزبالة ثم يفرشون البسط والطنافس ويُصفِّفون اواني الاشربة ويزخرفون المجالس بقدر ما يستطيعون . والَّا فيعتريهم الخجل والهوان . فاذا كان الذين يريدون شرب الدوآء والذين يبذرون الزروع والذين يُضِيفون الملوك يتقدَّمون بهذا الاحتياط والاهتمام وكل فريقٍ منهم يخشى ان يكون قد قصَّر في عمل الواجب عليهِ . فما بالنا نحن نتقدَّم لتناول الجسد الالهيّ من غير ان نُطهِّر ذواتنا ونُنقِّي قلوبنا من وَضَر الآثام ونتزيَّن بالصفات الكاملة اللائقة باقتبالنا هذا السرَّ العظيم . وكيف لا نذوب وجلاً وخجلًا اذا تقدَّمنا الى

المسيح وتعرَّضنا لاخذ جسدهِ الطاهر ونحن ملطَّخون باقذار الخطايا . اسمع يا هذا قول بولس الرسول ان من ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس وهو غير مستحقٍّ لذلك فهو مذنبٌ الى جسد ربنا ودمهِ الكريم وانما ياكل دينونةً لنفسهِ اذ لم يُميِّز جسد الرب . ولذلك تكثر فيكم الامراض والعلل والذين يموتون بغتةً . فليمتحن الانسان نفسهُ ويُصلِحها وحينئذٍ ياكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكاس . والقانون المقدس يقول اذا تكاملت الصلوات كلها فليَقُل القسيس او احد الشمامسة من كان طاهرًا فليدنُ من الاسرار الطاهرة ومن كان غير طاهرٍ فلا يدنُ منها لئلَّا يحترق بنار اللاهوت . ومن كانت لهُ عثرةٌ مع اخيهِ اوكان فيهِ فكر زنىً او كان سكِّيرًا اوغاصبًا او غير ذلك من اهل المعاصي فلا يدنُ منها . ويقول الروح القدس على لسان النبيّ للخاطي قال الله لماذا انت تخبر بعدلي وتاخذ عهدي بفمك وانت قد ابغضت الادب والقيت كلامي الى خلفك وان رأَيت سارقًا تجري معهُ ومع الفاسق جعلت نصيبك وفمك يُكثِر من الشرّ ولسانك يضفر غشًّا واذا جلست تقع باخيك . ويقول في اخبار الافاضل ان بعض القديسين اقام سائحًا في الجبال والبراري والمغاير اكثر من اربعين سنة حتى اظهر الله لهُ الخفايا وأَنِسَت بهِ الوحوش الضارية وخدمتهُ السباع الهائلة . وبعد ذلك اشتاق الى تناول الاسرار الطاهرة فوقف امام الله وصلَّى ليأْذن لهُ في الذهاب الى بعض الديورة ليتناول الجسد الشريف . فاتاهُ صوتٌ من السماء قائلًا اختبر ذاتك فان وجدتها كعمود النور الصافي الذي لا دنس فيهِ فاذهب وتناول

القربان المقدَّس . فما بالنا نحن نتسابق اليهِ كالاطفال ونتزاحم كالوحوش ونتدافع كالمجانين . فينبغي لنا ان ننتبه من غفلتنا ونتقدَّم بقلبٍ نقيٍّ وايمانٍ وثيقٍ الى جسد ربنا كما قال الرسول وقلوبنا مرشومةٌ نقية من الهواجس الردية واجسادنا مغسولةٌ بالمياه الصافية متمسكين بالاعتراف برجائنا غير حائدين عنهُ . ويا للعجب من ان احدنا اذا عزم على مخاطبة الملك يجتمع اولاً ببعض رجال دولتهِ ليختبر اخلاق الملك وعادتهُ ليُهذِّب اخلاقهُ بحسبها . واذا اذن لهُ في الدخول يُقبِّل الاعتاب اولاً وارض المجلس ثانياً وطرف البساط ثالثاً ويقف خائفاً مرتعداً . واذا اشار عليهِ احد رجالهِ بان لا يُقدِم على الملك لاجل وسخ ثيابهِ او لاجل ما يبلغ الملك عنهُ من رداءَة سيرتهِ يقبِّل يدي ذلك المشير ورجليهِ لانهُ حذَّرهُ ونصح لهُ قبل وقوع المكروه بهِ . لانهُ لو دخل على الملك وهو غير اهلٍ لذلك لخرج مطرودًا مهانًا . وانت يا ايها العزيز يقول لك الكاهن الذي هو احد رجال دولة المسيح لا تتقدَّم اليهِ لئلَّا تحترق بنار اللاهوت لانهُ بلغني انك فاسقٌ او سارقٌ او سكّيرٌ او غير ذلك فتغضب من كلامهِ ولا تلتفت الى نصيحتهِ . فكيف تغضب من كلام النصوح المحبّ لك والمُشفِق عليك . اسمع قول الله لموسى النبيّ في القرابين المأخوذة من شحم الحيوان ان كل نفسٍ تتقدَّم الى المذبح وهي غير طاهرة تهلك تلك النفس من شعبها . واذا كان الطبيب يمنع من تناول الدواءَ بدون استعدادٍ اشفاقاً على المريض والكاهن يمنع من تناول الاسرار بدون استحقاقٍ اشفاقاً على من يريد ان يتناولها وحذرًا من حلول العقوبة بهِ

فكيف يغضب الجهلاء على الذين ينصحون لهم ويُعرِّضون انفسهم للبلاء العظيم . فان كنت يا هذا جاهلاً قيمة جسد سيدك فاسمع يوحنا مخاطباً للكهنة حيث يقول ايُّ يدٍ تتجاسر على الدنوّ من هذه الذبيحة وايُّ نظرٍ يستطيع ان ينظر عظم شرفها . وكيف لا يجب ان تكون ابهى من الشمس وارفع من السماء بعيدةً من كل نقيصةٍ . ولهذا تكون عقوبتكم غير صغيرة لانكم لم توزّعوا هذه الذبيحة بحرصٍ شديد . لانك اذا عرفت عن انسانٍ انهُ رديُّ السيرة وسمحت لهُ بتناولها فدَمُهُ يُطلَب منك ولو كان رئيساً او حاكماً او قائد جيشٍ او صاحب تاجٍ او ارفع شاناً من ذلك . لانك قد أُعطِيت السلطان على التصرُّف في هذه المائدة . واذا كان سلطانها مسلَّماً اليك هكذا فلماذا لا تكون وكيلاً اميناً . فسبيلنا ان نُطهّر سرائرنا ونُنقّي ضمائرنا قبل التقدُّم الى الجسد الطاهر لكي نفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والعشرون

مرتَّبة على قول البشير في ذلك الزمان اجتاز يسوع في السبت بين الزروع .
وهي تتضمَّن الحثَّ على الاهتمام بصالح الانفس لا بالاواني الذهبيَّة النفيسة

ينبغي لنا ان نتمسك باقوال ربنا ونحافظ على خلاص نفوسنا لنكون اهلاً لقبول المواهب الالهية والخلود في النعيم الابدي . فان الذين كانوا ينظرون الى طهارة الاجسام والاواني وتفضيل الايام باعتبار ذواتها حتى

بلغ من جهلهم انهم ينكرون على من يفرك يوم السبت سنبلةً او يشفي مخلعاً وامثال ذلك سقطوا من مراتب الفضيلة وحُسِبوا مع الخائبين . لانهُ انما يريد رحمةً لا ذبيحةً . ولهذا ينبغي لنا الاهتمام بمصالح النفوس لا بذات الايام مجرَّدةً ولا بالاشياءِ المصنوعة لخدمة الناس . ولهذا لا نظنَّ يا هولاءِ انهُ يجدينا نفعاً في امر الخلاص ان نغتصب اموال اليتامى والارامل وامثالهم ونصنع بها كاساً للقربان من ذهبٍ مرصَّعاً بالحجارة الكريمة ومائدةً للاسرار المقدَّسة وغير ذلك . ولكن ان اردت يا هذا ان تكرم الذبيحة الطاهرة فاكرم الانفس التي ذُبحت لاجلها لان سيدنا الهُ المجد نزَّل هذه الانفس منزلتهُ حيث وبَّخ الذين لا يهتمون بها بقولهِ جعت فلم تطعموني وعطشت فلم تسقوني وكنت عرياناً فلم تكسوني وغير ذلك من العبارات الواردة في الانجيل الشريف . فان اهملت هذه وتركتها وصنعت لتلك اواني من الذهب والفضة فانك لا تستفيد شيئاً . ولهذا اقول لك لا تهتمَّ بان تصنع للكنيسة اواني ذهبٍ وفضة او هياكل مرصعة او ستوراً ثمينة بل افتكر كيف ترضي الذي تفعل ذلك من اجلهِ فان هذا افضل من الذهب الخالص لان الكنيسة ليست قاعة ملكٍ بل هي محضر الملائكة . ولهذا تحتاج الى اصلاح النفوس لا الى الاواني النفيسة . والله تعالى انما يقبل العناية بالنفوس لا بالعوارض الخارجية . فان المائدة التي قدَّم المسيح عليها اولاً لم تكن من فضةٍ ولا الكاس التي ناول تلاميذهُ بها من ذهبٍ . وانما كان شرفها بامتلآئها من الروح الالهي . فان اردت يا هذا ان تكرم جسد المسيح فاكرمهُ كما يريد هو لا كما تريد انت لان الكرامة انما تكون مقبولةً اذا

وافقت غرض التي نُقدَّم لهُ . لان الملوك قد يُقدَّم لهم هدايا من الذهب والفضة ولا يلتفتون الى مهديها اذ لا موقع لها عندهم ولا اعتبار . ويلتفتون الى من اضاف غلاماً لهم في الغربة ولو بقرصٍ من شعير او شربةٍ من المآء . فاذا عرفنا ذلك فينبغي لنا ان نكرمهُ الكرامة التي هو فرضها علينا وهي ان ننفق اموالنا على الفقرآء ونعول الايتام والارامل . لان الله لا ينظر الى اواني الذهب بل الى الانفس الذهبية . على انني لا اقول هذا ناهياً اياكم عن ان تقدموا للكنائس مثل هذه الهدايا بل عن الاشتغال بتقديمها عن رحمة المحتاجين حتى ان الاهتمام بهم ينبغي ان يكون اكثر لان الله يقبل الهدايا المذكورة ولكن الرحمة اكثر قبولاً عندهُ . لان مقدّم الهدايا للكنيسة ينتفع بها وحدهُ واما المتصدّق على الفقرآء فينفع مع نفسهِ كثيرين . وتلك يُظَنُّ انها قُدِّمَت للافتخار وهذه لقصد الرحمة . الا ترى انك لو رايت انساناً يتضوَّر من الجوع والعطش فاخذتهُ الى منزلك وجعلت تهتمُّ لهُ بزينة البيت والمائدة فتنشر سجوف الديباج وتُعلِّق قناديل الفضة وغير ذلك من الزخارف ولا تهتمُّ بسدّ جوعهِ وريّ عطشهِ أَلَا تزيدهُ بذلك تحرُّقاً وتوجُّعاً وتُعرِّض ذاتك للثلب وتُنزِّل نفسك منزلة المجانين . وقد كان رغيفٌ من الخبز وقدحٌ من المآء يمنعان عنك هذه الريبة . واقول ايضاً ان اواني الذهب والفضة قد تُقدِّمها الملوك وعظمآء الناس والمَرَدة حتى اللصوص والخَطَفة . واما الرحمة فهي مختصةٌ بالاتقيآء الخائفين من الله . ولو فحصنا الناموس العتيق والجديد لوجدنا كثيراً من الوصايا بالرحمة كقولهِ اعطوا صدقةً وكل شيءٍ يطهر لكم وقولهِ اني اريد رحمةً

لا ذبيحةً وغير ذلك . واذا عرفنا حقيقة هذه الاقوال فلنزرع بالبركات الكثيرة وناخذ بالمكاييل الفائضة وننال نعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثلثون

مرتّبة على فصل التجلّي . وهي تتضمّن توبيخ الذين يعطون اموالهم بالربآء .

انهُ يجب علينا ان نُطهِّر ذواتنا ونُنقِّي سرائرنا ونجتهد في العمل باقوال ربنا وننتظر سعادة الملكوت لنرى مجدهُ الذي لا يُوصَف متجلّيًا علينا لا في راس جبلٍ بل في حضيضٍ من الارض عند ما يجلس على كرسيّ الدينونة . ولا مع ثلثةٍ من الناس بل مع جمهورٍ من السمويين . وكيف يمكن ان نكون منتظرين سعادة الابد وطائعين اوامر ربنا ونحن نغلق ابوابنا في وجوه المساكين ونسدُّ آذاننا عن استماع تضرُّع المحتاجين بل عن استماع اقوال الانبيآء والمُرسَلين ايضاً . لانك اذا سمعت بولس يُبشّر ويوحنا ومتّى يخبران بالعظائم التي للمسيح وانت لا تُصغي اليهما فكيف تُصغي الى سؤال الفقرآء والمساكين . ويا للعجب من كونك اذا رجعت من دفن اخيك او صاحبك تبادر الى غسل يديك ورجليك وتصبُّ المآء على راسك ولا تفعل كذلك اذا تنجست بالخطايا . وكيف لا تكون نجساً بالنفس والجسد حينما تصاحب الزواني والفاسقين والمرابين والسحرة والمنجمين . وتُعرِض عن تضرع المساكين . وانت لا تصاحب الاشرار فقط بل تدعوهم الى

منزلك وتهتمُّ بحوائجهم وتشاركهم في اعمالهم الخبيثة . واذا كان لك سعةٌ من المال وجاءَك محتاجٌ متضرِّعًا اليك ان تفرج كربتهُ بان تقرضهُ ما يقضي حاجتهُ بهِ فانك تقابلهُ اولاً بالاعتذار وثانيًا بالجفاءِ والعبوسة . فان رايتهُ قد زاد بهِ القلق واشتدت لجاجتهُ تقول لهُ بوجهٍ عبوسٍ اتريد ان اعطيك حنطةً او حريرًا ونحو ذلك . فان رضي اعطيتهُ الصنف بثمنٍ مضاعفٍ وكتبت عليهِ صكًّا بالثمن فيخرج من منزلك وقد غمرتهُ امواج الفِكر وقيَّدتهُ حبال الحاجة . ثم لا يلبث زمانًا يسيرًا حتى تطالبهُ بالوفاءِ فان ابطأ شكوتهُ الى الوالي فامر بحبسهِ حتى يحتاج الى بيع عمامتهِ وثوبهِ وامتعة بيتهِ . أَفرأَيت عظم هذا الداءِ ورداءَة جريرتهِ . ان اخاك طلب منك اسعافًا فالقيتهُ في السجن والاغلال . ويا للعجب من اولاد كنيسة الله وبني المواهب الجليلة الذين ندَبتهم الشريعة الى ترك الاهتمام بالمكاسب المحلَّلة بعد تحصيل كفاية المعيشة كيف صاروا ينهشون لحوم المساكين حرامًا وينهبون بيوت الارامل والايتام كالبرابرة . فانظر يا هذا الى محبة المال والارباح العالمية كيف تعمي العيون الباصرة وتُغشّي البصائر السليمة وتُصِمُّ الآذان السامعة وتُغيِّر عواطف القلوب . لانك يا ايها المرابي قد علمت ان الدنيا سريعة الزوال وان الاخرة دائمة البقاءِ فكيف لا تميِّز بين هذه الارباح الكاذبة وبين الارباح الصادقة في السعادة الابدية . افرأيت كيف سددت اذنيك عن استماع اوامر الملك وحجبت بصيرتك عن تعقُّل اقوال الناصحين واعرضت عن سماع الزواجر والتنبيهات حتى صرت ترى الناس يزرعون وردًا وانت تزرع عوسجًا . وتراهم يشربون ماءَ

زلالاً وانت تشرب ماءً زُعاقاً . لان اولئك يستقبلون المحتاجين بالبشاشة والوداعة ويهتمون بقضاء حاجاتهم وانت تفتل لهم حبالاً وتصنع لهم اغلالاً . ولعمري ان الذين يتاجرون في البلاد البعيدة والذين يعانون زراعة الضياع وان كانوا يكابدون اتعاباً وهموماً وغرامات شتّى لا يبلغون الى حدّ الخسارة الصائر انت اليها . لان التجّار يكابدون مصاعب الطرق ومخاوف اللجج واهوال اللصوص والخطفة الا انهم يتفرّجون في البلاد الغريبة . وان قصّرتْ ارباح البضائع فلا اقلّ من حصولهم على راس المال . وكذلك الذين يهتمون بزراعة الارض فانهم ولو اتعبوا انفسهم بتحصيل المهمّات والبقر والبذار والعمار وتنغصوا تارةً بقلّة المطر وتارةً بفساد الزروع لا بُدَّ ان يحصلوا ولو على البذار وتكون افكار الفريقين مستريحةً من سوء العواقب . بخلاف جنود الرباء فانهم يُفرِّغون صناديقهم من المال ويبدلونهُ بالصكوك والدفاتر ويتوهّمون ان لهم اموالاً وهم على هذه الحالة يشترون بهذه الاموال دركات الجحيم . ولا بُدَّ ان تكون افكارهم مضطربة من هذه العاقبة الخبيثة . فسبيلنا ان نهرب من هولاء ونجتنب سوء اعمالهم لنفوز بملك ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والثلثون

مرتّبة على قولهِ لا تهتمّوا لا نفسكم بما تاكلون ولا لاجسادكم بما تلبسون . وهي تتضمّن تبكيت الذين لا يُطعِمون الجياع ولا يؤاسون المحتاجين

تأمَّلوا يا معشر الذين يتنعَّمون وينفقون اموالهم في الاطعمة اللذيذة والاشربة المسكرة والملابس الفاخرة وبالجملة في الامور الغير اللازمة لقيام الحيوة واخوتهم المشاركون لهم في عبودية السيد المسيح يموتون جوعاً وعطشاً ويتضوَّرون من احتياج القوت الضروري . ان الذي أُعطيناهُ وجُعِل في ايدينا ليس هو لنا فقط بل لنا وللمحتاجين على حدٍّ سوى . فكما نستعملهُ في ما نحتاج اليهِ احتياجاً ضرورياً يجب ان نمنح المحتاجين منهُ ما يقضون بهِ حاجاتهم الضروريَّة ولا نُخصِّصهُ بما يخصُّ ذواتنا فقط . ويجب ان نطيع الرسول في ما امر بهِ ونهى عنهُ في هذا الصدد . فان روح مرسلهِ قد نطق فيهِ قائلاً لا يطلبنَّ احدٌ ما يوافقهُ ولكن ليطلب كل واحدٍ ما يوافق قريبهُ ايضاً . فان الله قد اظهر طرقاً كثيرة للخلاص ولم يحصر الفضائل جميعها في تعلُّقها باشخاصنا فقط بل جعل منها ما يستقرُّ في ذواتنا كالصوم والصلوة والعفَّة ونحو ذلك . وما ينتهي الى غيرنا كالصدقة والتعليم والمحبة وامثالها . فان هذه تنفعنا وتنفع الذين اتَّجهت من نحونا اليهم . ولاريب ان هذه الفضائل المتجهة الى القريب تُبنَى على المحبة وهي من خصائص تلميذ المسيح وبها يُعرَف انهُ تلميذهُ كما قال لهُ المجد بهذا يعرف الناس انكم احبَّاءي اذا احبَّ بعضكم بعضاً . ولهذا قال بولس التلميذ الحقيقيُّ ولو اطعمت مالي

واسلمت جسدي ليُحرَق ولم تكن لي محبةٌ فلستُ انتفع بشيءٍ . فهذه غايةٌ عظيمةٌ . واعظم منها انهُ لو ان انسانًا بذل دمهُ في الشهادة . وآخر لم يتقدم اليها وقدَّم عليها خير القريب لكان ناجحًا مفلحًا . لان بولس الرسول قال في هذا المعنى ان الانصراف والكون مع المسيح افضل لي غير ان المقام واللبث في الجسد مهمًّا تدعو اليهِ الضرورة اكثر من اجلكم . فانهُ فضَّل خير القريب على الانصراف الى المسيح الذي هو غاية مرادهِ . فقد تقرر ان الصدقة عظيمةٌ جدًّا لان معها يُقبَل الصوم كما قال النبيُّ ان مثل هذا الصوم هو الذي يُرضِي الله ومعهُ تصعد الصلوة . لان الكتاب يقول ان صلواتك وصدقاتك قد صعدت ذكرًا لك قدام الله . والعفة والبتولية بدونها لاتستقلَّان بالدخول مع الختن . فان العذارى الجاهلات لمَّا لم يكن في مصابيحهنَّ زيتٌ وقفنَ خارجًا وأُغلِق باب بيت الختن دونهنَّ . ولعمري ان التحصن ليس لهُ عديلٌ حتى ان هذه الفضيلة اعني البتولية لسموّها لم تدخل تحت ضرورة العهد العتيق ولا العهد الحديث . فاذا كان المتحصّن بدون الرحمة لم يقدر ان يعبر الى هناك . فمَن يمكنهُ بدونها ان يدخل ملكوت الله الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والثلثون

مرتَّبة على قولهِ اسألوا تُعطَوا . وهي تتضمَّن الحثَّ على الصلوات والتضرع

اذا كان ربنا برحمتهِ ورافتهِ يريد منا ان نسألهُ فيجود علينا ونطلب منهُ

فيعطينا اضعاف مطلوبنا وان نقرع باب رحمتهِ فيفتح لنا فما بالنا نتهاون في طلب الخلاص . وانهُ قبيحٌ بنا ومخالفٌ لمقاصدهِ تعالى ان نلتمس منهُ ما تلتمسهُ الخوارج فنطلب منهُ الزيادة في الاموال وكثرة الخصب والغلبة على الاعداءٓ واشباه ذلك . لان هذه الامور تطلبها الغرباءُ عن شريعة المسيح . واما الذين اشتراهم المسيح بدمهِ وفداهم بنفسهِ واعدَّ لهم السماءَ مسكنًا وامرهم ان لا يقفوا في الفضيلة على التشبُّه بالملائكة بل دعاهم الى التشبُّه بسيد البرايا كلها على قدر الطاقة البشرية فينبغي ان يكون طلبهم موافقًا لارادتهِ لكي يُخوّلهم المملكة السموِيَّة والسعادة التي لا نهاية لها . فان قلت واذا كان الله المعطي رؤُوفًا رحيمًا جزيل العطاءٓ بهذا المقدار كثير التحنن على شعبهِ فما الحاجة الى تكرار الطلب ودوام السؤال . قلت ان ذلك لكي يتبين للمتهاملين انهُ يحكم بالعدل ويقسم المواهب بالانصاف . لان ارباب الممالك الارضيَّة اذا قصدوا ان ينعموا على رجالهم الناصحين لهم والعاملين بمقتضى ارادتهم والذين يخدمونهم كما ينبغي فانهم يأمرون باصطفاف العساكر واجتماع كبراءٓ المملكة ثم يامرون اولئك بالمكافحة ليظهروا شجاعتهم فيرى الباقون انهُ انما جاد على المستحقين وانعم على المستأهلين . وحينئذٍ يندمون على الكسل ولا يتظلَّمون . واذا كان الذين يقصدون نوال الجوائز الارضيَّة يجهدون ذواتهم ويكلّفون انفسهم اتعابًا جسيمة كالمصارعين والذين يلعبون على الحبال والذين يتناضلون بالسهام والذين يتبارزون في السباق والذين يحملون الاثقال الباهظة والذين يروضون السباع والخيل يحتملون هذه المشقَّات لكي ينالوا الجوائز القليلة والمديح الباطل .

وكذلك الحكماء والفلاسفة فانهم يجهدون ذواتهم ويتكلفون سهر الليل وصيام النهار ويتوحدون في الخلوات البعيدة ويهجرون التنعم واللهو واللذّات ويزعجون افكارهم في تحقيق المسائل وانشآء المصنفات . وكل ذلك ليظهر فضلهم بين الناس وينالوا حسن الصيت والكرامة . بل مالي اذكر هؤلآء واترك الذين يخدمون الملوك ويتجندون لهم كيف يُعرِّضون انفسهم لضرب السيوف وطعن الرماح ورمي النبال ويتكلَّفون نقب الاسوار ويلقون انفسهم في المهاوي والخنادق ليأخذوا اكليل الغلبة من ملوكهم . فيا للعجب من الذين وُعِدوا بملك السماء وسعادة الابد والقيام لدى منبر المسيح واخذ الاكاليل النورانية كيف لا يهتمون ولا يجاهدون في تحصيل هذه الجوائز العظيمة . وما اعظم رحمة سيدنا فانهُ لعلمهِ بقصر ايامنا واننا بعد الموت لا نجد فرصةً نتوب فيها عن ذنوبنا يُنهِض عزائمنا تارةً بالمثال وتارةً بالتنبيهات . ويَعِدنا تارةً ويتوعَّدنا اخرى . ويُرغِّبنا في الطلب بقولهِ اذا كنتم انتم الذين تتقلبون بين الضرورات يحملكم حبُّ الاولاد المطيعين لكم الطالبين منكم على ان تمنحوهم افضل ما يطلبون فكم بالاحرى ابوكم السماويُّ القادر على كل شيء . وانا اقول لارباب الاموال والاغنياء يا للعجب من كون احدكم يضيع ثورهُ او حمارهُ او غير ذلك من امواله فيجدُّ في طلبهِ ويبالغ في الاجتهاد ويَعِد الحرَّاس وحَفَظة الشوارع ويفرغ جهدهُ في السعي والسؤال والاستقصاء من المجاورين لهُ . وهو في ذلك بين الشكّ واليقين في وجود المفقود . وانتم ترون سعادة الملكوت هاربةً من الخطاة ولا تجتهدون في طلبها . فاذا كنت تجهد نفسك هكذا

في طلب الدنايا الفاسدة بطباعها فما بالك لاتطلب النفائس الباقية الى الابد . ولماذا لا تفعل في طلب هذه كما تفعل في طلب تلك . ولماذا لا تفرق بين الطالب والمطلوب منهُ . لان الذين يُكرّرون الطلب من الآبآء والاخوة والاصدقآء يستثقلونهم ويتضجّرون منهم وربما يغلقون الابواب في وجوههم . واما الذين يطلبون من الههم فكلّما كرّروا الطلب واداموا السؤال والتضرُّع كثرت عنايتهُ بهم وتحنّنهُ عليهم ومنحهم افضل ممَّا يطلبون . فسبيلنا ان نترك الطلب من المخلوقين مثلنا ونواصل الطلب من الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثالثة والثلثون

مرتّبة على قولهِ لا تحلفوا بالسمآء ولا بالارض . وهي تتضمّن الحثّ على تجنّب الحلف بالله تعالى ذكره

اذا كان الذين يتجاسرون على الحلف براس الملك الارضيّ الذي غايتهُ الفساد والاضمحلال يُقضَى عليهم ويهانون فما بالنا نتجاسر على الحلف بخالق الكل الذي هو ملك الملوك وسلطان السلاطين . وليس اننا نحلف بهِ صادقين فقط بل احيانًا كثيرة نكون كاذبين وحانثين . وان كنت يا هذا غافلًا عن عظم جسارتك هذه فاسمع قول سيدنا لا تحلفوا بالسمآء ولا بالارض ولا باورشليم لان هذه المخلوقات منسوبةٌ الى الخالق . فاذا كان قد امرك ان لا تحلف بالكرسيّ ولا بالمدينة المنسوبتين اليهِ فكيف تجسر على الحلف بذاتهِ . وذلك لا حينما تكون صادقًا او مضطرًا

الى الحلف بل في معرض الهزل واللعب والمُجُون . فان قلت فلماذا اباح الحلف بهِ للاسرائيليين . اجبتك ان الامم قبل الشرائع كانوا يحلفون بالاصنام فنقلتهم شريعة العدل الى الحلف بالله . ثم نقلتهم شريعة الفضل الى ترك الحلف البتَّة اعتمادًا على صدق المؤمنين . فان قلت واذا كانت السنتنا قد أَلِفَت المبادرة الى الحلف من غير قصدٍ فما السبيل الى نقض هذه الالفة . قلت وكيف يمكنك ان تنقض عوائد السباع والطيور وغيرها من الحيوانات وتُحوّلها عن مألوفاتها الى مرادك ولا يمكنك ان تُحوِّل لسانك عن عادتهِ الرديَّة . اما سمعتَ ما قيل عن اهل هلاظ انهُ كان منهم اناسٌ يلثغون في كلامهم ولكثرة القراءة وعناية المعلمين رجعوا عن اللثغة الى صحَّة اللفظ . واناسٌ كانوا يرفعون اكتافهم عند المشي ويحرّكونها تحريكًا شنيعًا فامر اصحاب السياسة ان يُوضَع على كتف كل واحدٍ منهم سيفٌ مجرَّدٌ حتى اذا ارادوا ان يرفعوا اكتافهم على عادتهم المألوفة يخافون ملاقاة السيوف فلا يُحرِّكونها الى ان ثبتوا على هذه العادة وتركوا تلك . فان قلت هل يمكن ان يُنصَب بازاء اللسان سيفٌ . اجبتك نعم . ولكن لا السيف المصنوع من الحديد بل بان تجعل لك وسائط تقوم مقامهُ وذلك ان تُوصِي زوجتك واولادك وعبدك وجارك بانهُ متى رآك احدٌ منهم عازمًا على الحلف يُنبِّهك على الامساك عنهُ . وليس عليك في ذلك مشقَّةٌ ولا كلفةٌ اذ ليس يلزمك غرامةٌ عليهِ ولا مقاومة ولا تعب . فان قلت وما الحاجة الى ان يُكلَّف الانسان الدخول تحت هذه المضايق كلها في النهي عن الحلف وحبّ المال واللذات والمراتب العالية

وبقيَّة الوصايا . وفي الامر باحتمال المشقَّات مثل ان تحبَّ الاعداء وتحوّل خدك للَّطم وتبذل مالك للمحتاج وخبزك للآكل وامثال هذه التكاليف الصعبة. اجبتك ان الله تعالى اخرجك الى هذه الارض ليُجرّبك هل تكون مطيعاً لاوامرهِ ام مخالفاً لها ليُجَازيك في الاخرة . ولا تجربة اعظم من الامر بترك المحبوبات والدخول في المكروهات . انظر كيف جعل ابرهيم واسحق مثالاً للطائعين اذ قال لابرهيم خذ ابنك الحبيب وارفعهُ قرباناً على الجبل . ولما اطَّلع على اخلاص قلبهِ ومبادرتهِ الى ذبح ولدهِ الذي امتزج حبُّهُ بصميم قلبهِ امرهُ بترك ما عزم عليهِ وجازاهُ مجازاةً تقصر الالسن عن وصفها . لانهُ جعل نسلهُ مثل النجوم والرمل واقام الرسل والانبياءَ والملوك من بنيهِ. ومن ذرّيتهِ ظهر المسيح بالجسد ووعد من يدخل دار النعيم السمويّ بالجلوس في احضانهِ . فسبيلنا ان نحارب اهواءَنا البشرية ونحافظ على العمل بمشيئة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الرابعة والثلثون

مرتَّبة على قولهِ ودعا الاثني عشر رسولاً واعطاهم سلطاناً . وهي تتضمن الحثَّ على عمل الفضيلة الموصلة الى رتبة اولئك الافاضل

اذا كان اثنا عشر رجلاً لفضل سيرتهم القوا خميرةً في قلوب اهل المسكونة جميعها فما بالنا نحن الذين لا يُحصى عددنا لا يمكننا ان نُصلح ونتلافى الآخرين . وقد كان ينبغي لنا ان نكون خميرًا صالحًا ونُخمّر الوفا من

الناس . فان قال قائلٌ ان اولئك كانوا رسلاً مؤيَّدين بالروح . اقول انهم كانوا اولاً يسيرون في العالم ويتعاطون الصنائع ويتقلَّبون تحت تصاريف الاحوال ويشاركوننا في القيام بحاجات المعيشة . ولمَّا أَهَّلوا انفسهم وصيَّروها آنيةً طاهرةً باعمالهم الصالحة استحقُّوا بذلك نوال مواهب الروح . فان قلت ما هي الاعمال التي أَهَّلتهم لنيل هذه المواهب . اقول هي الازدراءُ بالاموال وما يتعلَّق بها من التنعُّم والسَرَف والسكر وبقيَّة اللذات البدنيَّة والاتّضاع وانسحاق القلب والروح وعدم الصَلَف والكبرياءِ وبقية انواع الفضائل . وان قلت ان اولئك كانوا يصنعون الآيات فليس لنا ان نتشبَّه بهم . اقول والى متى نتعلَّل بالمعجزات ونجعلها سبباً لاهمالنا . وكيف لا ننظر الى الذين اخرجوا الشياطين باسم ربنا ثم عثروا بحجر الاضطجاع والافتخار فسقطوا الى قاع الرذيلة وعُوقِبوا عقاباً شديدًا . واذا كان هولاءِ صنعوا المعجزات التي بواسطتها اجتذبوا الناس فماذا صنع يوحنا الصابغ حتى اجتذب الكثيرين من اهل المدن والقرى الى معمودية الغفران . وكذلك داود وايوب وابرهيم واسحق ويعقوب أَيَّةَ آيةٍ صنعوا حتى ظهرت اعمالهم واشرقت انوار فضائلهم وجعلهم الله قدوةً للمقتدين . اما تعلم يا هذا ان التماس ظهور الآيات قد جلب على كثيرين ضررًا عظيمًا كما فعل سيمن الساحر والذي طلب ان يتبع سيدنا ليستفيد عمل الآيات فقال لهُ للثعالب اوجرة ولطيور السماءِ اوكار وابن البشر ليس لهُ موضعٌ يسند اليهِ راسهُ . وامثال هولاءِ يطلبون عمل الآيات بعضهم لتحصيل المال وبعضهم لاكتساب المجد الباطل فقط . ولكن الاهتمام

بالسيرة الفاضلة والاجتهاد في عمل الصالحات هو الذي يريدهُ الله منا لاغير . ولذلك قال ليرى الناس اعمالكم الصالحة ويُمجِّدوا اباكم الذي في السماوات وما قال ليروا آياتكم . لان الفاضل السيرة يُخلِّص انفس كثيرين بعضهم بتعاليمهِ وبعضهم بالاقتداء بسيرتهِ وبعضهم بطلب التشبُّه بفضيلتهِ . ولست اعني بالسيرة الفاضلة ان تصوم دائمًا وتفرش تحتك الرماد وتلبس مسوح الشعر . بل الفاضل السيرة هو الذي يزهد في جمع الاموال ويطعم الجائع ويكسو العريان ويحبُّ جميع خليقة الله ويعاصي الغضب ويتجنَّب الحسد ولا يبغض ولا يكذب ولا يسرق ولا يفعل ما يخالف الناموس . لان الذي يسير هذه السيرة يقهر عدوَّهُ الشيطان وقهرهُ اياهُ هو عمل كل عجيبةٍ . لان الشيطان قد قهر الوف الوفٍ من الناس واستولى عليهم بسلطانهِ . فاذا انت بارزتهُ في ميدان الحرب وظهرت منك لوائح الغلبة عليهِ وطعنتهُ برمحك فالقيتهُ الى الارض وسلبت سيفهُ وكسرت ترسهُ وشدخت راسهُ وهزمت عسكرهُ واخذت تاج الظفر ولبست اكليل الغلبة . فايُّ فخرٍ يكون كفخرك وايُّ آيةٍ تشبه آيتك هذه العظيمة . فسبيلنا ان نجتهد في تحصيل السيرة الفاضلة لنقهر عدونا ونتقرب من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والثلثون

مرتبة على فصل وكيل الظلم . وهي تتضمَّن وعظ الكهنة وتنبيه الرؤساَء والمرؤوسين

اذا كان الكهنة هم الوكلاَء على المؤمنين والرعاة للاغنام الناطقة والحافظون نظام الشريعة والضابطون اعنَّة السياسة فما بالهم يتغافلون عن حقّ الوكالة ويتشاغلون عن واجباتها . ويا للعجب من الذين يتقلَّدون الوكالة العالميَّة فانك تراهم مُشمِّرين عن سواعدهم ومُتيقِّظين للقيام بحقّ وكالاتهم مجتهدين في نموّ الاموال وربح المتاجر ونفوذ الدعاوي وتحصيل الحقوق مُتخوّفين من محاسبة موكليهم . وانت ايها الوكيل على الخراف الناطقة والامين على المتاجر الروحية تُوجَد هكذا متغافلاً فكيف لا تخاف من قول موكلك اعطني حساب وكالتك فانك لا تكون في ما بعد لي وكيلاً . وكيف لا تخاف من انتقامهِ اذا ظهرتَ قدامهُ مُفرِّطاً مُضيِّعاً للاموال غير محتفظٍ عليها . وكيف لا ترتعد من صدور امرهِ قائلاً للجنود اوثقوا يديهِ ورجليهِ والقوهُ في الظلمة حيث يكون البكاَء وصرير الاسنان . اسمع قول الكتاب ان يعقوب اسرائيل لمَّا تولَّى رعية غنم لابان خالهِ اختار النظر في مصالحها على لذات نفسهِ فهجر لذيذ المآكل وفارق حلاوة المنام وجعل السهر عادةً لهُ وطبعاً حتى صيَّر تلك الغنم مضاعفة العدد سمينة الاجسام جميلة المناظر . فاذا كان يعقوب راعي الاغنام الحيوانية بذل نفسهُ دون القطيع هكذا حتى آل بهِ الاجتهاد في حفظها الى مكابدة الاتعاب والاسهار واحتمال

حرّ الصيف وبرد الشتاء والمحافظة عليها ليلاً ونهارًا من افتراس الوحوش مع الاعتناء بجبر المكسور منها ومداواة الاجرب ونقلها الى المراعي الخصيبة والمياه العذبة ونحو ذلك . مع ان صاحب هذه الغنم لم يكن ملكًا ولا صاحب شوكةٍ بل هو خالهُ لابان الكافر العابد الاوثان . فيا تُرى ايُّ عذرٍ يكون للمتقلدين رعيَّة الغنم الناطقة الذين يهملون خرافهم ولا يهتمُّون بمصالحها كما ينبغي بل يتركونها عرضةً لافتراس الذئاب الخاطفة والوحوش الضارية والضياع والنهب والغرق وما شاكل ذلك. وليس صاحبها راعيًا مثل لابان ولا كاحد البشر القابلين للموت والبلى . ولا هي كالرعايا من البهائم المشتراة بثمنٍ من المال . بل هي قطعانٌ ناطقة وصاحبها المسيح الذي اشتراها بدمهِ الكريم . فاسمع يا هذا قولهُ تعالى موبخًا لاولئك الساقطين حيث يقول على لسان النبيّ الويل لرعاة اسرائيل الذين يهلكون غنم رعيَّتي ويبدّدونها يقول الرب انتم فرَّقتم غنمي واضللتموها وتركتموها عرضةً للضلال وماكلًا للوحوش الضارية . تذبحون السمينة وتاكلون المعلوفة ولا تجبرون المكسورة ولا تُعالجون المريضة ولا تطلبون الضالَّة . أيغرُّك ايها الراعي الغافل انني تركت الغنم تحت عصا رعايتك . ساحكم بعقابكم وتُخبَرون بسوء اعمالكم يقول الرب . واجمع غنمي من جميع البلدان واردُّها الى ديارها فتكثر وتنمو واختار لها رعاةً غيركم . فاذا علمنا شدَّة وعيدهِ للمتهاونين ينبغي لنا ان ننتبه من غفلتنا ونصحو من سكرتنا ونحافظ على مصالح نفوسنا ووكالتنا لنفوز برضى ربنا الذي لهُ المجد الى الابد · امين

العظة السادسة والثلثون

في انهُ يجب علينا ان نصنع الفضائل كلها ههنا لكي نظفر في القيامة بصدور المجالس واوائل المتكآت
وفي مدح سيرة الرهبان وتبكيت المتنعّمين

اذا كنا قد علمنا ان المجد في القيامة هو السيرة الفاضلة فينبغي لنا ان نترك الاهتمام بالاباطيل الزائلة ونجتهد في عمل الصالحات لنحصل هناك على الجلوس في صدور المجالس والتنعُّم في وليمة سيدنا لهُ المجد . وانتم ترون قوماً من اخوتكم الذين عرفوا حقائق الامور الحاضرة ورفضوها وطلبوا الامور الباقية واختاروها فلبسوا حلل الاتضاع والوداعة واعدُّوا انفسهم لقتال العدو وقهروهُ لا بالسيوف والرماح ولا بالسهام والحراب لكنهم كما ترونهم عراةٌ من الدروع والاتراس مجرَّدون من الاسلحة العالمية . وهم مع ذلك يفعلون ما لا يفعلهُ الابطال باسلحتهم . لانهم كل يوم يحاربون الاعداء والاضداد ويقهرون الشهوات العالمية ويغلبونها . فيصدق فيهم كلام بولس الرسول حيث يقول اما اولياء المسيح فقد صلبوا اجسادهم مع الاهواء النفسانية . فانهم بالحقيقة يراهم الناظرون كانهم امواتٌ مطروحون وقد قتلوا ذواتهم بسيف الروح حيث لا سكر بالخمر ولا شراهة في المآكل ولا تنعُّم باللذات البدنية . فاننا نرى للسكّير رؤُوساً كثيرة كما للغول والحيَّة الكثيرة الرؤُوس اللذين يذكرهما اصحاب الخرافات . فينبت لهُ من هنا راسٌ للزنى . ومن هنا راسٌ للغضب . ومن هناك راسٌ للافتخار . وراسٌ للصَلَف . وراسٌ لحبّ الغلبة .

ورؤوسٌ أُخر كثيرة تنبت لاعمالٍ أُخر قبيحة شبيهة بتلك . واما هولاء الفائزون فقد قطعوا هذه الرؤوس من اصلها لانهم قطعوا سببها الذي هو السكر. الا تنظر الى الجبابرة ذوي القوة والشجاعة المشهورين بالغلبة في معارك الحروب كيف تقيدوا بقيود المسكرات . فتراهم مطروحين من غير قتال وامواتًا من غير جراحات . لا بل هم اضعف كثيرًا من الذين يسقطون في وقائع الحروب لان اولئك قد يتحركون او يرفسون او يفهمون كلام المخاطبين لهم . واما هولاء فانهم للوقت يسقطون كالاموات ولا يتحركون ولا ينتبهون على شيء . وكما ان قائد الجيش اذا سقط قتيلاً تتبدَّد عساكرهُ وينصرف كل واحدٍ منهم الى حيث تتوجَّه ارادتهُ وهواهُ كذلك اذا سقط الرئيس القائم على تدبير الانسانية الذي هو العقل تنصرف كل واحدةٍ من الشهوات بحسب طبيعتها الحيوانية . وحينئذٍ يخوض ذلك السكران في لجة هذه الشهوات من غير خوفٍ ولا حياء ويكون نصيبهُ مع الهالكين . ثم اضيف الى ذلك اهتمام هولاء بالطبائخ والاطعمة وما يتفننون بهِ من انواع المآكل والمشارب وشدة عنايتهم بتسمين الدجاج والخراف واجتلاب الفواكه المختلفة وعمل الحلويات والجوارش . فيكون اناسٌ منهم ياكلون وآخرون يقدمون لهم المطجّنات وآخرون المشاوي وآخرون الفواكه وغيرهم الحُلوَيات . وهم يتنافسون في كثرة الاطعمة ونظامها ويتفاخرون في اصطناع الولائم المخالفة للناموس . ولهذا هرب اولئك الفائزون من التشاغل بهذه الاباطيل لانهم لا يتخذون اشراكًا لصيد الطيور . ولا حظائر لتسمين الخراف والدجاج ولا يتأنقون في تنويع الاطعمة والاشربة . ولكنهم

ياكلون لقيام الحيوة خبزًا وماءً فقط . وهذا الاهتمام الفارغ والجهاد
الباطل لا يوجدان عندهم اصلاً . فما اعظم الفرق بين هولآء واولئك .
واما الطرق التي وردت منها اثمان هذه الاطعمة وما يتعلق بها فلعلَّ
اكثرها من ظلم الارامل ودموعهنَّ واتعاب الايتام واغتصاب اموالهم
والرباء والطمع والمظالم وهلمَّ جرًّا . واما النتائج التي تنشأُ عن الشراهة
في الطعام والشراب لهولآء المسرفين فهي غالبًا التخمة والكظَّة والهيضة
والهوس والخلاعة والتهتك في الاحاديث السفيهة وقصص العشاق
والمغنيات والعواهر وما اشبه ذلك . واخيرًا ترى الفارس وسلاحهُ
مُلقَيَين على الارض وعدوَّهُ يقلبهُ برمحهِ كيف يشآء . واما عند الفائزين
فتجد اضداد كل هذه الامور لا على المائدة فقط بل في جميع الاحوال
الداخلية والخارجية . وحينئذٍ يظهر الفرق بين الفريقين لدى اهل
العقول وارباب البصائر ويعلمون ان مائدة هولآء الخاسرين تزول
وتضمحلُّ رفاهتها سريعًا . واما مائدة اولئك الرابحين فترتقي من الخساسة
الى الشرف وتحوز مجدًا دائمًا الى الابد . فيكون هولآء مغلوبين من
اعدائهم واولئك غالبين ظافرين . هولآء تفسد موائدهم وتتلاشى
واولئك لا يمسُّ موائدهم الفساد . هولآء يصنعون موائد يحضرها
ابليس وجنودهُ ويسوقونهم الى عذاب الجحيم لانهُ حيثما يكون السكر والغنآء
والملاهي فالشيطان حاضرٌ هناك . واولئك يصنعون موائد ادبية
يحضرها المسيح سيدهم ويُعِدُّ لهم الطعام السماوي وانواع الطيّبات الابدية
حيث لا ينهمون ولا يشرهون ولا يسكرون ولا يغنُّون حتى انهم يتشبهون

بالملائكة الذين لا اجسام لهم . ولذلك يحملون راية الظفر وياخذون اكليل الغلبة . ولقد اجترئُ على ان اقول ان موائد ارباب الهمم العالمية قريبة الشبه من الامراة الخليعة القبيحة الوجه التي تتبهرج بالحِلَى والحُلَل الفاخرة وتتضمَّخ بالطيوب وتطلي وجهها بالدَلُوك لكي تستر شناعتهُ وتجب الناس بمنظرها . واما موائد اولئك السعدآء فتشبه الامراة الرزينة الجميلة التي لا تتخذ الحَلْي والزينة ولا تتصنع مثل تلك ولكن جمالها الطبيعي يشرق على الناظرين ويظهر سماجة الأُولَى . وهذه لطيب اصلها وشرف نفسها لا تدع احدًا من الناظرين ينطق بهزلٍ ولا سفاهةٍ . وتلك لسوء ادبها تنطق بالمنكرات وتستدرج جلسآءها الى ان يلهجوا بمثل ذلك . فسبيلنا ان نترك الاجتهاد في اعداد الولائم العالمية ونبادر الى المهمات المسيحية ونستحضر الى منازلنا الفقرآء والغربآء لكي ننال المجازاة في قيامة الصديقين من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والثلثون

مرتبة على فصل قائد المائة . وهي تتضمن الحث على السعي في مداواة النفوس وان يحترز القائم من السقوط لان رجوعه الى حالتهِ الاولى يكون بصعوبةٍ شديدة

اذا كان سيدنا لهُ المجد قد ظهر شافيًا لامراضنا وغافرًا لخطايانا فما بالك الآن لا تنهض من وهدة كسلك وتنتبه من غفلة جهلك وتطلب منهُ بايمانٍ خالص وعزمٍ ثابت كرئيس المائة لينقذك من الامراض

والعاهات. ويا للعجب كيف نرى المرضى يعتنون بمداواة امراضهم ويقصدون الاطباء ويسافرون الى البلاد البعيدة وينفقون الاموال الجزيلة وهم لا يعلمون هل تنجح مداواتهم ام لا. وانت ترى الطبيب الماهر المستغني عن اتخاذ الآلات والعقاقير وطلب الاجرة قائلاً للعازر اخرج من القبر وللمخلع احمل سريرك واذهب وللميت المحمول ايها الشاب قُم وللخاطئة مغفورةٌ لكِ خطاياكِ وامثال ذلك كثيرةٌ. وهو طالبٌ منك وراغبٌ في مداواتك وانت تنعطف عنهُ هارباً وتتوانى متكاسلاً. فان كنت يا هذا واقفاً فاحذر من السقوط من ذروة الفضيلة لان اناساً كثيرين رفضوا الاموال والمنازل الرفيعة وفارقوا الاهل والاصدقاء وسكنوا البراري وكهوف الجبال وعذبوا اجسادهم بكثرة الصوم والصلوة واحتمال حرّ الصيف وبرد الشتاء وهجروا جميع اللذات والمناظر الجميلة وبلغوا غاية الفضيلة حتى كادوا يصلون الى السماء. ولكنهم لما غفلوا يسيرًا وتوانوا في مقاصدهم عثروا في مصايد العدو وسقطوا في حفرة الخطية. واناسٌ غيرهم نهضوا من نقائصهم وفارقوا ما كانوا يألفونهُ من الغنى واللهو والسكر والرقص واللعب وبقية المعاصي وتمسكوا باذيال التقوى فرفعتهم من اعماق الرذائل وبلغت بهم الى التشبه بالسماويين. وحينئذٍ سدُّوا افواه الذين يزعمون ان الساقطين لا ينهضون. ولذلك اطلب من القيام ان يحفظوا انفسهم من السقوط ويشيدوا اسوار مدينتهم ويتجهزوا بمهمات الحصار ويتيقظوا لمدافعة عدوهم. ومن الواثقين بانفسهم ان يتحذَّروا ويتيقَّظوا ولا يغفلوا عن تدارك انفسهم مخافة ان يسقطوا. فان

الساقط الى الارض من اعالي الفضيلة يعسر عليهِ الرجوع الى محلّهِ . لان الذين يقتحمون الحروب ويحملون ثقل الحديد من الدروع والخُوَذ ويخوضون معامع القتال ويظفرون بنواصي الاعداء متى اهملوا ذواتهم وركنوا الى شجاعتهم المعهودة وانعطفوا متهاونين باعدائهم وادركتهم رعبة القتال وسقطوا في وسط المعركة الى الارض فانهُ يبعد عليهم رجوعهم الى ظهور خيلهم والنهوض الى مكافحة الاعداء . وكذلك اقول في رئيس السفينة المسافر الى البلاد البعيدة فانهُ اذا انفق الاموال واستأجر الرجال واتخذ الآلات والعُدَد وكابد اهوال البحر وقرب من ميناء السلامة ثم اغفل النظر في مصالح السفينة ساعةً واحدة للوثوق بانهُ قد وصل الى المدينة . ووافق غفلتهُ تلك هبوب رياحٍ عاصفة فهلكت السفينة وانقلب ذلك الرئيس يختبط بين الامواج فانهُ يعسر عليهِ ان ينتشل نفسهُ من تلك اللجج وربما لا يمكنهُ ذلك فيموت غرقاً . وهذا اقولهُ للفاترين المستحوذ عليهم ضعف الهمة . واما ذووا العزم والشجاعة من المجاهدين مثل داود المغبوط وامثالهِ فانهم ينهضون ولا يضطجعون لكنهم يحتاجون في النهوض الى العناء العظيم والتعب الطويل والنوح والبكاء والتنهد ولبس المسوح والنوم على الرماد واحتمال المِحَن والتجارب كما فعل ذلك السعيد المذكور . وكذلك هولاء المفرّطون يشبهون التاجر الكثير المال الذي جمع اصناف البضائع وقصد السفر الى البلاد الغريبة وكابد مصاعب الاسفار واهوال الطرق وشقاء الغربة ومكافحة اللصوص . ولما قرب من المدينة وابتهج بالوصول سالماً توسد وهجع اميناً . فخرج عليهِ جماعةٌ من اللصوص

كانوا مراقبين لهُ ومنتظرين غفلةً منهُ فنهبوا الاموال وقتلوا من حولهُ من الرجال وخرج من بينهم عاريًا جريحًا . لكنهُ لقوة عزمهِ وشدة شجاعتهِ لم تضعف همتهُ ولا فترت حرارة نفسهِ بل غسل جراحاتهِ وضمدها وعاد الى بلدتهِ واحتمل ما بقي لهُ من المال ولم يزل يتردد في تلك الطرق ويسعى حتى حصَّل مثل ما فُقِد منهُ وصار الى وطنهِ غانمًا . وكذلك ينبغي لنا اذا عثرنا بالاشراك الشيطانية ان ننهض من سقوطنا مسرعين ونبادر الى التوبة باكين لنفوز بغفران ذنوبنا وننال رحمة ربنا الرؤوف الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والثلثون

مرتبة على ركوبهِ السفينة . وهي تتضمن الحث على التجرد لقتال الشياطين ولاسيما في اوقات الرحمة والصدقات

اذا كان الذين يلاقون اهوال البحار والرياح العاصفة بها يحتاجون الى شجاعةٍ ودُربةٍ وايمانٍ وطيدٍ لتدركهم المعونة الالهيـة ويخلصوا فكم بالحري الذين يخوضون لجج المحاربة الشيطانية ويختبطون بين امواج التجارب والمحن يحتاجون الى قوَّة الايمان وشجاعة العزم ليخلصوا من عذاب الجحيم . فما بالنا نحن المتدرّعين بسلاح المسيح لا نثابر في طريق الجهاد . وما بالنا قبل الوصول الى طريق المعركة نهرب من عدونا ونسارع الى تسليم مفاتيح مدينتنا في السِلم قبل ان يضربنا بالسهام والحجارة وينصب

علينا المناجيق . وانا اقول ذلك الان مخاطباً الذين يزجرون الفقراء
وينتهرون المساكين وذوي الضرورات ويقولون ان هولاء كذّابون
محتالون متصنعون يتكسّبون من غير احتياجٍ لكي يذخروا الاموال.
فافرض يا صاح ان هذا الطالب منك رغيفاً قد كملت فيهِ صفات
الخدّاعين والمحتالين ولكن انظر اليهِ من جهاتٍ اخرى لتدرك قدر
احسان خالقك اليك . اذ ترى هذا السائل شريكك في البشرية ومساويك
في الاستظلال بالسماء والاستضاءة بالشمس والقمر وفي الانتفاع بالامطار
والاثمار ورفيقك في العبودية لله . وقد اتاك ذليلاً متخضعاً لك يطلب
منك اقلّ جزءٍ مما اعطاك الله . أَفما يحقُّ عليك ان ترحم شريكك في جميع
هذه الامور المذكورة اذا دعتهُ الحاجة الى الوقوف ببابك . فان كنت
لا تعطيهِ شيئاً من مالك فلا تقابلهُ بالشتيمة والاهانة . ولعمري ان الذين
ينبّهونك من منامك بطبولهم وزمورهم ومزاهرهم ويلهونك عن اشغالك
الضرورية تستأنس بهم وتعطيهم جوائز كثيرة . وهكذا الذين يغنون
ويرقصون ويلاعبون الحيوانات ويشعبذون ياخذون منك العطايا
وانت غير عابسٍ ولا متضجر . ولكن اذا قصدك فقيرٌ بائسٌ يحتاج الى
احسانك اليهِ باقلّ شيءٍ مما اعطيتهُ لاولئك تقذفهُ بتلك الظنون وتقابلهُ
بالشتم والاهانة . فان قلت انني افعل ذلك بهِ لعلمي انهُ غير محتاجٍ الى
الصدقة . اقول وانت طالما طلبت من الله وعندك الوف كثيرة من
الذهب والفضة وغيرهما وهو يعطيك ولا يقول لك ان عندك كذا وكذا
من الاموال مع انهُ يعلم ذلك يقيناً لا كما تظن انت بالفقير . فان قلت ان

هذا الفقير قد تعود البطالة والكسل وهو شابٌ صحيح الجسم يقدر على الاعمال والاتعاب. قلت وكيف تطلب انت من الله وانت بطالٌ من الاعمال. فان قلت انني مجتهدٌ في الاعمال نهارًا وليلاً قلت وما هي هذه الاعمال. فان قلت البيع والشرآء والاخذ والعطآء والمتاجر والزراعات وغيرها. قلت انني سالتك عن الاعمال المرضية لله والنافعة لك النفع المعتبر وهي الصلوات والصدقات والعناية بالمحتاجين والانتصار للمظلومين مع حصول لوازم الحيوة واراك بطالاً منها. فها انت تركن الى البطالة والكسل وتطلب من الله الزوائد عن الحاجة. افتراهُ مع ذلك يقول لك انك بطالٌ من عمل الصالحات وتلتمس زيادة الارزاق. فلاحجبنَّ عنك نور الشمس والقمر ولاحبسنَّ عنك مطر السمآء وخصب الارض ونسيم الرياح. كلاَّ ولكنهُ يفيض عليك خيراتهِ الكثيرة حتى تشبع منها ويفضل عنك لآخرين. فان قلت ان هذا الطالب احيانًا يكون عبدًا هاربًا من مولاهُ فلماذا لا يشتغل ويعيش ولا يضيق على الناس. فيقول لك العبد اليس انك انت ايضاً هاربٌ عن امور مولاك ووصاياهُ. ولست بطالاً فقط. بل فاعلاً كل ما يُغضِبهُ. فانهُ تارةً يجدك زانيًا وتارةً سارقًا وتارةً ظالمًا وتارةً سكيرًا وتارةً تعاشر الاشرار وتارةً تصاحب اللصوص وترتعش من الخمر يداك وتحمرُّ من السكر عيناك. فانت تلومني على البطالة وانا الومك على الاشتغال بهذه الخبائث. هذا واني لا اقول لك ذلك على سبيل قبول عذر المتسوّلين في البطالة بل لئلا تجد انت حجة على البطالين. والاَّ فالبطالة مذمومةٌ على كل حالٍ من كل احد. وقد

قال بولس الرسول من لا يحبّ ان يعمل فلا ياكل . وهذا الكلام متجهٌ نحو المتسوّلين . ثم اقول لك ايها السامع انهُ لا يجوز ان تقابلهُ بالالفاظ الغليظة الجافية وتقول لهُ قد اعطيتك امس او اعطيتك اليوم دفعتين . فان هذا مما ينبغي ان تخاطب بهِ نفسك ايضاً فتقول لها عندما تطلب الغذآء اما اكلتِ امس مرتين أَوَ ما تناولتِ الطعام باكرًا . لكنك بالعكس ترغب ان تشحن جوفك من الطعـام بعد نوال الكفاف وسدّ الضرورة المحتاج اليها . اسمع قول الهنا عزَّ وجلَّ من سألك فاعطهِ ومن اراد ان يقترض منك فلا تمنعهُ . وكذلك قولهُ اعطوا صدقةً وكل شيءٍ يطهر لكم . وبعض القديسين يقول ليس شيءٌ يقرّب العبد الى الله مثل رحمة المحتاج . وبولس الرسول يقول ما دام لنا زمانٌ فلنعمل الخير ولا نملَّ منهُ لنصل الى زمانٍ نحصد فيهِ الباقيات ولا نملُّ منهـا . فسبيلنـا ان نبادر الى مساعدة اخوتنا المساكين في اوقات شدائدهم ونتلقَّاهم بالبشاشة والاقوال اللينة ليُقبِل علينا سيدنا ويعدَّ لنا خيرات الملكوت التي لا نهاية لها ولا انقضآء لسعادتها . ونتمتع بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والثلثون

مرتبة على فصل الفرّيسي والعشار . وهي تتضمن الحث على التواضع واجتناب الريآء

اذا كان ربنا لهُ المجد لكثرة رحمتهِ لنا ومحبتهِ لجنسنا ينبّهنا من غفلتنا

ويصدنا عن الامور المخالفة لمشيئتهِ . فيأمرنا تارةً بالامتناع عن التفاخر بالاموال . وتارةً عن الكبرياءِ . وتارةً عن الشهوات البدنية . وتارةً بالتواني عن عمل الفضيلة وامثال ذلك . ولهذا ضرب المثل بالخاطئِ المتواضع والصالح المفتخر . فاظهر فضيلة التواضع ورذيلة الكبرياءِ . فما بالك تجنح الى حبّ المال . وتهوى المناصب العالية . وتفتخر بالامور الباطلة . وتتباهى على المقلّين . وتتناظر مع المكثرين . ولو امعنت النظر جليًّا لرايت طالب الرفعة على الناس اشدَّ تعبًا ونصبًا . لان الذي يطلب العلوَّ على الذين في الوهاد المنخفضة يسكن في قمة الجبل فلا يلتذُّ بعلوّ المكان قدر ما يكابد من الخوف وحرّ الصيف وبرد الشتاءِ وعواصف الرياح وسطوة الوحوش الضارية . وكذلك اقول في طالب الرئاسة والحاسد لثروة الاغنياءِ . فان الملوك والعظماءَ وذوي الغنى لا يلتذون بالنعم التي حصلوا عليها كما يتألَّمون من مشقَّة تلك النعم وهمومها . لان الملوك يتكلَّفون استخدام العساكر واجتلاب المهمات الحربية ومقاومة الاعداءِ وتدبير المملكة ويخافون حتى من اهالي بيوتهم ويتوهَّمون في طعامهم وشرابهم ويكونون دائمًا على حذرٍ في حال نومهم وقيامهم وجلوسهم وركوبهم . وجميع هولاءِ الاباءِ العظماءِ يمرضون بالروح مرضًا كثير الاعراض كالوحوش المذكورة سابقًا . فينبت لبعضهم راسٌ لحبّ الرئاسة . وراسٌ للافتخار . وراسٌ لحبّ الغلبة . وراسٌ للتظاهر بالصوم والصلوة والصدقة . وراسٌ للرياءِ والتظاهر بالزهد في الدنيا ممن يُغِيرون على حكامها كالذئاب الخاطفة . وهم لاجل ابتعادهم عن

الله ومخالفتهم لوصاياهُ يُعِدُّون لانفسهم عذابًا عظيمًا اذ يقصدون المديح من الناس وهم في الحقيقة اهلٌ للمذمة . والسيد لهُ المجد يقول وانت اذا صلَّيت فادخل مخدعك وصلِّ الى ابيك سرًّا . واذا صنعت رحمةً فلا تصوّت قدامك بالبوق . واذا تصدقت فلا تُعلِم شمالك بما صنعت يمينك . حتى تكون صلواتك وصدقاتك لله وحدهُ لتنال الثواب الجميل في قيامة الصديقين . وانا لا اقول هذا طلبًا لاخفاء الصدقات مطلقًا بل لكي لا يكون التظاهر بها هو الغاية المقصودة . والاَّ فالمتحنّن بضميرهِ والمتصدّق طاعةً لاوامر الله لا طلبًا للمديح من الناس يكون لهُ الثواب عند الله سوآءٌ كان ذلك سرًّا ام علانيةً . غير ان الصدقات الخفية افضل لانك تطلب بها رضى الله مجرَّدًا وتستر مَن تصدَّقت عليهِ عن نظر الناس وترفع عنهُ الخجل من الاصحاب والمعارف . وهو قد يكون من ارباب البيوت لا يريد التظاهر باخذ الصدقة فيموت جوعًا ولا يرضى بمذلَّة نفسهِ . واذا كانت الصدقة منك مجرَّدةً في سبيل الله لا للافتخار يكون ثوابك مضاعفًا لانك لم تقبل المجد من المادحين . ويا للعجب كيف ان الذين يتعلمون الصراع ورمي السهام وعمل الزجاج والخَزَف وغير ذلك من الصناعات يكابدون الاتعاب ويجتهدون في اعمالهم لكي ينالوا المديح من ارباب تلك الصنائع لانهُ هو الذي يعطيهم الارتفاع وحسن الصيت بخلاف مديح غيرهم من الذين لا يعرفون تلك الصناعة فانهُ لا يفيدهم شيئًا . فاذا كان هولآء كذلك فما بالك انت لا تصنع مثل ذلك في الفضيلة لكنك تعدُّ كنوزك للُّصوص والخاطفين لان

من يصنع الفضيلة لطلب المديح من الناس تُؤخذ اموالهُ مجانًا بما ان الذين يرآءي امامهم بصلاتهِ يسلبون اجر صلاتهِ . وهولآء ياخذ الذين يراؤُون امامهُ اجر صدقاتهم لان سيدنا لهُ المجد يقول عن المرائين الحقَّ اقول لكم انهم قد اخذوا اجرهم . ومن أُخذ اجرهُ فقد ضاع عملهُ باطلاً . فسبيلنا ان نجتنب الافتخار بالصالحات ونفكّر دائمًا في نقائصنا لنفوز بملك ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الاربعون

مرتبة على قولهِ ورفعت امراةٌ من الجمع صوتها وقالت طوبى للبطن الذي حملك وللثديين اللذين ارضعاك . وهي تتضمن الحث على تفهُّم الاقوال الالهية وتأمل معانيها ومدح الفضيلة وذم الرذيلة

اذا كانت اقوال ربنا لهُ المجد تُتلَى علينا كل يوم فما بالنا لا نُقبِل على استماعها بنهمٍ ونشاطٍ ونقابلها بالتعظيم والوقار ونبحث عن معانيها كما ينبغي ونسارع الى العمل بحسبها مبتهجين . والاَّ فكيف نرتفع الى ذروة الفضيلة . وكيف نسمع ربنا لهُ المجد يجعل الطوبى للذين يسمعون الاقوال ويغرسونها في اراضي قلوبهم ونحن نكون هكذا متهاونين بها . واذا كان الاغنياء المنشغفون باموالهم يتعهدون الدخول الى خزائنهم ويتفقدون بضائعهم وينفضون ثيابهم ويحتفظون على امتعتهم من الأَرَضة والسوس . وينشرونها تارةً في الشمس وتارةً تحت الندى . وتارةً يقفلون عليها الخزائن . فما بالك يا هذا لا تفتقد نفسك هكذا بل تتركها سائبةً

خالية من الفضائل تارةً يفسدها السكر وتارةً حبُّ المال وتارةً حبُّ الرئاسة وتارةً الكسل والتواني . ويا للعجب كيف تحفظ ثيابك وتصونها من الاوساخ وتترك نفسك الشريفة معرَّضةً لجميع المهلكات . وكيف يعجبك قبح صورة الرذيلة ولا تنظر حسن صورة الفضيلة وبهآء مجدها . فان قلت وهل للفضيلة صورةٌ يتأملها الناظرون . اجبتك نعم ان لها راساً وعينين وفماً ويدين ورجلين وغير ذلك من الاعضآء التي تفوق جميع اعضآء الاجسام حسناً . فان قلت وما هو راس الفضيلة . قلت خوف الله مكللاً بالاتضاع والعفاف . ووجهها مشرقٌ بالخشوع والوداعة . وعيناها مكحولتان بالوقار والحشمة . وفمها مزين بجواهر الحكمة الالهية والتسابيح والاناشيد الروحية . وقلبها ينبوع الفهم والرحمة . ويداها محلَّاتان بحلى السخآء والبرّ . وقدَماها محذوَّتان بحذآء السعي في حوائج المساكين وزيارة المحبوسين وافتقاد المرضى واشباه ذلك . فما بالنا نَصِف فلاناً بكثرة المال . وفلاناً بكثرة الخدم . وفلاناً بخصب الزراعات . وفلاناً بسعة المتاجر ونحو ذلك من الاباطيل الزائلة . ونغفل عن ذكر صانعي الفضيلة ونترك السعدآء الفائزين . ولماذا لا نقول فلانٌ كثير الصدقات. وفلانٌ يقبل الغربآء . وفلانٌ يقرض المحتاجين . وفلانٌ يفرج كرب المتضايقين . وما بالنا لا ننظر الى جمال الحسنات ونترك الاغتباط بالزائلات والتشبه باربابها . لان ذهبهم وفضتهم يعلوهما الصدأُ وثيابهم ياكلها السوس وكنوزهم وذخائرهم تتطرَّق اليها اللصوص . ولو امكن ان أُريكم نفوس الاغنيآء لجعلتها امام ابصاركم لتروها وتهربوا من سماجتها

لانها مظلمة صَدِئة مدنَّسة متآكلة مثقبة من جميع جهاتها . فمن هنا تُظلِم بحبّ المال . ومن هنا تصدأُ بالحسد . ومن هنا يثقبها تلف الزراعات . ومن هنا خسارة المتاجر . ومن هنا جور الظالمين . ومن هنا غصب الغاصبين . ومن هنا فوات ما ربح فيهِ امثالهم من البضائع . واما نفوس الفقرآء الطائعين لله فانك تراها تلمع كالذهب . وتضيء كالجواهر الكريمة . وتزهر كرياحين الرياض . وتعبق كنشر العنبر . سالمةً من الصدأ والكدر منزَّهة عن العوارض المفسدة . لانهم حيث لا مال ولا مقتنيات ولا سوس ولا سارق ولا غاصب ولا غير ذلك من الاعراض المتلفة . الغنيُّ يقف قدام ملوك الارض وهولآء يقفون قدام ملك السمآء . ذلك يفرح بخدمة البشر وهولآء يتجندون لله ويختلطون بالملائكة . ذلك يعتبر الحطام الزائل وهولآء ينظرون العالم كلهُ كالهبآء وينزلونهُ منزلة ما تلعب بهِ الصبيان كالكُجَج والكعاب . فمن ترى يكون اشرف من هذا الفقير الذي يملك في السموات . وما هي الحاجة الى العبيد والخدم والخيل والمركبات وهو عتيدٌ ان يركب في الهوآء على متن السحاب ويكون مع المسيح الى الابد . فسبيلنا يا معشر الاخوة المومنين ان نرفض الاباطيل الزائلة ونطلب النفائس التي لا تزول ولا تفرغ ولا تضمحلُّ لنفوز بنعيم ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والاربعون

مرتبة على قولهِ وسالهُ الفريسيون متى ياتي ملكوت الله . وهي تتضمن دحض آرآء الذين ينكرون قيامة الاموات

اين الذين ينكرون جهنم ومجلس القضآء الرهيب واجتماع الامم جميعاً وجلوس الديان للمحاكمة وارتفاع مراتب الصالحين وسوء حال الخطاة والنوح والبكآء والعويل وصرير الاسنان . لانهُ اذا كان الذين اتوا الى العالم قبل المسيح ولم يسمعوا بذكر قيامة ولا مجازاة قد عُذِّبوا في الدنيا بالحريق والغرق مثل اهل سدوم وعمورة والذين هلكوا بالطوفان وهم يُعاقَبون في جهنم ايضاً بعقوباتٍ أُخر كثيرة . فالاجدر بنا نحن ان نُعاقَب باكثر واشدّ من عقوبات اولئك لاننا سمعنا بتكرارٍ اعلان تفاصيل هذه الامور كلها . ولعلك يا هذا تقول كيف يسوغ ان يُدفَع الى جهنم من لم يسمع بذكرها لانهُ يقول لو كنت انذرتنا بما سيصيبنا فيها من العذاب لعلنا كنا نتيقظ من غفلتنا . فاقول انهم اذا كانوا لم يرتدعوا عن الخطايا بالعقوبات الحاضرة فالاجدر انهم لا يزدجرون بالسماع عن تلك . الا تسمع قول سيدنا لهُ المجد انهم كانوا ياكلون ويشربون الى اليوم الذي دخل فيهِ نوح السفينة . ولا يرتدعون بالوعد ولا الوعيد . لانهُ اذا كان الزاني والغاشّ والغاصب والخاطف وامثالهم يقعون في ايدي الولاة ويُعاقَبون على جرائمهم بانواع العذاب ثم يعودون الى تلك المعاصي متى خرجوا من سجونهم . وهم لا يفعلون ذلك مرةً او مرّتين بل مراراً كثيرة حتى ان بعضهم تُقطَع ايديهم وبعضهم

نُقطَع ارجلهم وبعضهم انوفهم وبعضهم يُكوَون بالنار على جباههم وبعد ذلك لا يتأدبون . والذي لا تردعهُ العوارض الحاضرة كيف يزدجر بتهديد ما بعد الموت . فان قلت وكيف يطابق عدلَ الله ان يعاقب على الجرائمِ عقوبةً هنا تصنعها الولاة وعقوبةً اخرى في جهنم . اقول انهُ لو اخذ بعض الولاة لصًّا فتاكًا قد قتل اناسًا كثيرين وارتكب انواع المعاصي فامر بضرب عنقهِ لكان الحاضرون يستعجزون رايهُ ويقولون كان الواجب ان يعذّبهُ عذابًا شديدًا ويقطع يديهِ تارةً ورجليهِ اخرى ويجلدهُ بالسياط ويثقّلهُ بالقيود والاغلال ثم يامر بقتلهِ لانهُ قد قتل اناسًا كثيرين فلا تكفي معاقبتهُ بقتلةٍ واحدة . فاذا كان هذا نظرنا الى احكام غيرنا وحكمنا على غير ذواتنا فلماذا لا نحكم على انفسنا بمثل هذا ونتذكر اننا في كل عامٍ بل في كل شهرٍ بل في كل يومٍ نخطئ خطايا كثيرة تستوجب عقوباتٍ كثيرة . ثم اذا اصابنا على سبيل العقاب عن هذه المعاصي عارضٌ من عوارض الزمان كمرضٍ طويل او ظلمٍ من الولاة او فقد عزيزٍ لنا نتضجر ونتذمر ونغفل عن جرائمنا الماضية ولا نذكر شيئًا منها . ونحتسب ان ذلك قد اصابنا ظلمًا لا عن جرمٍ ارتكبناهُ . واذا نظرنا الى خطايا الاخرين نضبطها جيدًا ونعين العقوبات الواجبة لهم ونلوم الولاة اذا قصروا في معاقبتهم . فلماذا لا ننظر الى خطايانا ونحاسب انفسنا عليها قبل ان يحاسبنا ربنا . واذا كان بجريرة عاقب الله اهل سدوم وعمورة ذلك العقاب العظيم حيث ارسل عليهم طباق السحب التي ازعجتهم بالرعود والبروق

والعواصف الثائرة ثم امطرت عليهم النار والصواعق واهلكت الرجال والناس والبهائم والطيور وحشرات الارض . فماذا يجب على من خالف الشرع ونبذ الوصايا والسُنَن وتبع دواعي الشهوات وارتكب المعاصي الكثيرة . فان قلت وما هي انواع المعاصي لنجتنبها . قلت اولها تجاسُرنا على تناول الاسرار المقدَّسة ونحن غير مستحقّين لها . فان قلت وكيف يجب علينا الموت بسبب ذلك . قلت اسمع قول الله لموسى في التوراة عن القربان المهيَّأ من شحوم الكباش والثيران وغير ذلك ان كل نفسٍ تقرب من هذه المائدة وهي غير مستحقَّةٍ تهلك تلك النفس من شعبها . فاذا كان الله لمَّا تقدَّم ليصنع مثالاً لهذا الجسد الشريف وضع فرضًا من لحوم الحيوان وحذَّر من الدنوّ منها بغير استحقاقٍ هذا التحذير الرهيب فكم يجب على من يتقدَّم الى تناول الاسرار الالهية المقدسة وهو ملطَّخٌ بادناس الخطايا . وكم يجب على الذين يظلمون الفقرآء وياكلون طعام الارامل . واذا كان الذين يتأخرون عن التصدُّق عليهم يُعاقَبون فماذا ينال الذين ياخذون اموالهم ظلمًا . وماذا اقول عن الزناة والفُسَّاق والسكيرين واللصوص والخاطفين والظالمين وامثالهم من المخالفين لاوامر الله . فكم ضعفًا من العقوبات يجب عليهم عاجلاً او آجلاً . فسبيلنا ان نطهّر انفسنا ونحاسب ذواتنا ونتوب عن خطايانا ونسارع الى ما يقربنا من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والاربعون

مرتبة على فضائل الصوم واجتناب الاسراف في الاكل والشرب وذبح الحيوانات والاقبال على الصوم مع بقية شروطهِ . تقرأ يوم الاثنين اول الصوم المقدَّس

انني افرح وابتهج اذا رايت بيعة الله مجمَّلة بكثرة الاولاد الاحباءِ والاخوة النجباءِ ورايت مبادرتهم اليها بغاية الرغبة وتمام النشاط . ولهذا نهضت انا الان مشاركاً لكم في هذا الفرح الروحي قاصداً اذكاركم في هذا الصوم الشريف بكون سيدنا لهُ المجد قد جعلهُ دواءً لنفوسنا وشفاءً لاسقامنا . ولهذا ينبغي لنا ان نستقبل جمال ورودهِ ونغتنم كنوز فوائدهِ ونقابلهُ بالوجوه الضاحية . والعقول الصافية . والقلوب الخاشعة . والعيون الدامعة . والاعمال الفاضلة . والمحبة الكاملة . والصدقات المتواصلة . ونترك العوائد اليهوديَّة . والاعياد الحنيفية . التي هي فرح الحواس الشهوانية . لانهم حينما يكثِرون من الاطعمة والاشربة والفسق واللذات الخبيثة يعتدُّون ذلك فرحاً وموسماً . وامَّا الافراح الروحيَّة والمواسم الالهيَّة فان فيها الابتهاج بخلاص النفوس من الاشراك الدنيوية واستعدادها لسعادة الملكوت الابديَّة . واذا عدلنا عن الاهتمام بالامور الجسديَّة كالاطعمة والاشربة والسكر والغناءِ وذبح الحيوانات الدمويَّة وهجر اللذات البدنية فلنعدل عمَّا يلائمها من الاعمال الخبيثة كالكذب والزنى والحسد والشقاق والافتراءِ والنميمة واشباه ذلك ونتمسك بالذخائر الباقية . لكن ينبغي لنا قبل المفاوضة في حديث الروحيَّات ان نتضرع اليكم بمحبة المسيح ان تتفهموا

اقوالنا وتسمعوا عظاتنا وتقبلوا التعاليم الروحية بسكينةٍ ورغبةٍ لتعودوا الى منازلكم غانمين وتعلّموها نساءَكم واولادكم واصدقاءَكم باجتهادٍ . وانني لاعجب كيف ان الذين يشاهدون الملاعب وحَلَق المشعبذين ويسمعون الخرافات والاحاديث الملفقة يحدُّون ابصارهم وينبهون اذهانهم ويصغون بغاية الحرص واشدّ النشاط . ويجتهدون في حفظ اقوال اولئك ويتحدَّثون بها في منازلهم ويفتخرون بمحاكاتها وتشخيصها ولكنّا نحن لا نفعل كذلك في الاصغاءَ لاستماع اقوال ربنا اذ نسمع الله يخاطب والانبياءَ يتكلمون والرسل يبشرون والمعلمين يرشدون ويعظون ويخطبون ونحن لا نسمعهم كما ينبغي بل نجول بعقولنا في احوال متاجرنا وزراعاتنا ومنازلنا وامثال ذلك . واذا كان احدنا اذا عزم على الزواج وقرب دخول العروس الى منزلهِ يأمر بتنظيف المساكن وتنقيتها من الاوساخ وفرشها بالمطارف الحريرية واعداد الاواني الفاخرة وكل ذلك اجلالاً لشان عروسهِ فلماذا لا نفعل نحن كذلك عند استقبالنا كلمات ربنا ونجتهد في تطهير ذواتنا من الادناس العالمية ونزيّنها بالاعمال الصالحة لنقبل تعاليم الحيوة الدائمة ونفوز بملك سيدنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التالثة والاربعون

مرتَّبة على قولهِ ان الاصحّاءَ لا يحتاجون الى طبيبٍ . وهي تتضمّن الحثَّ على اجتناب الشراهة والامتلاءَ من الطعام وشرب الخمر

اذا كان المرضى هم الذين يحتاجون الى المداواة ويحتملون مَضَض

العلاجات وقد حضر الان الى مدينتنا الطبيب الفاضل الماهر الحكيم العالم القادر فما بالنا لا نهتمّ بمداواة امراض نفوسنا ونجتهد في تطهير ضمائرنا وقلوبنا ما دام لنا زمانٌ يصلح للمداواة . وكيف لا نبالغ في الاهتمام بمصالحنا ما دام الختن حاضرًا قبل ان يدخل بلاط مجدهِ ويغلق الباب ونبقى نحن خارجًا خائبين . واذا كان اطبَّاءُ الاجسام اذا عزموا على المداواة يامرون المرضى اولاً بالحِمْية . وثانيًا بتنقية الاخلاط الرديَّة . وثالثًا باجتناب ما يعارض قوَّة الدوآء ليظهر نفعهُ في البدن . وهم يحمدونهم على ذلك ويشكرون فضلهم . فكيف لا يكون هذا العزم فينا اذا عزمنا على تناول الادوية الروحيَّة بان نطهّر اجسادنا ونزكّي نفوسنا وننقّي ضمائرنا عند استماع اقوال ربنا ونتفاوض في منافع فضيلة الصيام المقدَّس . لان الاجسام اذا ثقلت بالماكل وغرقت العقول في السكر ومالت الحواس الى الشهوات الخبيثة فايَّ سماعٍ يسمعون وايَّ فهمٍ يفهمون . وايُّ حالةٍ اقبح واشنع من حالة الذين يمتلئون من الطعام فوق طاقتهم ويواصلون شرب الخمر ليلاً ونهارًا . فانهم يتنفَّسون كالمكروبين . ويتقيَّأُون كالكلاب ويتمرَّغون كالخنازير . ويهرجون كالمجانين . ويُضحِكون عبيدهم واهل بيوتهم . ويصيرون هزءًا للخارجين . مع علمهم ان ذلك مما يجلب عليهم سخط الله . لانهُ تعالى يقول ان السكيرين لا يرثون ملكوت الله وان كل من احبَّ هذا العالم يكون عدوًّا لله . ومن هو الذي يكون اشقى ممَّن يقايضون الملكوت السماويَّ باللذات الدنيوية الفانية . واذا كان الانسان الاول باكلةٍ واحدة سقط من ذلك المجد وطُرِد من فردوس النعيم وحُكِم

عليهِ بالموت فكيف تكون عقوبة المذنبين بمثل ذلك اضعافاً . افرأيت ايها الحبيب كيف بعلّة الشراهة من البدء دخل الموت الى العالم وباعمال الفضائل ظهر سبيل الخلاص للفائزين . وان اردت ايضاح ذلك فاسمع ما قالهُ الكتاب الالهيّ من اخبار العصاة المسرفين مثل بني اسرائيل وجيل الطوفان واهل سدوم وعمورة . ومن اخبار الفاضلين مثل نوح وابرهيم وموسى وايليا ودانيال واخنوخ وامثالهم . لان اولئك بالمواظبة على الاعمال الردية والتمتع بالشهوات الخبيثة عُذِّبوا بالعذاب الاليم . وهولآء بالاصوام الطاهرة والاعمال الفاضلة قهروا الملوك وغلبوا عساكر الاعدآء وسدُّوا افواه الأُسد واخمدوا لهيب النار ودفعوا مواقع الغضب واستعدُّوا للخلود في النعيم . ومالي اتكلّم عن هولآء ولا اذكر فضل صيام سيدنا يسوع المسيح لانهُ صام اربعين يوماً ثم خرج لجهاد الخبيث وصنع لنا بذاتهِ مثالاً ورسماً لكي نقتدي بآثارهِ الطاهرة . فلنلبس الان حُلَل الصيام ونتزيَّن بالاعمال الفاضلة ونحمل سلاح الامانة ونشجّع نفوسنا ونطّهر قلوبنا ونخرج لقتال عدوّنا لنفوز بالغلبة والظفر ونصل الى ملكوت ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد امين

العظة الرابعة والاربعون

مرتّبة على قولهِ الويل لكم ايُّها الاغنيآء . وهي تتضمن مدح النسك والعبادة وذمّ السكر والتنعم والسيرة العالميّة

اذا كان ربنا يؤدّب الاغنيآء والذين يتطلبون المديح من الناس

ويجعل لهم الويل هكذا فما بالنا نحن نتهافت على حبّ الاموال . ونغبِط المسرورين بنعيم الدنيا . ونميل الى اللذات العالميَّة . ولا نتذكر احتمال الصوم والصلوة والاتعاب الدينيَّة البالغة بنا الى النعيم السماويّ . لان الصوم النقيَّ من الادناس يلطّف ذواتنا ويميت شهواتنا ويرفع عقولنا الى الباقيات وينقذنا من كل رذيلةٍ . فاذا عرفتم ايها النجباءَ مقدار جلالة الصيام وكثرة الفوائد الناتجة منهُ فينبغي ان نتضرع الى محبتكم ان تقبلوهُ متهللين وتتمسَّكوا بفضائلهِ شاكرين . وان لاتدنسوهُ بالضجر والاهتمام بالامور البدنية . فكما ان النفس الحيوانية اذا شبعت من المطاعم والمشارب تتنبه شهواتها وتتحرك لطلب لذَّاتها فان النفس الناطقة اذا اغتذت بالغذاءَ الملائم لها الذي هو الصيام تنهض من نومها وتنظر الى شرفها وتحقق عظم شانها ويخفُّ ثقل جناحها وتنظر الى السمويَّات وترفض العالميات وتتعالى طالبةً ما فوق كالنسور . فينبغي لنا الان ايها الاعزَّاءَ ان لاندبر الامور العائدة الى خلاصنا تدبيرًا قاصرًا بل ينبغي لكم ان تهربوا من الضرر الناشئ من الاهتمام بالامور الحاضرة لانهُ ليس في الشريعة الحديثة فقط ذُمَّت محبَّة الثروة حيث ظهرت شريعة سيدنا يسوع المسيح لهُ المجد وكثرت فلاسفتها واتَّسع البحث عنها وأُعِدَّت اكاليل المجد . بل في الشريعة القديمة ايضًا لم يُطلَق التنعم بالجسديات لاولئك الذين كانوا كالصبيان المغتذين باللبن لكن تُوُعِّدوا على ذلك بما يكرهون . فتارةً يبكّتهم الله على لسان النبيّ قائلاً الويل للصائرين الى يوم السوءِ الجالسين على أَسِرَّة العاج البَطِرين على مراقدهم الآكلين الجداءَ والحملان

والرُضَّع من عجول البقر الشاربين الخمرة المروَّقة المتطيّبين بالذكيّ من الطيب الذين يعتقدون ان هذه الزائلات ثابتةٌ لا تزول ولا تحول . وتارةً يقول الويل للذين يبكّرون من الغداة مبادرين الى شرب الخمر ويلبثون في السكر الى المساءِ ويطربون بالعيدان والدفوف والطبول والمعازف ولايفهمون اقوال الرب ولا ينظرون الى صنيع يديهِ . من اجل ذلك يُسبَى شعبي لقلة صلاحهِ وتكثر موتاهم من الجوع والعطش . افرأيتم ما ذكر الله على لسان النبيّ من السخط على الذين يسرفون ويتنعَّمون . واذا كان هذا الخطاب قيل لاولئك الذين هم كالاطفال في عقولهم السائرين على هوى بطونهم فماذا عساهُ يقول لنا نحن اذا تمسكنا بالشهوات الزائلة وغفلنا عن الذخائر الباقية . لان جميع اللذَّات العالميَّة تزول كالظل سريعاً وتضمحلُّ كالدخان وتجري هاربةً كالانهار . وتسرع في نسيانها كالطيور . وتدَع المتمسّكين بها والمشغوفين بحبّها عارين من حلل المجد والكرامة . مبتعدين عن ساحة النعيم . متوشّحين بالندامة والشقاءِ . مدفوعين الى العذاب الدائم والاختلاط بالشياطين . وبايّ جهلٍ لا يُوصَفون وايَّ عذابٍ لايستحقّون وقد باعوا السماويَّات بالارضيَّات . والباقيات بالفانيات . والابديات بالزمنيَّات . والممالك الثابتة بالعوارض الزائلة . فسبيلنا ان نهرب من الوقتيَّات ونبتعد من الزمنيات ونسارع الى طلب الباقيات لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والاربعون

مرتَّبة على ركوبهِ السفينة وانتهارهِ الرياح وتعنيفِ التلاميذ على خوفهم من الغرق
وهي تتضمَّن الحثَّ على قبول التعاليم الالهيَّة

ينبغي لنا الان ان نجتهد في التمسُّك بالايمان الوثيق والاعمال الصالحة ونتنبه من غفلتنا ونسارع الى طاعة الهنا لنقتدر على تسكين رياح المِحَن وتلاطم امواج المعاندين . لاننا اذا تركنا الاهتمام بالاشياء الحاضرة واللذَّات الزمنيَّة ووقفنا امام ربنا كل حينٍ فانهُ حينئذٍ يجود علينا بالممالك السماويَّة والكنوز الابديَّة ويهبنا الخلود في دار النعيم . وكما ان الآباء الجسديّين اذا احاط بهم الاولاد من كل جانبٍ وتركوا لعبهم وانعطفوا الى طاعتهم بكل قلوبهم يُقبِل الآباء عليهم احسن اقبالٍ ويمنحونهم العطايا المرضية لهم . وكذلك يكون الآباء الروحيُّون . فهكذا اكون انا اليوم اذا رايتكم مجتمعين اجتماعاً روحانياً متسارعين الى استماع التعاليم الالهيَّة برغبةٍ ونشاط محافظين على العمل بها معرضين عن الاهتمام بالامور العالميَّة متبادرين الى الجلوس على المائدة الروحيَّة . فانني حينئذٍ اسرُّ بان امنحكم التعاليم المنقذة للنفوس . وكما ان الفلَّاح اذا اعتنى بجودة الارض ونقَّاها من الاشواك والهشيم يُكثِر فيها زرع الحبوب فكذلك يكون حالي انا اذا رايت اراضي نفوسكم قد تنقَّت من الاهتمام بالسكر والسَرَف وطياشة الاذهان وهيمان الافكار الشهوانية . ورايت عقولكم ناظرة الى السماء ممتدَّة نحو الباقيات ومستولية على قهر الطبيعة البشرية .

فانني اسارع الى كثرة البذار حيث لا الاشواك تخنق ولا الطيور تلقط ولا العابرون يقتلعون . لان قوَّة الصوم عظيمة وفضائلهُ جزيلة ينبغي التعجب من آثارها . اذ نرى المدينة اليوم تشبه الامراة الحرَّة العفيفة المزيَّنة باعمال الفضيلة . وقد نُزِعَت من وسطها لحوم الحيوانات . وأُغلِقَت بيوت الخمَّارين . وسكتت اصوات المضحكين والمشعبذين . وبطل الاهتمام بالامور الارضية . وجُعِلَت مائدة الملك والمملوك والغنيّ والفقير والعالم والجاهل واحدةً وافكارهم واحدةً . ولكن كما ان الايمان لا يجدي نفعًا ولا يحصِّل طائلاً اذا كان بدون اعمالٍ كذلك الصوم بلا فضيلةٍ وسماع التعاليم بلا عملٍ يشبه الذي بنى بيتهُ على الرمل . ولهذا ابتدئ الآن متضرِّعًا اليكم ان يكون سماعكم للاقوال الالهية سماع المتفهمين لها الباحثين عن معانيها المسرعين الى العمل باوامرها المتحذِّرين من مخالفتها الخائفين من العقاب على التهاون بها لكي تشبهوا الذي حفر الاساس جيدًا ووضع البناءَ على الصخر وقدَّم النظر في مصادمة الرياح والسيول فكان بناؤُهُ وثيقًا كما ينبغي . وارغب ان يكون سماعكم لا كسماع الجهَّال المتهاونين الذين يضيعون اتعابهم باطلاً حيث يعتنون بجمع الحجارة واستحضار المهمات واستدعاءَ البنائين ويضعون الاساس على الرمل . قال ربنا لهُ المجد ان الذي يسمع كلامي ويعمل بهِ يشبه رجلاً عاقلاً بنى بيتهُ على الصخر . والذي يسمع ولا يعمل يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيتهُ على الرمل . وكما كان لاشتغالكم بالزائلات اعمالٌ تناسبهُ كاللهو والضحك وسماع الاصوات المطربة وغير ذلك هكذا فليكن لصومكم اليوم اعمالٌ تناسبهُ كالمحبَّة والرحمة والتواضع

والصدقة والتفريج عن المتضايقين والافتقاد للمسجونين والاشتغال بالامور العقليَّة المثمرة لهذه الفضائل كالصلوة والقراءة وغير ذلك لتقفوا امام الحضرة الالهية بالوجوه المسفرة والاعمال الحُسنَى وتاخذوا اكليل الظفر وتفوزوا بنعيم الملكوت السمويّ بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السادسة والاربعون

مرتَّبة على تطهير الابرص . وهي تتضمَّن الحثَّ على تفهُّم المقولات والعمل بحسَبها

ينبغي لنا ان نبالغ في غسل اوساخ خطايانا وتطهير قلوبنا من ادرانها وان نتضرَّع امام ربنا لينقّينا من برص العالميَّات والامراض الروحية ويعدَّ لنا الذخائر الباقية في الملكوت الابديّ . ونحافظ على استماع الاقوال والتعاليم لانها بمنزلة الملح والخميرة . فان الكلمة اليسيرة تشتمل على المعاني الكثيرة وتكسب الحيوة السعيدة للعاملين بها . وكما ان الذين يطلبون الكنوز والمعادن الفاضلة يختلفون في ما يلتقطونهُ لان منهم من يجمع كثيرًا من الفضة والنحاس والحديد وغير ذلك . ومنهم من يتمسَّك بحجرٍ صغيرٍ من الياقوت فيحصل منهُ على اموالٍ كثيرة افضل من اولئك الذين يجمعون الاصناف الكثيرة . فكذلك الذين يطلبون الكنوز السمويَّة تتفاوت نتائجهم . لانك ترى بعضهم مجتهدين في القراءة والمجادلات والبحث في الكتب الغريبة ولا يعملون بشيءٍ من ثمرات علومهم .

واخرين يتمسكون بكلمةٍ قصيرة اللفظ كثيرة الفوائد ويضبطونها ويحافظون على العمل بها فيرثون بواسطتها حيوة الابد ويشابهون الذي ظفر بالدُّرة الكريمة وفضَّلها على الاموال والاملاك والمتاجر . واذ قد عرفنا قدر هذه المواهب الفاضلة فلنبذل الجهد في نصح الاقارب والاباعد وانتشالهم من وهدة المعاصي وتحريضهم دائمًا على الاعتناء بخلاص نفوسهم والهرب من التطوُّح في الاباطيل العالمية . لانهُ اذا كان عدوُّنا لا ينام فكيف لا نواظب السهر ونحذر من الكسل ونتيقَّظ من الغفلة حاملين سلاح ايماننا . واذا كان جهادنا كما قال الرسول ليس مع لحمٍ ودمٍ بل مع الارواح الخبيثة فكيف لا ينبغي لنا ان نُعِدَّ لهذه المعركة اسلحةً تلائمها . فانهُ كما ان الذين يحاربون الاجسام اللحميَّة يتحرَّون اتخاذ الاسلحة الملائمة لها كالسيوف والرماح والسهام يجب على الذين يحاربون الارواح الشريرة ان يتخذوا الاسلحة الملائمة لها . فان قلت وما هي هذه الاسلحة اجبتك هي الصوم النقيُّ والصلوة الخاشعة والتواضع والرحمة وبقيَّة انواع الفضائل . واسمع قول الرسول كيف يوضح هذه الاسلحة بقولهِ ضعوا على رؤوسكم خوذة الخلاص . وخذوا بايديكم ترس الايمان . وتمنطقوا بمناطق الحقّ . واتخذوا سيف الروح . واحذوا ارجلكم ببشرى السلام والبسوا جميع سلاح الله . وبكل صلوةٍ وبكل طلبةٍ تتضرَّعون في كل وقتٍ لكي تقدروا على مقاومة حِيَل الشيطان وخداعهِ . فاذا تسلحنا بهذه الاسلحة المنيعة لا نهرب من القتال ولا نخاف من المعركة لكن ننهض من نومنا ونجتهد في قتال اعدائنا ونحصن ذواتنا لنفوز بالغلبة قاهرين مسرورين بنعمة ربنا والهنا

يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والاربعون

مرتَّبة على اخراج الروح النجس وقولهِ ان هذا الجنس لا يخرج الا بالصوم والصلوة

وهي تتضمَّن الحثَّ على ان لا يكون صومنا كصوم اليهود

ينبغي لنا ان نسمع اقوال ربنا ونحافظ على العمل بها مسرورين ونكمل اصوامنا وصلواتنا لكي يكللنا بالمواهب الفاضلة ويطرد عنا الشياطين . فانهُ كما ان الفلَّاح اذا نظر الى قوَّة الارض وخلوّها من الاعشاب الرديَّة يلقي البذار بكثرةٍ ويجتهد في حفظها وصيانتها اجتهادًا بالغًا فيحرسها من الطيور والمواشي وعابري السبيل وغير ذلك . هكذا اذا رأى سيدنا لهُ المجد طهارة نفوسنا وانسحاق قلوبنا يحفظنا من الشوائب المضرَّة ويدفع عنا المضادّين ويفيض علينا مواهب الروح بغزارةٍ ويُعِدُّ لنا سعادة النعيم . وهكذا انا اليوم اذا رايت اجتماعكم الى بيعة الله واشتياقكم الى تفهُّم معاني الاقوال الالهية ورغبتكم في استماع التعاليم الروحية واعراضكم عن الاباطيل العالمية ابادر مجتهدًا الى القاء البذار الصالحة في اراضي نفوسكم النقية . واذا كان الناهض منا والطالب لاعمال الفضائل واحدًا وهو العقل والمضادُّون لهُ كثيرين ينبغي لنا ان نتيقَّظ دائمًا ونتقلَّد باسلحتنا ونتحفَّظ من اعدائنا . ونمتحن كل ساعةٍ اعمالنا وننظر هل اعمالنا الصالحة ارجح ام اعمالنا الرديَّة . ونتشبَّه بذلك الانسان الفاضل الذي لما كثرت

عليهِ الزلَّات وتعب من جهاد الشياطين صار يضع كلَّ يومٍ قفتَين احداهما عن يمينهِ والاخرى عن يسارهِ فكلما عرض لهُ فكرٌ صالحٌ يضع حجرًا في التي عن يمينهِ او فكرٌ رديٌّ يضع حجرًا في التي عن يسارهِ . وفي اخر النهار يعدُّ ما في القفتَين من الحجارة . فان زاد عدد الافكار الصالحة على الافكار الردية يستبشر بالانتصار على عدوّهِ المجرّب لهُ . وان زاد عدد الافكار الرديَّة يكلِّف نفسهُ الصوم الطويل والاتعاب الشديدة ويمنعها من الغذآء والرقاد والراحة . وما زال مواظبًا على هذا العمل حتى صار لا يجد في قفة الافكار الرديَّة ولا حجرًا واحدًا . وهكذا ينبغي لنا ان نحاسب ذواتنا ونتأمَّل في افكارنا ونجعل على آذاننا اقفالاً مانعة عن سماع الاقاويل المضرَّة للنفس . ونضع حُرَّاسًا على السنتنا تمنعها عن الكلمات الشريرة . ورُقبآء لافكارنا تنبهنا على ما لا ينبغي لكي نخرجهُ عن ذواتنا . وقبل ذلك كلهِ يجب علينا ان نعرف مقاصد اصوامنا لكي لا نكون كالتائهين في البحر حيث يظنُّون انهم قاصدون المدينة وهم سائرون الى جهةٍ اخرى . فان قلت ما هو الصوم في الحقيقة وهل هو غير الامتناع عن الطعام وقتًا معلومًا . قلت ان الصوم هو الامساك عن جميع الرذائل والتمسك بكل الفضائل . وذلك بواسطة منع النفس عن اللذات البدنية كالاطعمة والاشربة وغيرها . وعلى ذلك قول الله لبني اسرائيل اذ كانوا يظنون ان الصوم هو الامتناع عن الطعام الى الليل فقط . ثم يقدّمون الوان الاطعمة فياكلون ويشربون . فيقول الله مبكِّتًا لهم ها هي سبعون سنةً لعلكم صمتم لي منها صومًا يا بني اسرائيل . وان اكلتم وشربتم افليس انكم

انتم الذين ياكلون ويشربون . ان الصوم ليس هو ان يضع الانسان نفسهُ ويحني عنقهُ ويفترش لهُ مسحًا ورمادًا بل ان تحلّ عُقَد الاثم . وتقطع اربطة الظلم . وتبتعد عن المكر والغشّ . وتعتق المستعبدين . وتكسر خبزك للجائع . وتُؤْوِي الغريب الى بيتك . وتُنصِف الايتام والارامل . ولا تتغاضى عن لحمك ودمك . فان فعلت ذلك فسيشرق نورك في الظلمة . ويظهر برُّك سريعًا . وينفجر ضياؤك مثل الصبح . وتجمع كرامة الرب شملك . ويدبّرك الله تدبيرًا صالحًا . وتشبع نفسك من الخصب . وتصير كالبستان الذي تموج اغصانهُ نضرةً وكينبوع الماء الذي لا ينقطع . وتبني من خيراتك الخِرَب التي خربت من القديم . وتقيم الاساس الذي سقط من اوائل الزمان . فاذا كان هذا قول الله لاولئك الذين مواعيدهم جسديَّة فماذا عساهُ يقول لنا . واذا كان لم ينظر الى اصوامهم في سبعين سنةً لخلوّها من هذه الفضائل فكيف يعتدُّ باصوامنا . والى مثل هذه اشار ربنا بقولهِ ان الصوم مع الصلوة يخرج الشيطان . فسبيلنا ان ننهض من غفلتنا ونحافظ على الاصوام المرضية لالهنا لنفوز بنعيم ملكوتهِ الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والاربعون

مرتَّبة على قولهِ لا تهتموا لانفسكم بماذا تاكلون . وهي تتضمَّن الحثّ على اخفاء الفضائل وسترها

اذا كنا قد علمنا ان ربنا هو الخالق لذواتنا والمهتمُّ بقوام حياتنا فما بالنا

لانرفع حاجاتنا اليهِ ونتوكل عليهِ في تحصيل ضروريّاتنا ونجتهد في اقتناءَ الفضائل واجتناب الرذائل . واذا كان الله تعالى يهتمُّ بالمخلوقات لاجلنا هكذا ويضرب لنا الامثال بفراخ الغربان وزهر النبات وامثال ذلك من المخلوقات الحقيرة فكيف يكون اهتمامهُ بنا . ويا للعجب من كونهِ يحثنا دائمًا على تحصيل سعادة الابد ويعدُ لنا ذخائر الملكوت ويوضح لنا المطالب السامية ويظهر لنا الكنوز الدائمة ونحن هكذا لا نزال متكاسلين ومتهاونين . واذا كان الذين يقصدون استخراج الذهب من المعادن اذا ظهر لهم عرقٌ دقيقٌ من التبر او من الفضة يحفرون عليهِ باجتهادٍ ويطلبونهُ حيثما كان غائصًا واينما ذهب ويحثون عليهِ الى الاعماق ليحصلوا على الثروة بواسطتهِ ويتنعموا بذلك ويترفَّهوا . فكيف لا يجب علينا نحن الذين وُعِدنا بملكوت السموات وسعادة الابد والنِعَم التي لا نهاية لها ان نبحث عن كنوزنا ونسارع الى طلب خلاصنا ونجتهد في الوصول الى جواهر الفضيلة . واذا كان الذين غناهم زمنيٌّ زائلٌ واحيانًا كثيرةً يجلب عليهم الاخطار والاضرار كخطف اللصوص وقطع الطُرُق وهم مع ذلك يجتهدون في طلبهِ هكذا فكيف لا تتشبهون بهم في تحصيل الفضيلة وتزيدون عليهم . ويا للعجب من كون اولئك اذا ظفروا بمطلوباتهم وحصَّلوا كنوزهم يجتهدون في حفظها ويبالغون في صيانتها ولاسيما اذا شعروا بالذين يريدون انتزاعها ويحاولون خطفها فانهم يبادرون الى حفظها وضبطها واخفائها عن اعين السارقين . فبعضهم يضعها في الخزائن الحريزة . وبعضهم يجعلها في مخابي الارض . ويحتالون على حراستها وسترها

عن نظر اللصوص بوسائط مختلفة . ونحن لا نعتني كذلك بكنوزنا ولا نحذر اغتيال اعدائنا . فاذا جمعنا ثروة الفضيلة يجب ان لا ندعها ظاهرةً لاعين الناظرين بل نودعها في خزائن الفكر . ونُقفِل عليها ابواب الضمير . ونُوكِّل بحراستها العقل . ونتيقظ لحفظها ساهرين عليها . وكما ان التجَّار الذين في البلاد الغريبة اذا عزموا على العودة الى بلادهم يجتهدون في تحصيل زاد السفر والهدايا الحسنة الى اهلهم ويشحُّون على انفسهم في النفقات لتوفير اموالهم لكي يقبلوا الى اهلهم بالاموال والهدايا وبعد ذلك يستريحون ويستقرُّون في منازلهم كذلك يجب علينا ان نصنع في غربتنا في هذه الدنيا فنجتهد في حفظ ذخائرنا ونتجهَّز بزاد السفر ومهماتهِ لكي نصل الى اوطاننا الحقيقيَّة سالمين رابحين ونفرح بنوال ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والاربعون

مرتبة على قولهِ اذا لم يزد برُّكم على الكتبة والفريسيين لا تدخلون ملكوت السماء

وهي تتضمَّن الحثَّ على الاحتياط من الاعداء

اذا كان عالمنا هذا بمنزلة اوان الزراعة ومدينة المتاجر والارباح وسفينة المسافرين فكيف لا نكون مُشمِّرين لمواعيدنا مهتمِّين بودائعنا محافظين على فوائد الفضيلة . واذا كان الشرط في دخولنا الملكوت ان يزيد برُّنا على الكَتَبة والفريسيين . وان نُعلِّم الناس بالاقوال والاعمال . وان

نكون محبّين لاخوتنا. وادّين لاعدائنا. مسارعين الى طلب الصلح والسلام. مزيّنين ذواتنا بالكمال. فكيف نكون هكذا كسالى متهاونين ونحن نعلم انهُ ينبغي لنا ويجب علينا ان نكون عاملين معلمين محبين لاخوتنا مترجّحين في الفضيلة على غيرنا مجاهدين في تحصيل الكمال المسيحيّ. ونعلم ان لنا مع ذلك اعداءً يلتمسون قهرنا ويجتهدون في سقوطنا. فلننبِّه عقولنا من غفلة الكسل ونصرف انفسنا عن الانهماك بالشهوات البدنيَّة لئلَّا يجد عدوُّنا سبيلاً الى قهرنا. واذا كان عدوُّنا لاينام والمبغض لجنسنا لايغفل فلماذا لانهيئُ اسلحتنا ونشيِّد اسوار مدينتنا ونقيم عليها الحرَّاس والطلائع والمجاهدين لئلَّا يهجم علينا بغتةً ونحن في غفلة اهمالنا فيجعلنا ضحكةً للناظرين وعاراً امام المجاهدين. لان اولئك ياخذون اكليل المجد ويفوزون بالخلود في النعيم. ونحن نُطرَد بجريرة تهاوننا. واذا كانت الكلمات الرديَّة تفسد الضمائر السليمة كما قال الرسول فينبغي لنا ان نهرب دائماً من معاشرة الاشرار والسكيرين والمستهزئين وامثالهم لان الاختلاط بهم واستماع كلامهم على الدوام يجذب الاخيار السليمي القلوب الى التخلق باخلاقهم. وكما ان الذين يجالسون العطَّارين وباعة المسك والطيوب العَبِقة يكتسبون الروائح الذكيَّة ينبغي لنا نحن ايضاً ان نلازم الحكماءَ والمعلمين وارباب الفضيلة لنقتدي بمثالهم في الصالحات. ويا للعجب من كون الفضيلة حسنة عند جميع الناس والرذيلة قبيحةٌ حتى عند الذين يفعلونها ايضاً. فانك ترى السكّير مثلاً اذا راى رجلاً سكران يستهزئُ بهِ ويضحك عليهِ ويستنقص عقلهُ. فانظر الى فاعل الرذيلة كيف يستقبحها

مع ممارستهِ لها . لان الله وضع في طبائع البشر حاكمًا عادلاً لا ينظر الى الوجوه ولا ياخذ الرِشَى وهو العقل الفاصل بين الفضيلة والرذيلة ليبيِّن جمال هذه وقباحة تلك فيكون الانسان بلاعذرٍ ولاحجَّةٍ عند المداينة في اليوم الاخير . واذا كان ربنا لهُ المجد قد وضع قانونًا سهلاً يسيرًا لخلاصنا وهو ان نحسن الى المسيء ونصفح عن المخطِئ وهو تعالى يصفح عن زلاتنا فماذا يكون عذرنا اذا لم نعمل بمثل ذلك . الا تسمع قولهُ اذا قدَّمت قربانك على المذبح وكان اخوك واجدًا عليك فاترك القربان على المذبح وامضِ وصالح اخاك . فاذا كانت القرابين لا تُقبَل مع الحقد وكذلك الصوم والصلوة وبقيَّة الفضائل . وكان المغضِب لاخيهِ باطلاً والقائل فيهِ قولاً رديًّا قد وُعِد بالعذاب في الجحيم فكيف تكون عقوبة الذين يُسيئون الى اخوتهم الظالمين لهم والسالبين اموالهم والتاركين الاهتمام بمصالحهم . فسبيلنا ان نكون متيقِّظين لانفسنا منعطفين الى اقوال ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخمسون

مرتبة على قولهِ وبدأ يعيِّر المدن التي كان فيها اكثر قواتهِ . وهي تتضمَّن الحثّ على ذكر الموت والقيامة والعمل بما يلائمهما وما اشبه ذلك

اذا كان ربنا لهُ المجد يبكت الذين يسمعون الاقوال ويشاهدون الآيات في الزمان اليسير وهم غافلون ويتوعَّدهم بمثل هذه العقوبات كلها فكيف

يكون وعيدهُ لنا وتبكيتهُ لاهما لنا . واذا كان قد خاطبنا بذاتهِ واظهر لنا سرَّ القيامة ووعدنا بالملكوت واعدَّ لنا الحيوة السعيدة وفضَّلنا على الحكماء والفلاسفة فما بالنا لانحمل نيرهُ كما يجب وكيف نكون هكذا غافلين . واذا علمنا اننا راحلون ومسافرون لامحالة افلا ينبغي لنا ان نلهج دائمًا بذكر الموت والقيامة غير ناسين لهما ولا غافلين عنهما . ولاسيما اذا توجَّهت افكارنا الى طلب الغنى وبناء المنازل وغرس البساتين والافتخار بالعالميَّات وغلبة الاعداء وغير ذلك . فينبغي حينئذٍ ان يناجي كلٌّ منا نفسهُ عند اضطراب فكرهِ قائلاً يا نفس اننا مائتون . والقيامة تقوم . والامم تجتمع . والقاضي يجلس للمحاكمة . والنار مُعَدَّة للخطاة . والسعادة للصالحين . واننا سنترك اموالنا ومنازلنا واملاكنا عن قريب . ثم نطلب الجواب منها ونذكر ذلك بصوتٍ مسموع ليسمع المترفّه والمتنعم ان حالتهما زائلة فينتبهان . ويشعر المتوجّع والمتضجّر بان هذه دار فلاحةٍ وتلك دار التحصيل فينهضان من كسلهما . والباكون والنادبون ان هذه دار الحزن وتلك دار الراحة فيفرحون . فان قال قائلٌ ومتى تكون القيامة وكم عبر من السنين ومضى من الاجيال وانتم تقولون كذلك . فاقول أمَّا نحن فمذعنون لربنا ولرسلهِ ولعقولنا وافكارنا السالمة من الخديعة والاغترار . واما الذين يرتابون في القيامة فسينظرونها ويتحقَّقون . فان الذين كانوا قبل الطوفان في زمان نوح كانوا ينظرون ذلك الصدّيق ينذر الناس . والسفينة تُصنَع . والنجّارين يشتغلون . وهم يتضاحكون مستهزئين حتى هطلت السيول وتفجَّرت ينابيع الارض وميازيب السماء وطفح الطوفان

على جميع الارض واهلك كل من فيها . وكذلك المعاصرون للوط البار كانوا مستغرقين في الفساد والمعاصي غير منتبهين حتى امطرت عليهم السمآء نارًا وارسل السحاب صواعق تزلزل الجبال ففاجاهم الهلاك بغتةً . وعلى هذه الحالة تكون القيامة المنتظرة كما قال ربنا حيث يكون الناس ياكلون ويشربون ويغرسون ويبنون حينئذٍ تتزلزل الارض بغتةً . وتضطرب قوات السمآء . وتظلم الشمس . وتتفتح القبور . وتنشقّ الصخور . وتنهض الاموات من اللحود . وينظر المرتابون ذلك فيندمون . وكذلك يقول بولس الرسول انهُ اذا قال الناس سلامةً وحياطةً حينئذٍ يدهمهم الهلاك بغتةً كما يدهم الحامل المخاض ولايفلتون . وانما جعل الله وقت القيامة مجهولاً هكذا لنكون دائمًا خائفين مترقبين طاهرين متحذرين من ان يكون الآن او غدًا او في ما بين ذلك . والّا فاذا لم تكن قيامةٌ فكيف يكون الله عادلاً . اذ يرى الاشرار والفجّار ياكلون ويشربون ويسرقون ويخطفون ويفرحون ويتهلّلون وهم مع ذلك مخالفون اوامرهُ مضرُّون بخلقهِ . واذ يرى الصالحين ساهرين باكين حزانى مغمومين مطرودين جائعين مجاهدين كافّين شهواتهم هاجرين لذاتهم . وكل ذلك طلبًا لمرضاة الله . فاذا لم يكن مجازاةٌ فكيف ياخذ كل واحدٍ من الفريقين جزآءهُ . وكيف يكون المسيح بدء القيامة وبكر الاموات . فسبيلنا ان نردّد هذه الاقوال في افكارنا دائمًا . ونكررها على انفسنا بلا فتورٍ . وننتظر ظهور ربنا يسوع المسيح آتيًا في ملكوتهِ ليجازي كل واحدٍ بحسب اعمالهِ . لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والخمسون

مرتبة على قولهِ تحرَّزوا من خمير الفريسيين . وهي تتضمن ذمَّ المتنعمين والمترفهين لمشابهتهم اولئك في التمسُّك بالامور البدنيَّة

ينبغي لنا ان نحترز من خمير الفريسيين الذي هو الرياءُ والخبث والمكر والشقاق وما اشبه ذلك ونتشبَّه باعمال ربنا . وان لا نجرّب المسيح كما جرَّبهُ اولئك الهالكون السائرون في ظلام حسدهم وضلالة مكرهم وعمى قلوبهم المتمسكون بشهوات نفوسهم المُغرَمون بلذَّات هذه الحيوة الفانية . واذا كان بولس الرسول يسمي العيشة القديمة ليلاً اذ يقول سبيلنا ان نطرح اعمال الظلام ونسلك على نهجٍ محمود كالسالكين في نهارٍ انتمتَّع بذلك النور فماذا يسمي عيشة السالكين بهوى شهواتهم . لانهم حيث يجدون المآكل والمشارب والرفاهة والسَرَف ونوال الشهوات واللذَّات البدنيَّة يفرحون ويطربون ويغبطون انفسهم . والذين يسلكون في سبيلهم يحسدونهم ولا يعلمون انهم سالكون في الظلام ومستعدُّون للعذاب . ويا للعجب من كونهم ينظرون كل يومٍ الى ثمرات اتعابهم اعني الاطعمة والاشربة وهي تُقذَف في القواذير والعابرون يهربون من قبح منظرها ونتن رائحتها . وهم لا يميزون هذا المصير ولا يتيقَّظون بل يجهدون انفسهم في غرس الاشجار وبناءِ المنازل مع علمهم انهم يفارقونها لا محالة . وكيف يجوز للعاقل ان يترك الاجتهاد في الباقيات ويقضي ايامهُ في الاهتمام بالفانيات . فان اردت يا هذا ان نكون سعيدًا صاحب

مالٍ وحقول ومنازل وغير ذلك فاجتهد في اقتناء الامتعة الباقية والاغراس التي لا تتلف . وحينئذٍ تبتدئ ببناء المنازل الدائمة والحقول الثابتة حيث لا تصل اليها الغوائل المضرّة ولا يحتال على فسادها المفسدون . فان قلت من هو الباني لهذه المنازل . والغارس لهذه الاشجار التي لا تزول ولا تفسد كما تزعمون . ومن يبيع هذه الامتعة . ومن هو الذي ياخذ اثمانها . وفي ايّ البلاد تُوجد . واين يكون بنيانها . اجبتك ان الباني والغارس هو السيد المسيح . وصاحب الاغراس والامتعة هو الله تعالى . والثمن المرصود لابتياعها هو الصوم والصلوة والصدقة والرحمة والامانة والمحبّة وما اشبه ذلك . والذين يقبضون اثمانها هم الفقراء والمساكين والارامل واليتامى وامثالهم . وحينئذٍ تجد منازل في السماء جميلة وحقولاً مثمرة وجواهر يلمع ضياؤها ويغلب نورها على نور الشمس ويُخجل ضوء القمر . وهي ثابتةٌ لا تزول ولا تحول ولا يصل اليها الخاطفون . فسبيلنا ان نبتعد عن الاباطيل العالمية لنظفر بالسعادة الابدية فائزين بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والخمسون

مرتّبة على قولهِ انسانٌ ذو جنسٍ شريف مضى الى الغربة لياخذ الملك ويعود . وهي تتضمن الحثّ على طلب الفوائد السماويّة والمتاجر الروحيّة واهمال الامور الارضيّة

اذ قد علمنا الآن من امثال ربنا ان عمرنا هذا هو اوان متاجر وزراعات.

وان لنا حيوةً اخرى نحصّل فيها ثمرات زراعتنا ونغتبط بارباح متاجرنا فلماذا لا نجتهد في مضاعفة وزناتنا. ونبالغ في تحصيل فوائد متاجرنا. ونختبر الصنائع المنتجة الارباح. ونسافر الى البلاد البعيدة. ونترك الاهتمام والاشتغال بلذّات النفوس الحيوانية وشهوات الطبائع البشريَّة. وما بالنا نضيّع زماننا في التشاغل بالامور الزائلة سريعًا لاننا في عالمنا هذا غرباۤء على جناح السفر. فانهُ اذا كان الذين يسافرون الى البلاد البعيدة لا يبنون منزلاً ولا يغرسون حقولاً ولا يقتنون حوانيت لانهم يقولون نحن غدًا راحلون من هذه البلاد الغريبة وراجعون الى اوطاننا فكيف نترك اتعابنا لآخرين. هذا مع كونهم يقيمون هناك زمانًا طويلاً. فكيف يسوغ لك ايها المطلوب للسفر المستعدُّ دائمًا للرحيل من دار غربتك ان تضيع اتعابك باطلاً. وتترك مقتنياتك لآخرين. فتكون حينئذٍ كالذي يبني بيتًا على الماۤء او يخزن مالاً في الهواۤء او يبذر زراعةً في الاراضي الصخريَّة. وكيف لا تنظر الى التجَّار المسافرين كيف يهتُّمون في البلاد الغريبة بتحصيل الاموال وابتياع الجواهر النفيسة والامتعة الفاخرة ولا ينفقون هناك شيئًا ولا يضيعون فلسًا بل يحفظون اموالهم ويجمعون تجاراتهم الى ان يعودوا الى بلادهم ويظهروا فوائد متاجرهم فياخذون اكاليل النجاح ويتنعمون حينئذٍ ويسرُّون. ويا للعجب من كوننا نسمع دائمًا عظم مكافاة الرابح في وزنات سيدهِ وعظم عقوبة الخاسرين ويلهينا عن ذلك التشاغل بالاباطيل الفانية. وكيف لا نخاف من قولهِ لذلك العبد الكسلان خذوا منهُ الوزنة واعطوها لصاحب الوزنات العشر لان من لهُ يُعطَى ويُزَاد

ومن ليس لهُ يُؤخذ ما معهُ . أَوَلا نسمع قولهُ لنا اعملوا الان لا للطعام الفاني بل للطعام الباقي المؤدّي الى الحيوة الدائمة . وقولهُ لا تهتموا بالغد فان الغد يهتمُّ بشانهِ . وقولهُ لا تهتموا لانفسكم بماذا تاكلون . وقولهُ اطلبوا اولاً ملكوت الله وبرَّهُ وهذا كلهُ يزاد لكم . فان قلت وما هو هذا العمل . قلت هو الصوم والصلوة والصدقة والاماتة والمحبة وما اشبه ذلك . وان قلت وما هو ذلك الطعام . قلت هو الخلود في الملكوت ومعاشرة القديسين . فانهُ اذا كان الذين يرومون الزواج ويتصوَّرون الجارية وزينة المنازل واعداد المفارش الفاخرة والستور الملوَّنة يتعبون وينصبون ويكلّفون انفسهم غراماتٍ ومشقاتٍ يطول شرحها . وكذلك الذين يغرسون الحقول ويبنون المنازل . مع ان كثيرين منهم لا يبلغون ما يشتهون . لانهُ قد تموت عروس الواحد . ولا يستطيع الآخر ان يتمّ بناءَهُ كما ينبغي . فالذين يتصوَّرون ملك السماءِ وسعادة الابد والخلود في النعيم كيف لا يتيقَّظون وينهضون ويشمّرون . فسبيلنا ان ننظر دائمًا الى المنازل الباقية والسعادة التي لا تزول في ملكوت ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثالثة والخمسون

مرتبة على قولهِ اذا رايتم سحابةً قلتم اليوم يكون مطرٌ . وهي تتضمن تبكيت الذين ينهمكون بالامور الارضيَّة والشهوات البدنية . و يُعرِضون عن التجارة الابدية

اذا كنا الان في عمرنا هذا نبالغ في اختبار الامور النافعة والاطعمة

اللذيذة والرتب العالية والاوقات المعينة على تتبُّع اهوآئنا حتى انتهى بنا الحرص والاجتهاد الى النظر في سير الكواكب وتمييز الايام ومواقع حدود الكائنات وعمل ما لا يلزمنا فما بالنا لا نفعل ذلك في الاهتمام بالباقيات . وما بالنا لا نفي ديوننا ونتخلَّص من غرمائنا قبل ان تتسلَّط علينا الولاة والحكام ونصير في اسر غيرنا . واذا كان ربنا قد ضرب لنا مَثَل الذين يقصدون الخلاص والذين يهملون ذواتهم على اوجهٍ كثيرة ونحن لا نرتدع فماذا يكون حالنا . فلنقل الآن ان المجتهدين والمتهاونين يشبهون رجلين تاجرين سافرا الى بعض الاقاليم لتعاطي التجارة . ولما وصلا الى المدينة افترقا ومضى كل واحدٍ منهما الى حيثما اراد . اما احدهما فشمَّر عن ساعد العزم وقام على قدم النشاط واخذ يجول في كل الاسواق وحوانيت البضائع ويسأل السماسرة وارباب الخبرة عن البضائع النافقة والمتاجر الرابحة ويجتهد في الابتياع نهارًا وليلاً ولا يلتفت الى لذَّةٍ ولا الى شهوةٍ حتى استكمل كل ما يحتاج اليهِ ثم استراح اخيرًا . واما الآخر فانهُ عند ما دخل المدينة اخذ يسأل عمَّا فيها من البساتين والحمَّامات وحوانيت الشراب ومحاضر الملاهي ومعاهد النسآء . وما زال يقضي الاوقات هكذا ساعةً في البستان وساعةً في الحمَّام . وساعةً في الطعام والشراب . وساعة في الملاهي والخلاعة . وكلما رأَى رفيقهُ مجتهدًا في تحصيل البضائع التجاريَّة ضابطًا نفسهُ عن النزاهة والملاهي يُعنِفهُ على الانهماك في التعب وترك التنعُّم واللذات وهو لا يلتفت الى رايهِ وكلامهِ حتى انقضى الاجل المعيَّن للغربآء فنُفِخ في بوق الرحيل واقبلت الجنود والحُرَّاس

لاخراج الغرباءَ من المدينة حسب العادة الجارية عندهم . فنهض ذلك التاجر اللبيب مسرعًا مسرورًا بعودتهِ الى وطنهِ . وللوقت حزم بضائعهُ ورزَّم امتعتهُ وانطلق سالمًا غانمًا . واما ذلك العاجز الخائب فانهُ عندما سمع بوق السفر وبلغ اليهِ الاجناد الذين يُخرِجون الغرباءَ من مدينتهم تيقَّظ من غفلة الجهل ونوم الكسل واقبل على نفسهِ بالحزن والندامة وهو يسترحم فلا يجد راحمًا ويستعطف فلا يجد متعطِّفًا . وقد اصبح بين التجَّار فقيرًا ذليلاً اذ لا مال لهُ ولا بضائع ولا زاد وهو مزمعٌ ان يستقبل البراري المخوفة والطرق الهائلة متوقّعٌ ان يموت جوعًا ويهلك خوفًا وجزعًا . فاذا كان هذا المثل مطابقًا لواقعة الحال فما بالنا نُوجَد في البلاد الغريبة غافلين متهاملين في تحصيل متاجرنا معرضين عن طلب خلاصنا . وكيف يطيب لنا ان نُضيِّع اموالنا باطلاً في دار الغربة ونرجع الى اوطاننا خائبين . وكيف يلذُّ لنا ان نشتغل بالمطاعم والمشارب والملذَّات الزائلة مع علمنا باننا راحلون واننا سنُحاسَب ونُعاقَب على اهمالنا . فسبيلنا ان نجتهد في اصلاح اعمالنا ونبادر الى الخلاص من اعدائنا ونستعدَّ لسرعة الرجوع الى اوطاننا لنفرح ببضائعنا واموالنا وناخذ ارباح تجارتنا في ملكوت ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الرابعة والخمسون

مرتبة على مثل حبّة الخردل والخمير . وهي تتضمن الحث على طلب العلوم
مع السيرة الصالحة وتفهمُّ الاقوال الروحيَّة

اذ قد سمعنا الان ان حبَّة خردلٍ زرعها انسانٌ في حقلهِ فتمكنت اصولها وافرعت اغصانها وصارت شجرة عظيمة ذات ظلٍّ ظليل . وان امرأةً وضعت قليلاً من الخمير في اكيال دقيق فاختمر العجين كلهُ فما بالنا لا نعتني بحبوب التعاليم المزروعة في اراضي عقولنا وخمير الاقوال الروحيَّة الموضوع في دقيق اذهاننا . ونكون دائمًا متفهّمين معانيها باحثين عن غوامضها ليثمر الواحد عندنا مائة ضعفٍ . ولا يخفى ان اصناف الاثمار كثيرة ولكن ليست كلها مختصَّة بتفهُّم ما نقرأُهُ في الكتب بل نحتاج مع ذلك الى الاجتهاد في تهذيب سيرتنا والارشاد لاناس كثيرين . وكما ان الاولاد الصغار يبتهجون برؤية التماثيل المصنوعة من الخشب والشمع ونحوها كالخيل والطيور وصُوَر العرائس المزيَّنة وغير ذلك فينعكفون عليها ويجتهدون في تحصيلها . وهم لا يفعلون كذلك عند مشاهدتهم الخيل والطيور والعرائس الحقيقيَّة ولو كانت مزيَّنة بالملابس الفاخرة والجواهر الثمينة . كذلك الجهَّال الذين لايلتفتون الى اوصاف النفائس العظيمة السماويَّة تراهم يتمسكون بالدنايا الارضيَّة والعلوم الباطلة كما يتمسَّك اولئك بالتماثيل المذكورة . فلهذا ينبغي لنا ان نحصّل من العلوم ما يظهر بهِ لاولئك فساد رايهم من حيث يمكنهم ان يفهموا . لان من الناس من

يختار التنعُّم والسَرَف واتّباع الشهوات العالميَّة حتى انهم اذا لم يمكنهم تحصيلها
او فُقِد منهم شيءٌ منها تراهم يحزنون كحزن اولئك الصغار على فقد تلك التماثيل
او العجز عن تحصيلها . ولمثل هولاءِ يقول معلّم الكنيسة لا تكونوا اطفالاً
في آرائكم . ويا للعجب من كوننا نرى الاطفال مجتهدين في جمع فلوسٍ من
النحاس وقِطَعٍ من الرصاص ونحو ذلك فنضحك منهم ونحكم بنقص عقولهم
لانهم يفرغون جهدهم في تحصيل ما لا ينتفعون بهِ في قضاءِ حاجاتهم .
ونحن لا ننظر بعين العقل الى ذواتنا اذ نبذل الجهد ونضيع ايام حياتنا
في تحصيل الاباطيل الزائلة واللذات الفانية . ولقد كان يجب علينا ان
نتشبَّه بالتجَّار وارباب الزراعة في تصرُّفاتهم . فان التجَّار يحافظون في اوقات
رخص البضائع على اذّخارها وخزنها وينفقون الاموال في اثمانها ويخزنوها
الى الاوقات التي يقلُّ فيها وجودها فيربحون بها . وكذلك الزرَّاعون
فانهم يختارون الاراضي الجيّدة فيحرثونها ويلقون فيها بذارهم وينتظرون
ايام الحصاد لياخذوا اضعافاً كثيرة . واما الذين يبيعون ما عندهم من
البذار في ايام الزرع وياكلون بهِ ويشربون فانهم يحزنون في ايام الحصاد
حزناً شديداً ويندمون ندامةً عظيمة . فسبيلنا ان نتشبَّه بالفائزين في
تصرفاتهم ولا نكون كالصبيان في آرائهم لنحصّل فوائد تجارتنا ونُنمي
اغراس زراعاتنا ونخزن اضعاف بذارنا ونفرح في ملكوت ربنا الذي لهُ
المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والخمسون

مرتبة على قولهِ اعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر. وهي تتضمن الحث على القيام بحقوق الله الواجبة

اذ قد سمعنا الان ان للمنعم علينا والموجد لنا حقوقاً واجبةً قد فرضها على جنسنا واشترطها على الداخلين في الايمان معنا . فما بالنا نكون في القيام بها متهاملين . وعن العناية بامرها متكاسلين . وكيف لا نسمع قولهُ اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله فننهض من رقادنا ونتنبه من غفلتنا . واذا كان الذين يجب عليهم الخراج لملوك الارض اذا اهملوا القيام بهِ يُحبَسون ويُهانون فالذين تجب عليهم الحقوق الربانية ولا يقومون بها بايّ لسانٍ يُوبَّخون . وايَّة عقوبة يستحقون . فان قلت وما هي الحقوق اللازمة لنا والمفروضة علينا . اجبتك انها قسمان روحيَّة وجسديَّة . اما الروحية فالصلوة العقلية والاصوام الطاهرة والحلم والعفَّة والطهارة والمحبَّة والوداعة والتواضع وامثال ذلك . واما الجسدية فتقدمة العشور والابكار والنذور والقرابين والصدقات وما اشبه ذلك . اسمع قولهُ تعالى مبكّتاً بني اسرائيل حين اهملوا تقديم العشور كما ينبغي فانهُ يقول على لسان النبيّ وانتم يا بني يعقوب اسرائيل لم تتوبوا عن اثمكم ومنذ ايام آبائكم ملتم عن وصاياي ولم تعملوا بها ولم تطيعوا اقوالي . اقتربوا اليَّ لاقترب منكم . وان قلتم بماذا نقترب اليك قلت وهل تُظلَم الآلهة الغريبة كما تظلموني يقول الرب . فان قلتم بماذا ظلمناك . قلت بالعشور والابكار . اهدوا العشور

الى اهراءي لتصير طعاماً في خزائني . جربوني في هذه يقول الرب القادر لافتح لكم في السماء طاقاتٍ واصبَّ عليكم الارزاق صبًّا حتى تقولوا كفانا كفانا . وانهى الأَرَضة ان لا تفسد ثمار ارضكم ولا تخرب شيئاً من كرومكم ويمدحكم جميع الشعوب . وكذلك قولهُ تعالى في وفاء النذور وان انت نذرت نذراً للرب الهك فلا تؤخّر قضاءَهُ فانهُ يطالبهُ منك طلباً ويكون عليك اثمٌ . وقولهُ في الابكار كل بكرٍ من الناس والبهائمِ فانهُ لي يقول الرب . واما الاقوال الواردة في القرابين والصدقات واوائل الاثمار واوائل الخمر والزيت وغير ذلك فهي كثيرةٌ جدًّا ومتردّدة على سماعكم . فسبيلنا ان نفعل مراد ربنا ونقوم بالحقوق الواجبة علينا لنفوز بسعادة ملكوت الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السادسة والخمسون

مرتبة على فصل الزنادقة ومنكري القيامة . وهي تتضمن قبح مجازاة الخطاة العاصين وعظم العناية بالابرار الطائعين

اذا كان الاموات يقومون والامم يُحاسَبون والديّان يجلس للمحاكمة والابرار يتنعمون والاشرار يُعاقَبون فما بالنا نوجد هكذا متهاملين غافلين متهاونين في اسباب خلاصنا . واذا كان الذين يعملون الفضائل مع كونهم اصحاب عيال وارباب منازل وذوي عبيد وحشم واولاد ومواشٍ تفرَّغوا للعبادة ونالوا الملكوت . فكيف يقول الكسالى في عمل الفضائل

كيف يمكننا مع كوننا في المدينة مقيَّدين بالعيال ومتقلّبين في المهمَّات العالمية ان نُثقِّف ذواتنا ونتمّ الاعمال المفروضة علينا. وهل يتيسَّر ذلك الا للذين في الجبال والصوامع لخلوّهم من التكاليف المنزلية وبُعدهم عن معاشرة الخطاة. فاقول لهم وكيف لا تسمعون وصف الكتب الالهية لابرهيم واسحق ويعقوب وامثالهم من ارباب البيوت واصحاب العيال. وكيف كان سلوكهم بالطاعة والعبادة وهم بين الفَسَقة والسكيرين والمجاهرين بالفواحش. وهولآء لم يكونوا يشاهدون هذه الاعمال ويتجنبون المفاوضة مع الذين يرتكبونها بل كانوا يوبخونهم وينصحون لهم ويبالغون في وعظهم وارشادهم الى الطريق المستقيم. واما المعاصرون للصدّيق نوح فلم يرجعوا عن شرورهم وهم يرونهُ يجمع الاخشاب ويستحضر النجّارين ويهيّئ آلات السفينة. وهو مع ذلك ينذرهم ويتهدّدهم ويحذّرهم حلول الهلاك الشامل لجميعهم والبلآء الذي سينصبُّ عليهم. وهم ينظرون النشّارين يفصّلون الخشب والنجّارين يبنون السفينة. وكل واحدٍ منهم سائرٌ في هوى نفسهِ ومسترسلٌ مع دواعي شهواتهِ الى ان غرقوا في المياه الغامرة وشملهم الهلاك اجمعين. وكذلك المعاصرون للوط البار فانهُ كان سائرًا بينهم تلك السيرة الصالحة. واذلم يرجعوا بواسطة ارشادهِ لهم عن اعمالهم الفظيعة ولم يعتبروا نصيحتهُ لهم مطرت عليهم السمآء نارًا وكبريتًا مع بروقٍ ورعودٍ وصواعق هائلة. فيا لعظم شرّ الخطيَّة كيف تغلق ابواب الرحمة وتسدُّ مسالك المغفرة وتصبُّ الانتقام الشديد وتوقع في المهالك المهولة. ويا لسماجة المعصية كيف تغيّر طبائع المخلوقات وتخرق سياج العادات

حتى تمطر السمآء نارًا ملتهبة . وترسل السحب الصواعق المهلكة . وتنفجر من الارض اليابسة ينابيع المياه الغامرة . ويعمّ الهلاك انواع الحيوانات وجميع الحشرات والدبّابات وطيور السمآء . وبمثل هذه الوقائع يتمّ قولهُ تعالى بلسان النبيّ انني قلت لهم فلم يسمعوا . وكذلك يصرخون اليّ في الشدائد فلا استجيب لهم . فاذ قد رايتم سوء عقوبة العصاة فانظروا الى حسن ثواب الطائعين . وتأمّلوا عظم عناية الله بنوح الصدّيق كيف حصّنهُ باسوار الشفقة . واسبل عليهِ ستور الرافة . وجرّد العناية لخلاصهِ . وامرهُ بعمل السفينة فانقذهُ من وسط الهلاك . وملأ الاقطار من نسلهِ . وابقى ذكرهُ على مدى الاجيال . ووصفهُ بصفاتٍ جميلة جليلة المقدار . وانظروا الى الاحتفال بامر لوط البار كيف ارسل الله اليهِ الملائكة واعلمهُ بهلاك المدينة . وارشدهُ الى طريق النجاة . وانقذهُ من عقوبة الاشرار . وامر السحب ان لا تُنزِل نيرانها ولا ترعب برعودها ولا تزعج بصواعقها حتى يخرج لوط وزوجتهُ واهل بيتهِ من المدينة ويصيروا الى الجهة المأذون لهم في المصير اليها . واعتبروا صفات ابي الآبآء ابرهيم كيف إستحقّ باعمالهِ الفاضلة وطاعتهِ الكاملة ان يضيف الله تعالى وان يخاطبهُ باعظم الرحمة واتمّ السهولة . وان يجعل نسلهُ كنجوم السمآء ورمل البحر . وان يكون ابًا للانبيآء والمرسلين والصديقين . وان يتكئ في اول وليمة في الملكوت . واذ قد علمنا الآن حسن ثواب الابرار وسوء مُنقَلَب الاشرار . فسبيلنا ان نصلح اعمالنا وننبه عقولنا لنصل الى احضان آبآئنا القديسين الابرار ابرهيم واسحق ويعقوب في ملكوت ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والخمسون

مرتبة على فصل الوليمة والمتكئين . وهي تتضمن الحث على الاتضاع

اذ قد سمعنا الآن قول ربنا الذين يتنازعون على الرئاسة ويتسابقون الى صدور المجالس ويُعِدُّون الدعوات العالميَّة ينبغي لنا ان نسارع الى الهرب من طلب الرتب العالية والتفاخر بالمناصب الزائلة . ونتنافس في الاتّضاع والتماس ادنى الدرجات لنرتفع الى ذروة الفضيلة ونفوز باول المتكآت في منازل السُعَدآء . فان قلت وهل يوجد الان من يترك علوّ الدرجات ويطلب دناءتها . اجبتك نعم وانا ادعوك الى منازل الابرار ومظالّ القديسين فاطوف بك الجبال والصحاري وبطون الاودية لترى هناك اناساً جائلين في سبيل الله قد تخلّى بعضهم عن الغنى . وبعضهم عن الرتب العالية . وبعضهم عن الشهوات البدنية . وبعضهم عن الاملاك . وبعضهم عن الزراعات وباقي الامور العالميّة والتزموا الاعمال المتعبة والصنائع الدنية . فصار قومٌ منهم يحرثون الارض . وقومٌ يزرعون . وقومٌ يحصدون . وقومٌ يدرسون . واناسٌ يجمعون الحطب . واناسٌ يضفرون القُفَف . واناسٌ يخدمون الغربآء . وجميعهم قد رفضوا التكبُّر والافتخار وارتاضت نفوسهم واشرقت اشعَّة فضائلهم . ولهذا صار لجميعهم منزلٌ واحد ومائدة واحدة وملبوسٌ واحدٌ ورجآءٌ واحد . ومن اين يوجد بينهم الصَلَف والكبريآء وحبُّ الغلبة وهم قد خلعوا الاخلاق الدنيوية ورفضوا العوائد العالمية وجرَّدوا ذواتهم لبنيان الفضيلة .

وكيف يكون متعظاً من وقف نفسهُ لخدمة الارض ومعاناة الزراعة ولبس المسوح الشعريَّة واكل الاطعمة الدنية . وليس هذا فقط بل انهم يخدمون المرضى ايضاً . ويقودون العميان . ويمسحون قروح المجذومين . وياكلون مع المُبتَلَين . ويحملون اثقال المساكين . ولا يوجد بينهم خصامٌ ولا شقاق . فان قلت وما الفائدة الحاصلة لهم من احتمال هذه الاتعاب اذا اهلكوا ذواتهم وحُرِموا شهوات نفوسهم وهجروا لذات عيشهم . اجبتك الا تسمع قول سيدك من اراد ان يحيي نفسهُ فليهلكها ومن اهلك نفسهُ من اجلي ومن اجل بشارتي يجدها . ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كلهُ وخسر نفسهُ . وقولهُ الويل لكم ايها الاغنياء والشباعى والضاحكون وطوبى لكم ايها الجياع والحزانى والباكون . وقولهُ ادخلوا من الباب الضيق فان المسلك الواسع والطريق الرحب يودي الى الهلاك والداخلون فيهِ كثيرون . فان قلت كيف يخلق الله اناساً ويامرهم بالدخول في المصاعب ويكلّفهم الاتعاب والمشقّات . قلت ليجرّبهم ويمتحنَ ضمائرهم ويعطيهم الملكوت بطريق الاستحقاق لا بطريق التفضُّل جوداً منهُ ورحمةً للبشر . فسبيلنا ان نسمع اقوال ربنا ونطيع المتجسد لاجل خلاصنا . وان نصنع دعواتنا واجتماعنا ومواسمنا حسب ارادة المنعم علينا مزيَّنةً بحضور الضعفاء والمساكين والايتام والارامل والبائسين في منازلنا لينزع عنا ثياب المسكنة ويلبسنا حلَّة المجد في النعيم الابديّ بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والخمسون

مرتبة على قولهِ انسانٌ كان لهُ ابنان فقال للاول منهما امضِ واعمل في الحقل

وهي تتضمن الحثَّ على الصدقة ومؤاساة الضعفاء والبائسين

اذ قد سمعنا الآن ان الذين يرجعون الى الله بعد ارتكاب المعاصي يُقبَلون ويُثابون بالكرامات الكثيرة فكيف نكون هكذا متهاونين ومتغافلين . وكيف لانتيقَّظ من نومنا وننتبه الى اننا مقيمون ببلادٍ غريبة متسربلون باثواب المسكنة واننا عمَّا قليل نقفل الى اوطاننا راجعين . ونحن الى الان غافلون عن الاهتمام بحمل اموالنا ونقل امتعتنا الى اوطاننا الحقيقيَّة . فانهُ اذا كان الذين يعزمون على الانتقال من بلاد الغربة الى بلادهم يتكلفون اجرة الجمال والمراكيب والرجال ويصانعون المحافظين في الطرق ويكابدون اتعاباً كثيرة لكي يصلوا الى منازلهم باموالهم سالمةً من الآفات . فما بالنا نجد الذين ينقلون اموالنا بلا تعبٍ ولامشقَّة ولا اجرة ولا زاد ويوصلونها الى منازلنا سالمةً من خطر الطريق ونحن نردُّهم من بيوتنا خائبين بلا جميل . فان قلت واين هم هولاء الذين يفعلون معنا هكذا ومَن هم . اقول هم الايتام والارامل والفقرآء والمساكين والاسارى والمحابيس وامثالهم . فانهم لايكتفون بان يحملوا لك الاثقال الى هناك فقط بل ياخذون ثوباً بالياً فيعدُّون لك هناك ثياباً منسوجةً من النور والبهاء لا تبلى الى الابد . وكذلك يفعلون في كل ما ياخذونهُ منك فانهم يُعدّون لك عوضاً عنهُ افضل منهُ اضعافاً .

ويا للعجب من كون احدكم يسلّف على البضائع واصناف المتاجر طلباً للفوائد اليسيرة . وترى آخرين يسافرون الى الجهات ويكابدون الاتعاب ويعرّضون انفسهم للخطر . وتجد بعض المعاملين لهم ينكرون حقوقهم . وبعضهم يتمرَّدون عليهم . وتراهم مع كل ذلك لا يزالون مثابرين على بذل الجهد والمخاطرة بالنفس والمال . والمسيح يقول اعطوا اخوتي من مال الظلم ليقبلوكم في المظالّ الابدية . احسنوا الى المقلّين لاجازيكم بالمكاييل الفائضة والمثاقيل الراجحة واعوّضكم عن الواحد مائة ضعفٍ وعن الزائل بما لا يزول . ويقول في العشور جرّبوني في هذه لأَصُبَّ عليكم الارزاقَ صبّاً وامنع الأَرَضة ان تفسد كرومكم واثمار ارضكم . وبعد ذلك قال اعوّضكم عمّا اكلهُ الجراد والجندب والصرصور العظيم الذي ارسلتهُ عليكم في اوقاتهِ وانتم لا تسمعون ولا تعملون . فسبيلنا ان نبيع امتعتنا ونُخرِج ذخائرنا ونقرضها لخالقنا ونحملها على ايدي اخوتنا المساكين لناخذ المجازاة عن اعمالنا في الملكوت السماويّ بنعمة سيدنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والخمسون

مرتّبة على مَثَل المدعوّين . وهي تتضمن تبكيت الذين يهملون التعاليم الروحية ويتشاغلون بالامور الدنيويّة

لعمري ان موقع هذا المَثَل شديدٌ على ذوي الاذهان الصافية والافكار

السليمة فكيف على الاشرار والجهَّال. اما سمعت يا هذا كيف طرد المعتذرين بالاشغال العالمية عن الدخول الى الحيوة السعيدة. هل فهمت قولهُ انني هيَّأت الاطعمة وروَّقت الاشربة وصنعت كل ما ينبغي وارسلت عبيدي لاحضاركم . فاعتذر احدكم بالزواج . والاخر بذهابهِ الى الحقل . والآخر بتجريب البقر . فاخترت لي مدعوّين غيركم . وقولهُ بعد ذلك فغضب صاحب الوليمة وارسل عبيدهُ الى شوارع المدينة وقوارع الطرق ودعا اناساً اخرين وحلف ان لا يحضر طعامهُ الاوَّلون . فايُّ عذرٍ لنا الآن وهو يحثُّنا دائمًا ويدعونا الى وليمتهِ السماويَّة وينبّهنا بالتعاليم والمواعظ والامثال ونحن لا نزال متهاونين ومتشاغلين وغافلين عن دعوتهِ . فانهُ اذا كان الذين يعلّمون الكتابة والصنائع العالمية اذا رأوا التلاميذ يُهمِلون دروسهم ويتشاغلون عن محفوظاتهم ويسارعون الى اللعب والملاهي يقلقون من ذلك ويتضجَّرون . فكيف نحن المرشدين لا نحزن ونقلق ونتضجَّر اذا رايناكم مهملين التعاليم الالهيَّة ومتغافلين عن سماعها . لاننا نكون مثل الذي يزرع على الصخرة الصمَّاء ويُلقي بذارهُ في الاراضي الشائكة او يعلّم المجانين او يخاطب الجمادات . فان امثال هؤلاء يضيّعون اتعابهم باطلاً . واما نحن فقد القينا الفضَّة على المائدة وصنعنا كل ما يلزمنا لكم بمحبَّةٍ ونشاطٍ . فان قلتم وما هو الدليل على اهمالنا التعاليم واعراضنا عن استماع المواعظ . قلت ان سيدنا لهُ المجد يقول من اثمارهم تعرفونهم . فاذا كان فيكم الى الان بعد استماع التعاليم والعظات من يذهب الى الملاعب ومجالس اللهو وحَلَق المشعبذين ومحاضر السكيرين

والفسَّاق والمخنّثين والمستهزئين وامثالهم افما يدلُّ هذا على اهمالكم التعاليم
ونسيانكم العظات . اما يضحك عليكم الحنفاءُ واليهود الذين يسمعون
اقوال شريعتكم ويرون اعمالكم المخالفة لها . أوَما علمتم ان الكتاب الالهيَّ
يشبّه المتوانين هكذا عن خلاصهم الملقين ذواتهم في الفخاخ الشيطانية
بالكلاب . لانهُ يقول ان الذين يُعرِضون عن الاثم ثم يرجعون اليهِ
منعطفين يشبهون الكلاب اذ يتقيَّأون ثم ياكلون قَيَّهم ثانيةً . أَوَلا تسمعون
قول سيدنا لهُ المجد ان الذي يسمع الاقوال ولا يعمل بها يشبه رجلاً
جاهلاً بنى بيتهُ على الرمل . فلمَّا هبَّت الرياح وصدمت ذلك البيت سقط
وكان سقوطهُ عظيمًا جدًّا . ومعناهُ ان الذين لاينظرون جيدًا ولايميزون
باستقامةٍ مثل الذين يبنون البيت على الرمل فهم سريعًا يذهب تعبهم
باطلاً حيث تصدمهم رياح المحن وامواج التجارب . ويا للعجب من اناسٍ
يصومون ويتعبون زمانًا طويلاً ثم يضيعون ذلك كلهُ في زمانٍ يسير
امَّا بنظرةٍ ردية او بفكرٍ خبيثٍ او بشهوةٍ منكرةٍ او نحو ذلك . وحينئذٍ
يشبهون تاجرًا جمع الاموال والبضائع وسافر قاصدًا مدينتهُ . وبعد مكابدة
اهوال البحر وتكلُّف النفقات وشقاءِ الغربة غفل عند قربهِ من المدينة
عن الاحتراز كما ينبغي فصدمت سفينتهُ صخرةً عظيمة فانكسرت وغرق
المال وخرج التاجر عريانًا خائبًا . ولهذا انقدَّم اليكم طالبًا منكم ومتضرعًا
نحوكم ان لا تهملوا ذواتكم . ولا تغفلوا عن حراسة كنوزكم . ولاتمكّنوا الشيطان
من اغوائكم . ولا تتغاضوا عن محافظة سفينتكم . فان رياح التجارب شديدة
وامواج المحن هائلة . والبحر كثير الصخور والمعاثر . والبرَّ كثير اللصوص

والخاطفين . بل كونوا في كل حينٍ متحذّرين خائفين حافظين كنوزكم طائعين اوامر ربكم لتفوزوا بنعيمهِ الدائم في ملكوتهِ الابديّ بنعمة فادينا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الستون

مرتبة على اخراجهِ الشياطين وامرهِ للحاضرين ان لا يُظهِروا ذلك . وهي تتضمَّن الحثَّ على اخفآء الفضائل وتبكيت الذين يطلبون المديح من الناس .

كما ان اللصوص وقُطَّاع الطريق اذا راوا التجَّار قد شدُّوا الاحمال وحزموا البضائع واكثروا من الامتعة النفيسة يجمعون الرجال ويعدّون الاسلحة ويكمنون في الكهوف والمغاير ويحتالون على سلب اموالهم بكل حيلةٍ . كذلك يصنع الشياطين اذا راوا اجتهادكم في هذه الايام المقدسة واكثاركم من الصوم والصلوة والطهارة والرحمة وباقي انواع الفضيلة . فانهم يحسدون صنيعكم ويحتالون على سلب كنوزكم ويداركون ذلك ويبادرون اليهِ . ويا للعجب من كوننا نرى المسيح يشفي امراضنا المزمنة ويخرج الشياطين المَرَدة ويعاف المديح من الناس ويعلمنا اذّخار الفضيلة ونحن لا نتعلَّم . ولهذا ينبغي لنا ان نتيقَّظ من نومنا ونكثّر اسلحتنا ونحصّن مدينتنا ونستوثق من الابواب والمنافذ ونقيم الحُرَّاس على الطرق والشوارع لئَلا يجد العدوُّ سبيلاً لاقتناصنا ومدخلاً لنهب امتعتنا . فان قلت فكيف يجد سبيلاً الى الدخول علينا بعد هذه المحافظة . اقول انهُ اذا راك صعب

الانقياد الى الرذيلة طاهر العِرْض حافظ الوصايا متمسكاً باذيال العفَّة منحرفاً عن طريق اللذَّات والسَرَف والتنعُّم مكملاً مناقب الفضيلة فانهُ حينئذٍ يشتعل بنار الحسد ويقدح زناد المكيدة وينصب اشراك الحِيَل ويهيّج في قلبك عواطف الافتخار بالفضيلة واكتساب المديح من الناس ومحبَّة المجد الباطل. لعلمهِ بان الذي يعمل الفضيلة ليقبل المديح من الناس يخيب من المجد الذي من الله. ولذلك تقدَّم المحبُّ لجنسنا والعالم بضعف طبيعتنا فايقظ عقولنا وثقَّف اذهاننا وضرب لنا الامثال على ذلك وفاوضنا بالتعاليم فقال لا تصنعوا برّكم قدام الناس فان الذين يظهرون صيامهم ويراؤُون بصلواتهم يصنعون مراحمهم علانيةً لتصيُّد المجد الباطل. الحقَّ اقول لكم انهم قد اخذوا اجرهم. وضرب لنا مثلاً ايضاً بالفرّيسي والعشَّار وبيَّن ان ذلك الذي كان يحافظ على الصوم والصلوة ويقوم بعشور الاموال ويجتهد في حفظ الوصايا الناموسيَّة لمَّا وُجِد مفتخراً بذلك قدام الله خرج خاسراً اعمالهُ وعارياً من ثياب الفضيلة. واما ذلك العشَّار فلكونهِ ظهر متواضعاً وتنهَّد معترفاً بخطاياهُ نزل لابساً حلَّة الرجآء ومتعرّياً من لباس الرذيلة. ولهذا قال سيدنا لهُ المجد اذا اكملتم كل البرّ فقولوا اننا عبيدٌ بطَّالون وانما عملنا ما يجب علينا. فسبيلنا ان نهرب من الريآء والتمسُّك بمديح الناس لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الحادية والستون

مرتّبة على قوله وكان في مجمعهم رجلٌ فيهِ روحٌ نجس . وهي تتضمّن تبكيت الذين يتضجّرون من استماع العظات ويتشاغلون بالامور الغير المفيدة

اذا كان الذين ينظرون الى المنازل المزيَّنة بنقوش الخشب وانواع الاصباغ واختلاف الوان الحجارة يسرُّون بذلك ويطربون ويمدحون الصُنَّاع ويفضّلونهم ويفتخرون بصناعاتهم فما بالنا نحن مع كوننا ننظر دائمًا الى المسيح وهو يزيّن الانفس البشريَّة بشفاءِ الامراض واخراج الشياطين لا نسبّحهُ كما ينبغي . وكيف لا ننظر الى جمال المُبدَعات ونظام الكائنات واتقان المخلوقات ولا نخضع لخالق البرايا دائمًا ونمجدهُ . ويا للعجب من كوننا نتأمَّل الاصباغ ونتفرَّس في نقوش الاخشاب والوان الحجارة ونُعرِض عن النظر الى السماءِ وانوارها اللامعة وكواكبها الزاهرة واشكالها المتنوّعة . ولاسيَّما اذا اعتبرنا النيّرين اي الشمس والقمر . فاننا نرى الشمس تنير العوالم وتنضج الاثمار وتحسّن الالوان وتجفّف الرطوبات وتصنع مصالح كثيرة يطول شرحها . والقمر يضيءُ في الليل ويُعطي النموَّ للحيوان والنبات والمعدن ويفيد حساب الاشهر والايام . وكذلك اذا نظرنا الى الارض مزيَّنة بانواع الازهار واصناف الشجر واختلاف الزراعات واشكال الثمر . وما حوتهُ من الجبال والسهول والمعادن واجناس الحيوانات والطيور وباقي المخلوقات المختلفة الانواع والاشكال والطبائع . ثم نرتقي الى النظر في قدرة خالقها ومخرجها من العدم الى الوجود . ونستدلُّ بها على عظمة

من حفظ نظامها بحكمتهِ السامية وقدرتهِ الضابطة ونشكر جودهُ الكامل واحسانهُ الشامل ونسبّحهُ على الدوام. لكنكم تضيعون اوقاتكم وتصرفون حياتكم في النظر الى الاشياءَ الحقيرة والتشاغل بالاباطيل الفانية واللذَّات الخبيثة. فاذا كنتم تصرفون اكثر الاوقات في الذهاب الى الملاعب ومحاضر المشعبذين وسماع الاحاديث القبيحة فما بالكم ههنا تقلقون من استماع المواعظ. وتضجرون من التعاليم. وتخافون من تعب اجسادكم وتقصدون المسارعة الى التلذُّذ بشهواتكم. فلا الشيخ يوقّر مهابة شيبتهِ. ولا الشاب يخجل من رداءَة سيرتهِ. فانكم اذا سمعتم الاقوال الالهيَّة واغتذيتم بالتعاليم الروحانية ثم خرجتم منعطفين الى الاشراك الشيطانية حيث تنهض الشهوات وتتردَّد الافكار الخبيثة فايَّ سماعٍ تسمعون وايَّ ادبٍ تتأدَّبون. فينبغي لنا ان لا نجعل القصور الذي عندنا عن ادراك اسرار حكمتهِ تعالى في مخلوقاتهِ سبباً للقدح في صناعتهِ بل يجب ان نجعل ذلك سبباً قويًّا لتعظيم جلالهِ وتسبيح ذاتهِ المنفردة بالحكمة وحدها الممتازة عن جميع الذوات الناطقة. ولعمري ان هذا الداءَ في القديم احدث خطرًا عظيمًا للمتعرّضين للبحث عن اسرار الكائنات وتحقيق طبائع الموجودات معتمدين على نتائج الفكر فقط. لانهم لما لم ينظروا الى ضعف طبيعتهم البشرية بالنسبة الى خالق البرايا سقطوا من مراتب البشر وهبطوا الى مهواة الضلال حتى سجد بعضهم للكلاب والطيور والعجول والتماسيح. وبعضهم لكواكب السماءَ. وبعضهم للتماثيل المصنوعة من الحجارة والاخشاب وغير ذلك. وبناءَ على ذلك يجب علينا اذا غمض

عنا علم طبائع المخلوقات وادراك الاسرار الطبيعيَّة ان نستدلَّ من عدم العلم بها كما ينبغي على حكمة خالق البرايا وندري عند ذلك تقصيرنا ونعترف بضعف عقولنا ونسبّح العالم بكل شيءٍ. واذا كان هولآء لرداءة افهامهم وقصورها بلغوا من الكفر مبلغًا جسيمًا فلماذا تشاركهم انت في آرآئهم وتفعل في التهافت على الضلال كافعالهم. وهولآء اذا عرفوا احكام شريعتك الصالحة ثم رأَوك شرهًا مسرفًا حسودًا ظالمًا سكّيرًا فاسقًا يقولون ان شريعة هولآء خديعةٌ فقط لانهم يسمعونها ولا يعملون بها. وحينئذٍ تكونون مسيحيين بالاسم لا بالفعل. وقد كان ينبغي ان تقابلوهم بالوعظ والنصيحة والارشاد الى طريق الحق حتى اذا سمعوا اقوالكم ونظروا الى فضائل اعمالكم تظهر لهم سخافة عقولهم وفساد ضمائرهم فينعطفون الى الله ويخلصون. وتستحقُّون انتم على ذلك احسن المجازاة عوضًا عن ان ينالكم العذاب الشديد. لانكم متى شاركتموهم في الاعمال الخبيثة جعلتم ذواتكم سببًا لثباتهم على العصيان فتستحقُّون العقاب معهم. وقد كان ينبغي ان تكونوا قائدين للعميان. ونورًا للذين في الظلام. وكمالاً للناقصين. وهُدًى للضالّين. ويقظةً للغافلين. وقدوةً للناس اجمعين. لكي يرى الخارجون اعمالكم ويسبحوا اباكم الذي في السموات. فلندبّر الان حياتنا الحاضرة بالاعمال الصالحة ونحن ساهرون مجتهدون متيقظون كالذين هم في البلاد الغريبة طالبون اوطانهم ليتعجَّب من ذلك الخارجون وينجذب الى حسن اعمالنا الضالُّون فننال جميل الثواب في ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الثانية والستون

مرتّبة على قوله انسانٌ غنيٌّ اخصبت كورتهُ . وهي تتضمّن تبكيت المحبين المال والمكثرين من القنايا العالميّة

ياللعجب ان الذين يريدون السفر الى البلاد الغريبة يقطعون علائق الاقامة بها ويكونون دائمًا متأهّبين مشمّرين مستعدّين للرحيل عازمين على الانتقال الى بلادهم . فتراهم يبيعون الاثقال ويقايضون بالامتعة ويعدُّون الزاد والمهمَّات اللازمة للسفر . ونحن المؤمنين بالموت والقيامة والحساب والمجازاة نُوجَد هكذا متعلقين بالاموال منهمكين في جمعها وتكثيرها ومهتمين بتحصيل اللذّات العالميّة . وكيف تقول ياهذا ان القيامة سوف تقوم وان الناس يُحاسَبون على اعمالهم وانت مغتبطٌ بمحاسن الحطام الدنيوي . متمسكٌ بأَزِمَّة الاباطيل الزائلة . متعبدٌ للّذّات الفاسدة والشهوات الخبيثة . واذا كان الذين يرومون السفر من البلاد الغريبة الى بلادهم يبيعون الاثقال ويقطعون اسباب العوائق فما بالك انت ايها الغريب بالحقيقة تنشغف بحبّ اللذّات وجمع الاموال . وتجتهد في غرس الحقول والبساتين . وبناء الدور والحوانيت . وتصطاد المديح من الاحياء وتدَّعي بالشرف من المائتين . وتخاصم المجاورين لك على اطلاق النظر ومهبّ الرياح . وتريد ان تقتلع بيوت الارامل واليتامى وتغتصب نصيب الضعفاء والعاجزين . وتتخلَّق باخلاقٍ وحشيَّةٍ لا تُطاق شراستها . واذا كان الذي يعزم على مفارقة البلاد الغريبة بعد عدة من

السنين يستعدُّ سَلَفًا بهذا الاجتهاد ويتأهَّب كما ينبغي فالذي لا يعلم هل يسافر اليوم او غدًا او الآن او بعد ساعةٍ كيف يكون متهاملاً في الاستعداد للسفر . تأمَّل يا هذا قول سيدك اسهروا الآن فانكم لا تعلمون في ايّ ساعةٍ ياتي ربكم . ولو علم ربُّ البيت في أيَّة ساعةٍ ياتي السارق لسَهِر ولم يَدَع بيتهُ يُنقَب . فلتكن سُرُجكم مُوقَدَةً واوساطكم مشدودةً وانتم كاناسٍ ينتظرون سيدهم متى ياتي من العرس . فاسهروا الان فانكم لا تعلمون متى ياتي ابن الانسان . وقولهُ لرئيس الكورة الذي اذَّخر الاموال وكثَّر الغلَّات ووسَّع الاهراءَ والمخازن ووعد نفسهُ بالخصب والسعد والراحة في السنين الكثيرة . ياجاهل في هذه الليلة تُنزَع نفسك منك فلمن تكون مقتنياتك من بعدك . وما الذي تنتفع بهِ هناك اذا قمت عاريًا من ثياب الفضيلة لابسًا اطمار الآثام حاملاً اثقال الخطايا . عرّفني الان ايها المكثر من المقتنيات والمجتهد في جمع الاموال وتحصيل منافع الزراعات والمتاجر هل تقدر ان تنال منها اكثر من اشباع جوفك وستر عورتك . واذا علمت هذا يقينًا فما الذي تنتفع بهِ هناك من اموالك وذخائرك التي ياخذها بعدك القريب والغريب والمحبُّ والمبغض . وتكون انت المُحاسَب بآثامها والمسؤُول عن طُرُق تحصيلها ومنعها عن المستحقين الرحمة والاسعاف . فسبيلنا ان ندخل من الباب الضيّق . ونتجنَّب الطريق الواسع . ونبتعد عن الشهوات الجسدية واللذَّات البدنية . لنفوز بنعيم الملكوت مع جميع القديسين بنعمة ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثالثة والستون

مرتَّبة على قولهِ اجاب واحدٌ من الجمع وقال لهُ يامعلم قد اتيتك بابني وبهِ شيطانٌ
وهي تتضمن الحثَّ على طرح العالميات واحتمال المصائب لاجل ملكوت السموات

اذا كان الذين يلازمون الاصوام النقيَّة والصلوة الخاشعة يقدرون بقوة الله على اخراج الشياطين وشفاءَ الامراض الردية كما قال ربنا . والذين يشتغلون بالاباطيل الدنيوية يسقطون في مهواة الرذيلة فلماذا لا نكون من الاوَّلين . اسمعوا قولهُ مبكتًا لاولئك ايها الجيل الاعوج الغير المؤمن. ومعناهُ انكم تميلون عن سبيل الصالحات وتتمسَّكون بالامور الباطلة وتتخبطون بالشهوات العالمية ولا تؤمنون كما ينبغي فتُحرَمون سعادةً لا يُحَدُّ مقدارها . فاذا علمنا ان اللذَّات تكون سببًا للرذيلة وعلَّةً للشقاءَ والهوان فما بالنا نكون طالبين ادراكها وقارعين ابوابها ومتهافتين على تحصيلها ومتمسكين باذيالها . وكيف نقع في مهاويها كالعميان ثم نعود اليها بعد معرفة عواقبها كالمجانين . ويا للعجب من كوننا اذا راينا التجَّار يكابدون الاتعاب والغربة عن الاوطان واهوال الطرق ومخاوف البحار ونهب الاموال وغرق البضائع ثم يعودون الى هذه المخاطر والاتعاب نضحك عليهم ونستضعف عقولهم ونقول الم يعلم هولآءِ ما يكابدون في تغرُّبهم وما يقاسونهُ من التعب والغرق والوقوع في المخاوف حتى يرجعوا اليهِ بسبب فائدةٍ لا تقوم ببعض اتعابهم . وكذلك يقول العقلاءُ عن النساءَ اذا رأوهُنَّ يتكلَّفنَ اثقال الحَمْل واعتبروا ما يكابِدنَهُ من التعب

والخوف والسهر وتمزُّق الاحشاء. وما يجدنهُ عند الولادة من الآلام التي لا تُطاق والشدائد المزعجة والاشراف على الموت بل ربما مات بعضهنَّ وربما ولدنَ اولادًا ناقصي الخلقة او مخالفين للهيئة الوضعيَّة. ثم بسبب الفرح الحاصل لهنَّ بعد الولادة ينسينَ هذه الامور كلها ويرجعنَ الى التعرُّض للوقوع في هذه المخاطر. وكذلك نرى الزرَّاعين يصنعون فانهم احيانًا كثيرة تنزل بهم الآفات وفساد الاثمار وغرق الزراعات ثم يعودون الى الزراعة طمعًا في تحصيل منافع زراعاتٍ اخرى. فاذا كانت هذه افعال التجار والنساء والفلاحين في احتمال الاتعاب والمصاعب بسبب المنافع الزائلة والاولاد المائتين. فما بالنا نحن اذا تعبنا في الصوم والصلوة لاجل سعادة الابد والنعيم الذي لا يزول نملُّ هكذا متضجّرين. وكيف لا نتذكر دائمًا اتعاب الرسل وشدائد الانبياء ومصاعب القديسين الذين هجروا الاهل والوطن وصبروا على الجوع والعطش وكابدوا السياحة في البراري المقفرة والجبال الموحشة والطرق المخيفة. واحتملوا العذاب من الاعداء واقدموا على القتل والحريق والغرق والسجون والقيود والسباع الضارية وامثال ذلك من الشدائد البليغة وكانوا مع ذلك فَرِحين مسرورين. فسبيلنا ان نتشبَّه بهولاء القديسين والشهداء المغبوطين لنفوز بملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الرابعة والستون

مرتبة على قوله وجاء اليه الفريسيّون ليجرّبوهُ . وهي تتضمّن بيان ما يجب من انصاف الرجال لنسائهم والانكار على المرتكبين المعاصي

اذا كان الذين يظلمون الاشرار ويبغضون الاعداء الخارجين ولو كان لهم اعمالٌ صالحة يسقطون عن مراتب الفضيلة ويبعدون عن مشاركة المؤمنين فالذين يبغضون اخوتهم ويظلمون اخواتهم ويهينون آباءهم وأُمّهاتهم بايّة آفةٍ يُضرَبون وايّة عقوبةٍ لا يستحقّون . واذا كان القائل لاخيهِ يا احمق يجب عليهِ العذاب في الجحيم فماذا يجب على الذين يظلمون اخوتهم وياخذون اموال الايتام وينهبون بيوت الارامل ويحلفون ويكذبون . ومالي اتكلّم عن هولاء واترك الذين يهجرون نساءهم ويبغضون الزوجة الشريكة صاحبة العهد المأخوذة من ضلع الرجل القرينة الطاهرة وديعة المسيح . فاني ارى الآن جماعةً من المؤمنين يبغضون نساءهم ويشوّشون نظام بيوتهم ويهملون النظر في مصالحهم ويرتكبون شرورًا كثيرةً يطول شرحها . حتى ان بعضهم يستصحبون العواهر وينجّسون ذواتهم ويدنّسون طهارتهم ويصيرون ضحكةً للخارجين ولعبةً وهزوًا للشياطين . اَفما سمعت يا هذا بولس الرسول يقول انكم هياكل الله وروح الله حالٌّ فيكم . فمن يُفسِد جسدهُ الذي هو هيكل الله فان الله يُفسِدهُ . وكذلك قولهُ اما تعلمون ياهولاء انكم اعضاء المسيح . افتأخذ اعضاء المسيح وتجعلها اعضاء زانيةٍ . لان الذي يخالط الزانية

يصير معها جسدًا واحدًا . وقولهُ كل خطيَّةٍ يعملها الانسان فانها خارجة عن جسدهِ. واما الزاني فانهُ بجسدهِ خاصةً يخطئُ . وقولهُ لا تضلوا يا هولآء فان الزناة والفسقة لا يرثون ملك الله . واسمع قول الله على لسان النبيّ فانهُ يقول لبني اسرائيل لا تعودوا تقرّبون لي قرابينكم فاني لا اقبلها . وان قلتم فلماذا يفعل الرب بنا هكذا . قلت لان بيتي امتلأَ من دموع نسآئكم وتنهُّد زفراتهنَّ لانك غدرت بامرأة صبآئك وشريكتك وامرأة عهدك التي اشهدت الرب بينك وبينها . اليس الرجل والامراة واحدًا . فاحتفظوا بانفسكم ولا يغدر الانسان بحليلتهِ يقول الرب . وكذلك قولهُ في امثال سليمان واما الحكمة يا بُنيَّ فانها تنجّيك من الامراة الغريبة ذات الوجهين واللسانين التي خانت مَرْبَى صبآئها ونسيت عهد الله وهجرت معالم البهآء والسلوك في سبلها الاولى وصارت الى امرٍ قبيح . فان الذين يميلون اليها لا يرجعون عن شركتها ولا يذكرون طريق الحيوة . اياك ان تتوق الى حسنها او ترغب في جمالها او تصطادك بمقلتيها او ترشقك بسهام لحظها . فانها تنظر من طاقات بيتها ورواشن قصورها ليراها الجُهَّال والاحداث وناقصوا الراي وعادموا الفضائل الروحانية . ثم اذا غربت الشمس وظهر سواد الظلمة خرجت اليهم بالشكل المعهود للزواني الذي بهِ تخدع قلوب الجهلة وتشوّش عقولهم فتعانق الشبان وتقبِّل الاحداث وتتلقاهم بصفاقة وجهها وعذوبة كلامها وتجذبهم كما يُجذَب الثور للذبح والكلب للخناق والطائر الى الفخّ والحَمَل الى الجزّار . فاياك ان تنظر الى وجهها او تنجّس قدميك في طريق بيتها فان في سُبُلها مخادع الموت وتحت

عثباتها مسالك الهاوية . وكلامها ولو كان أَليَن من الدهن عند الجاهل واشهى من العسل عند المنافقين فانهُ امرُّ من نقيع الحنظل واحدُّ من سيفٍ ذي فمين . لكن افرح مع امراة صبائك وتألَّف بحليلتك فان طرق الاخيار طاهرة واما الانجاس فانهم يهلكون . فسبيلنا ان نتمسك بناموس ربنا ونعدل عن المسالك المؤدّية الى الهلاك لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والستون

مرتبة على اخراج الشياطين من الزَّمِين . وهي تتضمن الحثَّ على الرحمة وتبكيت الذين يفتخرون بعمل الاواني والستور

اذا كان ربنا لهُ المجد يعتني دائمًا بمداواة امراضنا ومعالجة اسقامنا وانهاضنا من سقطاتنا وحمل ثقل خطايانا وانقاذنا من الشياطين فما بالنا نراهُ جائعًا وعطشان وعريانًا واسيرًا وفقيرًا وبائسًا ومحتاجًا ونصدُّ عنهُ هاربين . وكيف يمكنك ياهذا ان تهتمَّ بإعداد الوان الطعام واصناف الشراب وانواع الطيوب ورفيع الملابس واخوة المسيح يتضوَّرون جوعًا وعطشًا . وكيف لا تذوب خوفًا من قولهِ في ذلك المقام المرهوب للذين يصنعون هكذا اذهبوا عني يا ملاعين الى النار المؤبَّدة المعدَّة لابليس وجنودهِ لانكم اذ لم ترحموا اخوتي المساكين فاياي لم ترحموا . فاظهر ان سبب هلاكهم هو اهمالهم القيام بحوائج المساكين . واسمع قولهُ ايضًا ان لم يزد برُّكم

على الكتبة والفريسيين فلا تدخلون ملكوت السموات . وقد علمت ان اولئك كانوا يقومون بتقدمة العشور والابكار والنذور والقرابين والذبائح وإِعتاق المماليك في السنة السابعة . ويقدّمون في اسبوع الفصح فروضهم ومطلوباتهم وامثال ذلك . ومجموع هذا يُنيف عن نصف اموالهم. واذا كان الشرط في دخول الملكوت هو الزيادة على فضائل اليهود فهل يُوجَد الآن فيكم من يتصدَّق بنصف مالهِ او بربعهِ او باقلَّ من ذلك . لا لعمري ولا بالعُشر . وكيف يحسن بالعقلآءِ ان يتقلَّبوا شبعًا وبطرًا ويرغدوا بالتنعُّم وسَرَف العيش والمساكين يتنهَّدون من جوعهم وسوء حالهم وينوحون ويندبون لانكسار قلوبهم ويكابدون مرارةً شديدةً من الفقر والضيق . فان قلت انني قد اعتنيت بعمل كؤُوس الفضة وموائد الذهب وستور الديباج برسم الاسرار المقدسة. قلت اسمع قولهُ تعالى انني اريد رحمةً لا ذبيحة . وقولهُ السمآءُ كرسيَّ والارض موطئُ قدميَّ . فايَّ بيتٍ تبنون لي يقول الرب . واعلم ان الله يعتني بمصالح الانفس لا بالاواني الذهبية . ويهتمُّ بالارواح الناطقة لا بالتُحَف النفيسة . لان بيتهُ بيت صلوةٍ ورحمة لا حانوت صياغةٍ . فاذا كان احدكم لهُ دارٌ في المدينة مشقَّقة الحيطان متهدّمة الاركان مشرفة على السقوط وهو يعتني بتبييضها وتزويقها أَفلا يصير عند العقلآءِ ضحكةً ومثلًا . ويقولون لو كان هذا عاقلًا لاعتنى اولًا باصلاح الجدران والاركان التي هي العمدة وبعد ذلك يفعل في التبييض والتزويق ما يشآءُ . واذا صنعت يا هذا وليمةً لبعض اصحابك فاخذت تهتمُّ لهُ باعداد الأَسِرَّة والوسائد وتركتهُ جائعًا وعطشان افما

يكدّرهُ اهتمامك بهذه الاشياءَ المذكورة ويزعجهُ فيقول في نفسهِ لقد كان اهتمام هذا الجاهل لي بقرصٍ من الشعير وكاسٍ من الماءَ خيرًا من هذه الاسرّة والوسائد التي اعدَّها لي . ومن هذا يتبيّن لنا ان الاهتمام باخوة المسيح الذين نزّلهم منزلة ذاتهِ واشتراهم بدمهِ الكريم افضل من الاهتمام بالاواني المصنوعة للهياكل . فان قلت اني ملتزمٌ بضروريّات الاولاد والعيال وليس لي ما يفضل عن كفافهم . قلت اسمع قولهُ في التعاليم ان كان احدكم فقيرًا وليس لهُ مالٌ يتصدَّق بهِ على المساكين فليَصُم النهار اجمع ويقسم خبزهُ بينهُ وبين المحتاج . واذا كنتم جميعكم اولاد الله واخوة المسيح ومولودين من امٍّ واحدة ولكم دعوةٌ واحدة وايمانٌ واحد ورجاءٌ واحد وانتم اعضاءٌ لجسد المسيح فما بالكم تجتمعون في الروحيّات وتفترقون في الاشياءَ الجسديَّة الزائلة سريعًا . وكيف لا تنظر في امر اجناد الملوك وعساكر السلاطين وتقتدي بالفضلاءَ منهم . فانك ترى الناصحين في الخدمة لهم يجتمعون في القتال بنفسٍ واحدة وهمَّةٍ واحدة ورأيٍ واحد وحملةٍ واحدة . محافظين على انهاض الساقطين عن خيولهم . ومرفدين للذين فرغت نفقاتهم . ومعتنين بمداواة المجروحين . وبذلك يغلبون ويظفرون . واما الذين تختلف آراؤهم ويكمنون الغدر في قلوبهم ولا ينصحون لملوكهم وينفردون عن رفاقهم فانهم يكسرون جيشهم . ويسقطون عن مراتبهم . ويُعاقَبون من ملوكهم . ويُطرَدون من اقطاعاتهم . ويُخلَعون من الجنديَّة . ويصيرون الى اشدّ الندامة وابلغ الاسف . واذ قد علمنا اننا اجناد الله وجيوشٌ لسلطان السلاطين وان

حالنا مع المسيح جارٍ على هذه الصفة فلماذا لا نجتهد في ان نكون من المتفقين ولا نكون من المختلفين . اما سمعت ان الثمانية الآلاف الذين آمنوا بالمسيح اولاً على ايدي الرسل الاطهار حملوا جميع اموالهم الى خزانة الوسط وصاروا جميعهم الاغنياء والفقراء ذوي كيسٍ واحد ولهم كلهم همَّةٌ واحدة . فسبيلنا ان نعتني دائمًا بمصالح اخوتنا المساكين ونسدَّ عَوَز المحتاجين لنقبل المجازاة معهم في نعيم ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السادسة والستون

مرتبة على قولهِ اسمع يا اسرائيل . الربُّ الهك ربٌّ واحدٌ . وهي تتضمن تبكيت الذين يتجاسرون على قراءة الكتب الالهيَّة ويحرّفون الفاظها ويغيّرون معانيها . وتوبيخ الذين يتقدَّمون الى الكهنوت وهم غير عارفين بامور الشريعة معرفةً كافية

اذا كان واجبًا علينا من الطريق الشرعية والآداب العقلية ان نحبَّ خالقنا ورازقنا ومدبّر حياتنا والمتحنّن على جنسنا والباذل نفسهُ عنا من كل قلوبنا ونفوسنا وافكارنا وضمائرنا وان نحبَّ القريب في الايمان كما نحبُّ انفسنا فما بالنا نُوجَد في الاول مقصّرين وعن الثاني متغافلين . فان قلت وهل يُوجَد بيننا الان من لا يحبُّ الله تعالى . قلت نعم انكم تحبُّونهُ ولكن ليس كما ينبغي . اسمعوا قولهُ لليهود ان هذا الشعب قريبٌ مني يعبدني بشفتيهِ وقلبهُ بعيدٌ عني . فاننا لو احببناهُ كما احبَّنا لبذلنا انفسنا في العمل بوصاياهُ وفرائضهِ . ووقفنا دائمًا بين يديهِ بالقلوب الطاهرة والعقول الصافية والمحبة الكاملة وتقدمة القرابين المختارة وامثال ذلك .

وابتعدنا من جميع النقائص والعيوب الغير اللائقة بجلالهِ تعالى . فاذا كان الذين يقدّمون له خروفاً مريضاً او اعرج او ناقص الخلقة او اعور يُرذَلون عنهُ ويهانون اذ لم يكرموهُ كما ينبغي . لان المحبة الخالصة تقتضي الاهتمام بتقديم اشرف ما يُوجَد من المخلوقات لخالق البرايا . فما بالك انت تتقدَّم اليهِ بجسدٍ مدنَّس بالخطايا ملطَّخ بالاوزار . واذا كانت احاديث القبائل واخبار الملوك واشعار البُلَغاء اذا قُرِئت في المحافل يُختار لقراءتها اصحاب الدراية الذين يفهمون اقوالهم ويتدرَّبون في تلاوة الفاظهم اجلالاً للقائلين واحتفالاً بمكان السامعين فما بالنا نستهين باقوال ربنا ولا نحتفل باوامرهِ حتى يتطرَّق الى قراءتها الاغبياء والعاجزون . واذا كان الذين يغلطون في انشاد قصائد الملوك ويحرّفون الالفاظ يُهانون ويُذَمُّون من الحاضرين فماذا عسى ايها المجترئ على كلام خالقك المفسد معاني كتبهِ ان يصيبك من اللعن والشتيمة والاستهزاء . فان كنت ياهذا تريد بقراءتك التقرُّب من الله والمديح من الناس فقد انقلبت خاسرًا للامرين جميعاً . وفضلاً عن ذلك اكتسبت الذمَّ والنقيصة والوصف بالجهالة والرجوع بالخيبة . اسمع يا هذا قول القانون المقدس وامَّا الذين يتقدَّمون الى الكهنوت فينبغي ان يختبرهم كبير القسوس ومقدَّم الشمامسة هل هم ماهرون في قراءة الكتب لهم خبرةٌ بسُنَن الكهنوت عارفون بحقوق الكنيسة . فاذا ثبت عندهما انهم مستحقُّون الكهنوت يُقدَّمون حينئذٍ ويُقبَلون . ويقول ايضاً في باب الكهنة وكاهنٌ يقرأُ ويكفر يجب ان يُمنَع من القراءة . وان زاد فليُخرَج لئلاَّ يُنجِّس الناس

او يروهُ غير متادّبٍ ولا واقفٍ عند حدّهِ . ويقول ايضاً ولا يصير احدٌ كاهناً وهو لا يعرف كلام الكتب الالهيَّة جيدًا . وايضاً يقول وكاهنٌ لايعرف الشريعة ولا يعمل بها يسقط من درجتهِ . ويا للعجب من الذين يزمّرون ويرقصون ويترنَّمون بنشائد المطربين اذا شعر الحاضرون منهم بالعجز عن القيام باتقان فنونهم تراهم يصرخون عليهم ويسكتونهم ويطردونهم ويستبدلون غيرهم . واذا كان الله يقول للذين يقدّمون الخروف الذي بهِ عيبٌ انكم تُغضِبوني وتهينون اسم قدسي فماذا عساهُ يقول للذين يفسدون اقوال شريعتهِ ويحرّفون كلام كتبهِ ويتجاسرون عليهِ ولا يخجلون . فسبيلنا ان نتأدَّب بما سمعناهُ ونحترم اقوال ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والستون

مرتَّبة على مَثَل الذي غرس الكرم وبنى فيهِ البرج والمعصرة . وهي تتضمَّن تبكيت المتكبرين والمحبين الرئاسة والطالبين التقدُّم على الغير من الكهنة وغيرهم

اذ قد سمعتم ايُّها الاحبَّاءُ مَثَل الذين اختيروا للتصرُّف في الكرم فتمتعوا بالثمرات وعصوا اوامر من ارسلهم وتشاوروا على قتل الوارث وجازوا عن الخير بالشرّ وتمسكوا بحبال الغدر واستعدُّوا لقبول العقوبة العظيمة . فلنحذر الآن من ان يوجد فينا احدٌ عاصياً او ماردًا او مخالفاً لاوامر الله او متمكناً في الاعمال الرديَّة فيتهاون بسماع التعاليم ويُصِمُّ اذنيهِ عن قبولها .

وكما ان الجراحات والقروح اذا تطاول زمانها وتمكن فسادها تستعصي على تأثير قوى الادوية ولا تنجع فيها المراهم والضمادات هكذا الانفس البشرية اذا أَلِفَت مقارنة الآثام وتلبَّست بالخطايا وغرقت في لجَّة المعاصي لا تعطفها عن ذلك التعاليم ولا المواعظ ولا التنبيهات ولا النصائح ولا التوبيخات. فتكون كالسيف الذي تمكن فيهِ الصدأ حتى افسد جوهرهُ وغيَّر منظر رونقهِ. فانهُ يحتاج الى الرجوع الى النار واحتمال مشقَّة السبك والطَّرْق. وانظر يا هذا الى فعل قايين حيث مكَّن من نفسهِ الحسد. وسكر بخمرة الغيرة الرديَّة. واراد ان يكون مقبولاً كاخيهِ مع انهُ لم يكن مثلهُ في الفضيلة. وحيث لم يصدَّهُ عن فعلهِ الفظيع حنوُّ الأُخوَّة. ولا الشفقة الجنسيَّة. ولا الخوف من الله. ولا الحياءُ من الوالدين. ولا الحذَر من حزنهما. لكنهُ شمَّر عن ساعد الحنق واشتعل بنار الحسد وجرَّد سيف العزم وعمد مسرعًا الى اخيهِ فقتلهُ واستوجب اللعنة من الله والخلود في الجحيم. لان الله قال لهُ انهُ يكون ملعونًا من الارض التي فتحت فاها وقبلت دم اخيهِ. واذا كانت هذه مجازاة الذي ظلم اخاهُ بالجسد حيث لم تكن هناك شريعةٌ ولا ناموس بل عاقبهُ بحسب الغريزة المغروسة في الطبيعة البشرية فقط فبكم ضعفًا يعاقب الذين وُلِدوا من الروح القدس. واغتذوا بالاسرار الطاهرة. واشتركوا في الأُخوَّة المسيحية. ورضعوا اللبن الناطق الذي هو التعاليم الالهية والوصايا الربَّانية. وهم يُوجدون مع ذلك متحاسدين مشتعلين بنار الغيرة الخبيثة. ولا سيَّما في بيت الله وكنيسة المؤمنين وسفينة الخلاص وميناءِ السلامة ومجمع القديسين.

وليس هم الخارجين عن رتبة المذبح فقط بل ارباب الرتب الكهنوتية ايضاً والروساء في المشوارت وخُدَّام المذبح على اختلاف درجاتهم . واذا كان الذين يتنازعون الرئاسات في مجالس الملوك يُعاقَبون ويُشهَرون لانهم خرقوا حجاب الوقار وهتكوا حرمة المملكة وخلعوا ستر الحياء وسلكوا طريق الخارجين . فبِكَمْ ضعفاً تُعاقَب انت ايها الحاسد لاخيك والطالب رتبةً ليست لك . وليس ذلك مع كونك في مجلس ملكٍ ارضيّ . بل وانت في بيعة الله وامام الهياكل المقدسة وبحضرة خالق البرايا . وبمشهد طغمات الملائكة وجميع الرتب الكهنوتية ومحافل النورانيين . واذا كان الذين يخدمون الملوك الارضيين ويفلحون الكروم اذا استهانوا بملوكهم واطمعوا انفسهم في رتبٍ ليست لهم يهلكون فما بالك انت تهين سيدك وتظلم اخاك وتنازع قريبك وتطلب ان تكون الاول مع انك انت الاخير . وتستعدُّ لعقوبةٍ عظيمة . ولو علمت حالتك في حال الحنق وانت كالبغل الشَمُوس او الجمل الهائج او الذئب الضاري لتركت الخصام خجلاً ورجعت خائفاً من الله . اما تعلمون اننا انما نحن عبيد الله وانهُ يقسم بيننا المواهب كما يشاء وبحسب ما نقتضيهِ طباعنا . وان اردت تحقيق ذلك فاسمع الرسول معلّم المسكونة حيث يخاطب القرنثيين بمثل ذلك . فانهُ يقول ان اقسام المواهب وافعال الفضائل والخِدَم كثيرةٌ . لكن الله يفعل بكل واحدٍ من الناس ما يشاؤُهُ . فواحدٌ يُعطَى بالوحي من الروح بقدر ما ينفعهُ . واخر أُعطِي بالروح كلام الحكمة . واخر أُعطي كلام العلم . واخر مواهب الشفاء . واخر القوات . واخر النبوّة . وآخر تمييز الارواح . واخر

اصناف الألسن . واخر ترجمة اللغات . كل هذه المواهب يقسّمها هذا الروح الواحد كما يشاء . وهكذا رتّب الله في البيعة فجعل اولاً رسلاً . وبعدهم انبياء . وبعدهم معلمين . وبعدهم صانعي آياتٍ . وبعدهم الذين أُعطوا مواهب الشفاء . ثم اعوانًا . ثم مدبّرين . ثم اصناف الالسن . فليس الجميع رسلاً . ولا كلهم معلمين . ولا كلهم صانعي آياتٍ . ولا لجميعهم مواهب الشفاء . ولا الكل يتكلمون باصناف الالسنة . ولا الجميع يترجمون . فان كان كثيرون منكم يتنافسون ويتغايرون في المواهب الفاضلة فانا أُريكم أيَّ المسالك افضل وهو ان يحبَّ بعضكم بعضاً محبّةً صادقة . ويعدَّ كل واحدٍ اخاهُ افضل منهُ . ولنهرب جميعنا من محبَّة المجد الباطل وطلب الرياسات العالميَّة لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والستون

مرتبة على قولهم أليس هذا ابن يوسف . وهي تتضمن الحث على حفظ التعاليم والاستعداد لجواب المعاندين والمضادّين وما شاكل ذلك

اذا كان ربنا لهُ المجد يعلمنا دائمًا تارةً بالاعمال وتارةً بالاقوال وتارةً بهما جميعاً فسبيلنا ان نبالغ في حفظ تعاليمهِ النافعة لنفوسنا والمحيية لارواحنا لكي نقتدر على مجاوبة الذين يقصدون محاورتنا وينتدبون لجدالنا ويستضعفوننا ويستنقصون شريعتنا الفاضلة . كقولهم عن سيدنا لهُ المجد أليس هذا ابن يوسف . وايها الطبيب اشفِ نفسك وامثال ذلك . واذ كان الذين يقصدون الشجاعة ويريدون تعلُّم الجهاد لا

يستفيدون بتردُّدهم الى ساحة المعارك دون ان يستعملوا حركات المجاهدين ويحملوا اسلحتهم ويجاهدوا بانفسهم. وكذلك الذين يريدون تعلُّم السباق لا ينتفعون بتردُّدهم الى الميدان ومشاهدة الذين يتسابقون فقط بدون ان يركبوا مثلهم ويسابقوا. فهكذا الذين يحضرون الى البيعة ويسمعون التعاليم والمواعظ لا ينتفعون بمجرَّد سماعها بل بان يحافظوا على العمل بها ويثابروا على السلوك بموجبها. ولهذا قال ربنا لهُ المجد ان الذي يسمع ولا يعمل يشبه رجلاً جاهلاً بنى بيتهُ على الرمل. ويشبّهُ تارةً بالارض المحجرة. وتارةً بالارض الكثيرة الاشواك. ويا للعجب من كون احدنا يكون لهُ ولدٌ صغيرٌ في المكتب وهو ينفق عليهِ اجرة الخادم والمعلّم وثمن الكتب والادوات التي يحتاج اليها. والمعلم يبذل الجهد في تعليمهِ. وهو عند خروجهِ كل يوم من المدرسة يُهمِل كل ما تعلَّمهُ وينساهُ ويشتغل باللعب واتّخاذ التماثيل المزخرفة والفرجة على الملاهي. فاذا اقام ذلك الولد سنةً في التعليم ثم سألهُ ابوهُ عن محفوظاتهِ فلم يُعطِهِ جواباً افلا يضربهُ ويشتم المعلم ويسبّهُ. لكنهُ اذا تحقَّق ان المعلم كان يبذل الجهد في تعليمهِ فان الملامة تكون على الولد وحدهُ. واذا كان الان قد مضى لنا مدَّةٌ ونحن محتملون ثقل الصيام وقانعون بتقشُّف المعيشة ومتردّدون الى هذه المحافل الطاهرة نسمع التعاليم الروحانية ولا نعمل بما سمعناهُ منها فايَّة عقوبةٍ تكون معدَّةً لنا. واذا كان الذي يعرف مرضاة سيدهِ ولم يعمل بها عُذِّب عذاباً شديداً فالذي يسمع ذلك بتكرارٍ كيف لا يكون اشدَّ عذاباً. فان قلت ياهذا وما الدليل على اننا لسنا حافظين لما

سمعناهُ ولا عاملين بهِ قلت لاني الى الان لا ارى الغضوب صار وديعاً. ولا الحقود صار مسامحاً . ولا الفاسق صار عفيفاً . ولا المحبّ للمجد الباطل صار متواضعاً . ولا المشغوف بجمع المال صار قنوعاً . ولا البخيل صار سموحاً متصدّقاً . فان الرسول يقول من منكم يظنُّ انهُ حكيمٌ فيُرِيني حسن اعمالهِ من تصرُّفهِ بعلوم حكمتهِ. والكتاب ايضاً يقول من اثمارهم تعرفونهم . ولست اقول هذا قصداً لازعاجكم بل لخلاص نفوسكم لانهُ يجب علينا ان لا نَدَع يوماً واحداً من زماننا يذهب خالياً من اكتساب فضيلةٍ زيادةً على الفضائل الموجودة عندنا إمَّا في الصوم او في الصلوة او في الصدقة او في الاحسان الى المسيئين او في المحبة للمبغضين وامثال ذلك . لانهُ اذا كان الذين يريدون جمع الكنوز الارضية يجتهدون دائماً في زيادتها مع علمهم بزوالها فالذين يريدون جمع الكنوز السموية كيف لا يجتهدون اعظم اجتهادٍ . واذا كان ربنا لهُ المجد يامر بان نكون محبين لاعدائنا فكيف نكون مبغضين لاخوتنا . واذا كان العشّارون يحبُّون من يحبهم فكيف لا يجب ان نحبَّ المبغضين ونحنو على المضطهدين لنُعرَف اننا تلاميذ ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والستون

مرتبة على قولهم لماذا تلاميذك يتعدَّون وصيَّة المشيخة . وهي تتضمن تبكيت محبّي المجد الباطل وطالبي المدح من الناس

ينبغي ان نتفهَّم معاني الكتب الالهيَّة الطاهرة . ونخضع لاوامرها العالية .

ونحافظ على ضبط العقائد الصحيحة والمذاهب الواضحة . ونضعها في خزائن العقل . ونحرسها باعمال الفضيلة . ونهرب من الآفات المُفسِدة لنفوسنا المُبعِدة عن خلاصنا كالهرب من الافاعي ذوات السموم القاتلة . ونعتني دائمًا بالطهارة الروحية والعمل بالوصايا الالهية . ولا نشتغل بغسل الظواهر الخارجية مثل اولئك الهالكين . فان قلت ياهذا وما هي هذه الآفات لنهرب منها . اجبتك انها كثيرة جدًّا . اولها الاهتمام بالامور الدنيوية . وثانيها محبَّة المجد الباطل لانهُ يكون سارقًا لفضائلنا وناهبًا لكنوزنا ومبدّدًا لغلّات ارضنا ومفسدًا لثمرات ارواحنا . واذا كنا انما نعمل الفضيلة ليراها البشر المائتون طلبًا للمديح منهم فمديحنا مائتٌ مع المائتين وفاسدٌ مع الفاسدين . ويا للعجب كيف ينفق العقلاء اموالهم ليراها الذين سيصيرون ترابًا ورمادًا . واذا صار المادح ترابًا ورمادًا فما ظنُّك بالمديح الواصل اليك من نحوهِ . ولعمري ان هذا الخائب يكون كالذي يزرع والطيور تاكل . ويخزن واللصوص تنهب . وليس هذا وحدهُ هو الواصل اليهِ من المحزنات بل ان الذي يفعل الفضيلة امامهُ لينال المديح منهُ هو بعينهِ الذي يذمُّهُ ذمًّا قبيحًا . ولو علمت ياهذا ان مديح البشر يضمحلُّ كالدخان ويذهب كذهاب امس ويتلاشى كالظلّ وينتثر كالهباء لما انفقتَ مالك سُدًى وأَضَعت اتعابك باطلاً . واما الذين يصنعون الفضائل لتراهم العين التي لاتنام فانهم ياخذون اكاليل الغلبة . ويملكون سعادة الابد . ويتسلمون الكنوز الثمينة والمكاييل الفائضة بحيث لاتصل اليهم اللصوص ولا تدهمهم السُرَّاق . ويا للعجب من الذين

يتسابقون على الخيل امام الملك انهم يجهدون انفسهم ويكدّون خيولهم لا لتراهم الالوف من الحاضرين بل ليراهم الملك وحدهُ لانهم يعلمون ان منهُ وحدهُ تكون الكرامة والعطآء. وانهم لو مدحهم الحاضرون كلهم دون الملك لايستفيدون شيئاً. فاذا كان هولاء الذين يتسابقون ينظرون نظراً صادقاً ويميزون تمييزاً صحيحاً ويلتمسون المديح من معادنهِ والجوائز من اربابها فكيف الذين وُلِدوا من الروح ثانياً واغتذوا بالاسرار الطاهرة وتهذَّبوا بالوصايا المسيحية ووُعِدوا بسعادة الملكوت. فسبيلنا ان نهرب من المجد الباطل بكل جهدنا ونحرص على كنوزنا من السارقين لنفوز بملك ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة السبعون

مرتَّبة على عمل الكرم والعُمَّال. وهي تتضمَّن الحثَّ على سماع الاقوال من المعلمين والعمل بها وتعليمها لاخرين

اذا كان ربُّ الكرم حين راى العُمَّال متهاملين مضَّجعين لا يحملون اليهِ الثمرات في اوانها ولا يخدمونهُ كما ينبغي امر بهلاكهم وسلَّم الكرم الى اخرين. فما بالنا لا نتذكر عظم مصابهم. ونتيقَّظ بسقوطهم. ونفلح الكرم جيداً. ونعطي الثمرات في اوانها. ونخدم ربَّ الكرم كما يجب لهُ. ونكون دائماً لأَقوالهِ سامعين. ولاوامرهِ طائعين. ولرسلهِ مكرّمين. ليعلّمنا ارادتهُ ويُلهِمنا طاعتهُ. ويجازينا بالخلود في ملكوتهِ. ويفرح بخيراتنا المرشدون. ويبتهج باكليلنا المؤدّبون. ويُقبِلوا علينا مسرورين. ويهتمُّوا

بمصالحنا مجتهدين . فانهُ كما ان الذين يغوصون على الجواهر اذا وجدوا الذين يشترونها مقبلين عليهم متقدمين لابتياعها يفرحون بذلك ويتهلَّلون . ويحملهم رواج بضاعتهم على الغوص في البحر ايضاً واحتمال المشقَّات وركوب الاهوال ليحصّلوا امثالها . وكذلك يفعل الفلاَّحون اذا رأوا الارض تاتي بغلاَّتٍ جزيلة فانهم يجهدون انفسهم ويلقون البذار بكثرةٍ ولا يشفقون . فكذلك نحن اذا راينا حرصكم ونشاطكم واجتهادكم في استماع المواعظ والبحث عن معاني العبارات متسارعين بعضكم مع بعضٍ متبارين في العمل بها . فاننا عند ذلك نجهد انفسنا ونستحثُّ افكارنا ونفاوضكم دائمًا في ما يُبهج نفوسكم ويحسن معادكم ويكثّر اعمال برّكم ويضاعف ثمرات اجركم . لان التجّار هكذا يصنعون اذا حسنت احوال سوقهم ونفقت بضائعهم فان ذلك يدعوهم الى مراجعة السفر واحضار بضائع افضل من تلك . اما اذا كسدت البضائع عندهم وراوا المشترين معرضين عنهم ومتهاونين ببضائعهم فانهم هم ايضاً يتهاونون ويتكاسلون . وقد علمتم ان حرصنا واجتهادنا لا لتكونوا حافظين لاقوالنا فقط بل لكي تصيروا معلمين ايضاً لاخرين . ولكي يقوّم بعضكم بعضاً ويكمل نقص الناقصين . وحينئذٍ تتضاعف المواهب التامَّة . وتتزايد فضائل الروح . وتكثر الثمرات الجيدة . وتترادف جوائز الاعمال الصالحة . لان الله لا يرضيهِ منا ان يهذّب المؤمن نفسهُ فقط بل ان يجبر المنكسرين ايضاً . ويُنهِض الساقطين . وينشّط الفاترين . ويرشد الضالّين . ويُقيم لسيدهِ منازل كثيرة روحانية يظهر ضياؤُها لاخرين .

وليس ذلك بالتعليم فقط بل بحسن السيرة ايضاً وبالاعمال الصالحة وبما يرون فيهِ من المحبة والرحمة ورفض الشهوات العالمية والاجتهاد في طلب الخلاص والوصول الى النعيم السماويّ . فسبيلنا ان نجهد نفوسنا ونعمل بحسب اوامر ربنا لندرك حياة الابد التي اعدَّها للطائعين الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والسبعون

مرتبة على قولهِ وكما رفع موسى الحيَّة في البريَّة . وهي تتضمن تبكيت الذين يخالفون الوصايا وان الذين يلتجئون الى الله بالتوبة والاقلاع عن الخطايا يقبلهم ولا يذكرها لهم

اذا كان ربنا لهُ المجد يحثُّنا على الايمان بهِ والمسارعة الى العمل بوصاياهُ ويوضح لنا عظم محبتهِ لنا وبذل نفسهِ لاجل خلاصنا وارسالهُ من الآب لحياتنا . ويضرب لنا الامثال على ذاتهِ بالحيَّة النحاسيَّة ويحضُّنا على السلوك في نور اعمالهِ الفاضلة والابتعاد عن ظلمة الهالكين . فايُّ عذرٍ يكون لنا عندهُ اذا وجدنا متغافلين وتاركين الاهتمام والاجتهاد في خلاصنا . واما هو تعالى فقد فعل كل ما يليق بجودهِ العميم وكثرة تحنُّنهِ على جنسنا . وكما ان الاطباءَ اذا راوا جراحات المجروحين ودبروا لها المراهم والاضمدة والذرورات كما يجب فقد ارتفعت عنهم الملامة . واذا تكرَّه المجاريح من مداواتهم وتضجَّروا من الادوية الحادَّة التي تنقي جراحاتهم فالاحرى بهم ان تعفن تلك الجراحات وتنتن وتدوِّد وتصير سبباً لفساد الاعضاءَ كلها . كذلك اقول عن الاطباءَ الروحيين انهم متى فعلوا ما

يجب عليهم من قرآءة الكتب والتعاليم والمواعظ واهتمّوا بمداواة الانفس كما ينبغي فقد تخلَّصوا من طائلة اللوم. واما الذين يسمعون تعاليمهم ويفهمون معاني اقوالهم ولا يقبلونها ويتضجَّرون من المداواة ويبادرون الى انتزاع المراهم عن جراحاتهم والذرورات عن قروحهم فانها حينئذٍ تنتن وتدوّد ويسري فسادها الى الاعضآء السليمة. وربما احوج الامر الى قطع الاعضآء المحتاج اليها في قيام الحيوة. واما الذين يسمعون التعاليم برغبةٍ ونشاط ويحتملون حدَّة المراهم المنقّية والذرورات الاكَّالة فانهم يفرحون بكمال صحتهم وسلامة اعضائهم. واسمع يا هذا قول الله على لسان حزقيال النبيّ حيث يقول يا ابن الانسان كلّم شعبك وناشد عشيرة ابيك وقُل لهم اذا نزل الحرب باهل الارض بغتةً فليتَّفقوا على رجلٍ منهم يجعلونهُ رقيبًا حتى اذا رأى العدوَّ قد اتاهم ينفخ في البوق منذرًا لهم. ومن سمع منهم صوت البوق ولم يتحفظ كما ينبغي وادركهُ العدوُّ وقُتِل فدمهُ يكون في عنقهِ. وان سمع وتحفَّظ فقد خلَّص نفسهُ من الهلاك. واما اذا رأى الرقيبُ العدوَّ قد هجم ولم ينفخ في البوق ولم ينذرهم كما ينبغي فكل من يُقتَل منهم انما يُقتَل باثمهِ واما دمهُ فيُطلَب من الرقيب. وهكذا انت اذا انذرت الخاطئَ ليرجع عن طريقهِ الرديّ ولم يرجع فذلك الخاطئُ يموت باثمهِ. واما انت فقد خلَّصت نفسك. ويقول ربُّ الارباب انهُ لا يسرُّني موت الخاطئ باثمهِ بل اسرُّ ان يرجع ويتوب لتحيى نفسهُ. فارجعوا عن طرقكم الاولى الرديَّة ولا تموتوا يا بني اسرائيل باثمكم فان برَّ البار لا ينجيهِ اذا رجع الى الخطية. وكذلك الاثيم لا يُؤَاخَذ باثمهِ اذا رجع عن الخطية تائبًا.

وان قلتُ للبار انك تحيي ثم رجع عن برهِ وفعلَ الاثم فاني لا اذكر لهُ شيئاً من برهِ بل يموت باثمهِ . واذا قلتُ للاثيم انك تموت ورجع عن اثمهِ وعمل البرَّ والعدل وسار بوصايا الحيوة ولم يأثم فانهُ يحيي ولا يموت ولا تُذكَر لهُ جميع الخطايا التي عملها قديماً . فينبغي لنا ان نكون دائماً متيقّظين متحذّرين خائفين من الهنا . متأهّبين لقتال اعدائنا مُبعِدين الذين يقصدون اغوآءنا . فان الله لما خلق ابانا الاول خلق لاجلهِ انواع الحيوانات والاشجار والنباتات والمعادن . واسكنهُ فردوس النعيم . وكلَّلهُ بالمجد والبسهُ حُلَل البهآء والجمال . وجعلهُ مسلَّطاً ونبيًا وملكاً . فلما اكل وشبع وغفل ولم يتيقظ كما ينبغي وجد الشيطان مدخلاً لمحاربتهِ وسبيلاً لاغوآئهِ . فاصطادهُ بمخالفة امر خالقهِ . وحين سقط في المخالفة ووقع في وهدة الرذيلة طُرِد من فردوس النعيم وسُلِبَت منهُ الاكاليل والحُلَل واردية المجد والبهآء وأُخرِج الى ارض الشقآء والغربة والذلّ والهوان والاتعاب الشديدة . فاذا كان هذا كلّهُ قد جرى عليهِ بمخالفة وصيَّةٍ واحدة . وخرج من الفردوس الى القفر . ومن التشبُّه بالملائكة الى التشبُّه بالحيوانات . ومن الملك الى العبودية . ومن الكرامة الى الهوان فماذا عسى يكون مُعَدًّا لنا . لان ذلك وان كان تعدَّى الوصيَّة انما خالف الامر فقط لانهُ لم يُوجَد فاسقاً ولا سارقاً ولا خاطفاً ولا غاصباً ولا كافراً . ولا تعدَّت مخالفتهُ للاضرار باحدٍ من المخلوقات غير ذاتهِ وقد عُوقِب عقوبةً هذا عظم مقدارها . واما نحن الذين نخالف اوامر ربنا . ونسلب اموال غيرنا . ونرتكب الحسد والكبريآء . ونصاحب الفُسَّاق

والسكيرين فكيف يكون حالنا . فان قلت وما هي المخالفة الموجودة عندنا الان . قلت الا تسمع قول سيدك ان من نظر الى امرأة واشتهاها فقد زنى بها في قلبهِ . أَوَلم يَقُل للمؤمنين بهِ أَحبُّوا اعداءَكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلُّوا على من يطردكم . ومن لطمك على خدّك الواحد فحوّل لهُ الاخر . ومن اخذ ثوبك فدع لهُ رداءَك . واذا قلت وما هي المخالفة الموجودة عندنا لهذه الوصايا . اقول لك وما هي الوصيَّة التي لم نوجد مخالفين لها الا قليلاً من المؤمنين . واذا لم نوجد هكذا طائعين نكون بالضرورة مخالفين . فسبيلنا ان نتيقَّظ من نومنا وننهض من غفلتنا ونقرع باب رحمة الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والسبعون

مرتَّبة على مَثَل الغنيّ والعازر . وهي تتضمَّن الحثَّ على طرح العالم والاعتناء بالعمل الذي يؤدّي الى الملكوت وحسن المجازاة في القيامة

كما ان الذين يتعلّمون الصنائع كالبناءِ والنجارة وغيرهما لا يستفيدون بشرح المعلمين فقط بل بمباشرة الاعمال قدامهم مرَّاتٍ كثيرة . وكذلك الذين يريدون ان يتعلموا اللعب بالسيف والمصارعة ونحو ذلك . فانهم لا يكتفون بقول المعلّم لاحدهم افعل كذا ولا تفعل كذا بل باعطائهِ السيف باليمين والترس باليسار والتمرين على العمل بالمباشرة امامهُ . وكذلك فعل ربُّنا حين اراد ان يُثبت عندنا امر القيامة والمجازاة وسعادة الطائعين وشقاوة العصاة . فاقام الاموات اولاً . ثم امات ذاتهُ وانهضها ثانياً . ثم بيَّن

ما يصير اليهِ المتنعمون والمسرفون والمغتبطون بالشهوات البدنية . وما يصير اليهِ الباكون والعادمون الذخائر العالمية فاورد مثَل الغنيّ اللابس البرفير والارجوان والفقير البائس الذي هو العازر . وصيرورة ذلك الى الجحيم وهذا الى حضن ابرهيم . فكذلك ينبغي للعلمين الروحيين ان يعلّموا بالاعمال اولاً ثم بالاقوال ثانياً لكي تكون تعاليهم فعّالة واقوالهم موءثّرةً في النفوس . واذا كان الذين يجلبون الجواهر الثمينة يتكلّفون مشقّاتٍ واتعاباً يطول شرحها من الغوص في الاعماق وملاطمة الامواج ومقاساة الاهوال والوقوع في المهالك . فالذين يقصدون تحصيل الجواهر الروحانية كم ينبغي لهم ان يمارسوا اتعاباً اكثر من تلك . لكن سيّد البرايا لهُ المجد لعظم محبتهِ للبشر انما يريد منا ان نميل اليهِ بنيّاتنا ونطلبهُ بضمائرنا . وحينئذٍ يرسل عونهُ من فوق فيسهّل مصاعبنا ويخفّف اثقالنا ويعين ضعفنا ويذخر لنا الكنوز الباقية والذخائر السموية . ويعضدنا في الاعمال والاقوال . فان قلت وما هو الذي ينبغي لنا ان نضمرهُ اولاً . فاقول ينبغي ان نُضمِر طرح هذا العالم ولذّاتهِ . ونتحصَّن بوصايا الشرائع . ونقاوم الشهوات الجسدية . ونعتقد اننا في هذه الدنيا غرباءُ وان لنا مدينةً اخرى نجتهد في حمل امتعتنا اليها . فاننا اذا فعلنا هكذا بضميرٍ صادق فان المعونة العلويَّة تدرك ضعفنا . ارايت ياهذا كيف لم ينتفع ذاك الغنيُّ بالاموال الكثيرة . ولا بالثياب الفاخرة ولا بالاطعمة الشهيَّة . ولا بالمشارب اللذيذة . ارايت كيف هبط الى الجحيم وسقط في اسفل الهاوية . فان قلت من اين يعلم المشتغلون بالاعمال العالمية

كالزرّاعين والصيّادين والنسآء وغيرهم حقيقة معاني الشريعة لانهم لا يُحسِنون القرآءة في الكتب ولايتيسّر لهم الاجتماع بالعارفين في اكثر اوقاتهم. قلت الم ينظروا البشر يموتون . اما سمعوا انهُ كان لهم في العالم آباءٌ واجداد واخوة وأَخوات واقارب واصدقآءُ وانهم ذهبوا جميعهم مائتين . اما كان ينبغي لهم ان يقولوا الى اين تذهب نفوس هولآء المائتين . وما هي المدينة التي هم صائرون اليها . وما معنى سلوكهم في هذا الطريق . واذا وصلوا الى المدينة كيف يكون حالهم وماذا يجدون . ويا للعجب من الذين يريدون السفر الى البلاد الغريبة فانهم يسألون التجّار والمسافرين عن هيئة البلد وصورتهِ . واخلاق اهلهِ ولغتهم . ويسألون عما بهِ من البساتين والزراعات واسعار المتاجر وما يحتاجون اليهِ من الزاد في الطريق . ويستفهمون عن الاماكن المخيفة والقفار المعطشة وعن حدّ المسافة ومدّة الاقامة . ويجتهدون في استقصآء ذلك كما يجب ويستعدّون للسفر كما ينبغي . واما في السفر الذي الى الاخرة فلا يفعلون كذلك . بل يستعجلون ويتباهون ويتهافتون في اضاليل مختلفة حتى يقول بعضهم ان الناس في العالم كالسمك في البحر الاعظم من غلب اخذ بغير مانعٍ . ويقول اخرون انهم كالعشب والشجر . واخرون انهم كالزرع في الحصاد يفنون ولاعودة لهم الى الاخرة . وبعضهم يقول اننا لانحسن القرآءة في الكتب ولا نعلم ماذا يُراد من المائتين . واما انا فانني اقول لمثل هولآء ايها الجُهّال والعُمْي البصائر اذا كان لاحدكم مال واولاد وعبيد وخدم فهل يجوز لهُ من طريق العدل والعقل ان يرى بعضهم ظالمين وبعضهم مظلومين وبعضهم

يعتدي على بعض وبعضهم ياخذ اموال بعضٍ وهو لا ينتقم من الظالمين ولا ينتصر للمظلومين. واذا رايتم هولآء يموتون ظالمين وهولآء يموتون مظلومين وعلمتم ان الخالق عادلٌ حكيم اما تعلمون بالضرورة ان لهم زمانًا اخر يقومون فيهِ ويتناصفون. واذا كنتم لا تتمسكون بهذا القياس فاسمعوا قول سيدنا لهُ المجد واقوال رسلهِ. وانظروا كيف يحذّركم من اباطيل هذا العالم الزائل ومن الانهماك في شهواتهِ ولذّاتهِ. وكيف ينقل عقولكم وشهواتكم ولذاتكم وجميع مرغوباتكم الى حقائق العالم الابديّ. فيقول تارةً لا تحبُّوا العالم ولا شيئًا مما في العالم. ثم يبيّن العلّة في ذلك بقولهِ لان العالم يزول وكل شهواتهِ. وتارةً يقول لا تكنزوا لكم كنوزًا في الارض حيث السوس يُفسِد والسارقون يحتالون ويسرقون. اكنزوا لكم كنوزًا في السمآء. ورسولهُ يقول ان المحبَّ لهذا العالم يكون عدوًّا لله. وامثال ذلك كثيرةٌ. فايُّ عذرٍ ترى للاميّين الذين لا يعرفون القرآءة وهو قد جمع لهم معاني الناموس والانبيآء في كلماتٍ يسيرة بقولهِ كل ما تريدون ان تفعل الناس بكم افعلوا انتم بهم. فسبيلنا ان ننهض من غفلتنا ونهتمَّ بخلاص نفوسنا لنفوز بملك ربنا الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الثالثة والسبعون

مرتّبة على قولهِ لست اقول لك ان تغفر لاخيك سبع مراتٍ في اليوم بل سبعين مرةً سبع مرات وهي تتضمن الحثّ على طلب العلوم ومواظبة القراءة ليلًا ونهارًا وتبكيت الذين يصومون وهم ملطخون باقذار الخطايا

ينبغي لنا ان نتيقَّظ لرياضة نفوسنا واصلاح ذواتنا وتهذيب اخلاقنا

والاقتداء بآثار ربنا لئلاّ يوجد احدنا صخرةً للشك او حجرًا للعثرة او يأبى الغفران للمسيئين او يتشكّى من قساوة الظالمين. وان نعتبر قولهُ لم اقل لك ان تغفر لاخيك سبع مرّات بل سبعين مرةً سبع مرّاتٍ اي اربع ماية وتسعين مرةً. واذا وجب على الذين يصنعون الفضيلة ويكمّلون الوصايا الالهية ان يتركوا التمسُّك بحبال الافتخار بها لكونها طاعةً لهُ تعالى اذ لا فضيلة للعبد في تكميل امر سيدهِ فماذا يقال للمعرضين عن كل هذه الاعمال. فان قلت ياهذا ان الوصايا كثيرةٌ وزمان التعليم قليلٌ ففي ايّ وقتٍ يعلّم المعلمون ويفهم السامعون كما ينبغي. قلت اذا كانت الامور البشرية قد رُسِمَت لها اوقاتٌ محدودة فالتعاليم الروحية جميع الاوقات موافقةٌ لها في النهار او في الليل. ولهذا قال بولس الرسول لتيموثاوس واظب على التعليم في الاوقات الملائمة وغير الملائمة. وناشدهم مذكرًا وعلّمهم مجتهدًا. وخاطب وطوّل الخطاب وأسهِب في القول وبكّت وعزِّ ووبّخ واشهر. فقل لي الان ياهذا ألَعلَّ الوقت افسد شيئًا او قطع الليل نظام التعليم. وانا لا اقول هذا طلبًا لازعاجكم ولا لاظهار الرئاسة عليكم بل طلبًا لخلاص نفوسكم وسعادة حظوظكم. واذ قد اتينا الان بالمقدّمات المطلوب بها منكم ان لا تضجروا من استدامة الوعظ وتكرار التعاليم فنتكلّم الان على سبيل العادة ونقول كما ان الذين يتَسمون بالجندية لا ينفعهم التشكُّل بلباس الزرد والخُوَذ واتّخاذ السيوف والرماح ما لم يخرجوا لمحاربة العدوّ ويجدوا ملكهم. والا فماذا ينفعون ملوكهم وهم يطوفون في الاسواق والشوارع ويبنون المنازل ويتخطرون بالاسلحة ولا يخرجون الى المعركة ولا يجاهدون.

وكذلك اقول في الذين يتشكلون بشكل الصيام وهم يظلمون الناس ويسرقون ويكذبون ويراؤون ويجتهدون في اعداد الاطعمة وعمل الضيافات والتفنُّن في الوان الطعام وانواع الاشربة . فانهم لاينتفعون بصيامهم بل يُدانون ويُعاقَبون . ويسمعون الله يقول نحوهم كما قال لاولئك على لسان النبيّ . ايَّ صومٍ تصومون لي يابني اسرائيل وانتم ترقدون على اسرَّة العاج . وتفرشون الفرش الرخيمة . وتاكلون سمان الغنم والمعلوف من عجول البقر . وتقولون نحن صائمون للرب . انما الصوم الذي اختارهُ الرب ان تبتعد عن الظلم . وتحلَّ رباط المكر . وتكسر خبزك للجائع . وتكسو الاجسام العارية . ارأيت كيف لم يطلب منك الامتناع عن الغذاء فقط لكن يطلب ان تصرف الهمَّة نحو الامور الروحية وتبتعد عن الامور العالمية . أوَلا تعلم ياهذا انهُ لو كان تصرُّفنا كلهُ بحسب اشارة العقل كما ينبغي لم يكن بنا حاجةٌ الى الصوم . لكن الله تعالى لما راى الطبيعة البشرية مائلةً نحو النعيم والراحة فاترةً في طلب الباقيات كثيرة الاسترخاء والاسترسال سنَّ لمداواة امراضها الصوم لكي تعرض عن الاهتمام بالامور الجسدية وتنعطف الى الامور الروحية . فان قلت ياهذا انني مُبتَلًى بالامراض والعلل وليس لي طاقةٌ بالصوم الى الاوقات المحدودة . قلت ان كنت ضعيفاً عن الصوم فلست ضعيفاً عن استماع التعاليم وتفهُّم معاني المواعظ . ولاعن الصلوة . ولاعن التسبيح . ولا عن الصدقة على المحتاجين . ولاعن الدعاء للمتضايقين وامثال ذلك . فان كنت ضعيفاً عن الصوم ومارست هذه الاعمال حسب استطاعتك

فانها ستفتح لك ابواب الدالّة عند الله تعالى افضل من الامساك عن الطعام . فسبيلنا ان نصوم صوماً نقيّاً طاهرًا بريًّا من الافكار الردية والهواجس العالمية لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الرابعة والسبعون

مرتّبة على قولهِ من منكم يريد ان يبني برجاً . وهي تتضمّن طرح الاشياء الجسدية كالمآكل والمشارب وطلب الكنوز الباقية

اذا كان الملوك والتجار والمزارعون لا ينفقون اموالهم ولا يطرحون بذارهم دون ان يجلسوا اولاً ويحسبوا النفقات ثم الفوائد الحاصلة بعد ذلك . فان اعجبتهم ينهضون وينفقون . واما اذا حسبوا النفقات ووجدوا الفوائد لا تقوم بها فانهم يعرضون عن العمل ولا يتكلّفون . فاذا كان فعل هولآء هكذا في الامور الدنيوية الفانية فكيف لا نفعل نحن كذلك في الامور السموية الباقية . وما بالنا نُضيّع اموالنا في الباطل وننفق كنوزنا مجّاناً . ونجعل اتعابنا واجتهادنا للقواذير والمزابل ولا ننظر فيها كما ينبغي . وكيف لا نفكر في مثل هذا ونقول اين فوائد اتعابنا بالامس وثمرة اجتهادنا في ايام حياتنا . واين هي اطعمتنا واشربتنا وفواكهنا . اليس انها كلها قد ذهبت باطلاً وحصلنا في الخسارة والغبن . وكيف لا نسأل عن الفوائد المنتظرة ونختار الاراضي الجيدة قبل ان ننفق اموالنا باطلاً ونضيع بذارنا عبثاً . وما بال اتعابنا كل يوم ناميةً وكنوزنا خالية . وكيف لا ننهض من غفلتنا ونتيقّظ من رقادنا ونجتهد في تحصيل سعادتنا ونسلك في

مسالك الفائزين . ويا للعجب ان الذين يريدون جمع الاموال تراهم دائمًا
منهمكين مجتهدين لا يلتذُّون بطعامٍ ولا شراب ولا نوم ولا راحة . لكنهم
يريدون الزيادة في الاموال والاكثار من المقتنيات . هذا مع العلم بزوالها
والايقان بمفارقتها . ونحن لا نجتهد كذلك في المقتنيات الباقية ولا نهتمُّ في
الاكثار منها . وكيف لا نسمع ربنا يُنبِّهنا دائمًا بقولهِ لا تكنزوا لكم كنوزًا في
الارض بل اكنزوا لكم كنوزًا في السماءِ . ولا تهتمُّوا للغد . واعملوا لا للطعام
الفاني بل للطعام الباقي المؤدّي الى الحيوة . وقولهِ ادخلوا من الباب
الضيّق فان المسلك الواسع والطريق الرحبة تؤدّي الى الهلاك
والداخلون فيها كثيرون . ما اضيق الباب واكرب الطريق التي تؤدّي
الى الحيوة وقليلون الذين يدخلونها . ارايت كيف يمدح العيشة
القَشِفة ويذمُّ العيشة الناعمة . ويثني على السالكين في المسالك الضيقة
ويعطي الويل للمتنعمين . اسمعتَ قولهُ من لا يرفض كل شيءٍ لهُ فلا
يقدر ان يكون لي تلميذًا . وقولهُ انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يُملَّح .
لانهُ بعد فسادهِ لا يكون صالحًا لشيءٍ لا للارض ولا للمزبلة ولا لغير ذلك .
ومعناهُ انكم انتم الذين ينبغي لكم ان تصلحوا جميع الامم بحسن سيرتكم
وصلاح اعمالكم وحبكم للفضيلة . فاذا كنتم انتم الذين ينبغي ان تصلحوا
غيركم تفسدون اعمالكم فكيف لا تُطرَحون وتُداسون . فسبيلنا ان نعتبر
هذه الامور ولا ننساها بل نتذكرها دائمًا لنفوز بسعادة ربنا الذي لهُ المجد
الى الابد . امين

العظة الخامسة والسبعون

مرتّبة على انجيل ام ابني زبدى . وهي تتضمّن تبكيت محبي الرئاسة
والذين يخالطون السحرة والمنجمين

اين الذين يتنازعون الرئاسات ويتعلّقون بحبّ الرتب ويقصدون المناصب العالية . اسمعوا قول ربنا ان الكبير فيكم يجب ان يكون خادماً. والاول ان يكون عبدًا. وابن الانسان جآء ليخدُم ويبذل ذاتهُ عن المؤمنين. فاذا كان السيد والمالك ومظهر مسالك الفضيلة يوجد هكذا باذلاً ذاتهُ وخادماً لغيرهِ وخالعاً ثياب الكبريآء وطارحاً قضيب الرئاسة العالمية . فكيف تلتمس انت المخلوق والمملوك والمتغيّر والمائت ان تكون عظيماً ورئيساً . وما بالك لا تحتمل ثقل الآلام والمشقّات والمراتب الدنية لاجل نوال الخلود في النعيم . أَلَا ترى انهُ اذا كان الذين يعزمون على السفر الى البلاد البعيدة اذا تصوّروا المنافع الجزيلة التي يؤمّلون حصولها من هناك يستسهلون الاتعاب والمشقات وركوب البحار وملاقاة الاهوال والمخاطر في الطرق المخيفة بالنسبة الى المنافع المأمول حصولها . وكذلك يفعل الزارعون فانهم اذا تصوّروا المنافع المأمولة من زراعاتهم يستسهلون ما يكابدونهُ من المشقّات والاتعاب وتكلُّف الحرث والبذر وغير ذلك . وهكذا يفعل الذين يغوصون في البحر . والذين يفتشون على الخبايا . والذين يصطادون الوحوش والحيّات. فانهم يطرحون ذواتهم في الخطر املاً في تحصيل منافع مظنونة سريعة الزوال . فاذا كان هولآء لتصوُّرهم الفوائد المأمولة يجتهدون ويحتملون الاتعاب ويصبرون على المشقّات

هكذا فكم ضعفاً ينبغي لكم ان تقبلوا من انواع الشدائد وتصبروا عليها مسرورين انتم الذين وُعِدُوا بملك السموات ونعيم الابد والسعادة التي لا تزول. فلنتشبَّه الان بعبيد ربنا الذين احتملوا المشقَّات صابرين عليها وقبلوا الآلام والبلايا مسرورين كايوب وداود وجميع الانبياء والرسل والمجاهدين في سبيل الفضائل . فان قُورَح وداثان اذ طلبا الرتبة العالية سقطا الى قعر الهوان. وايوب اذ صبر على البلايا في محبة الله استحقَّ ان يمدحهُ الله ويُظهِر حسن سريرتهِ لاهل الارض . فانهُ تعالى قال موبِّخاً للشيطان تأمَّلتَ حسن صبر عبدي ايوب وانهُ لا يوجد في الارض مماثلٌ لهُ في الفضيلة لانهُ بارٌّ عادلٌ عابدٌ لله متباعدٌ عن مسالك الرذيلة . ارايتَ شرف هذا الثناء وعظمة المحبين للفضيلة. اشاهدت كيف مدح الربُّ طُلَّابها واعتبرت هذه الالفاظ المملوَّة سروراً. اعاينت عظم سعادة الطائعين وعظم شقاوة العصاة. وان اردت ان ترى شدَّة تعس الغاصبين وقبح مجازاة العصاة المَرَدة فاسمع السيد قائلاً لهم اذهبوا عني ياملاعين الى النار المؤبَّدة المعدَّة للشياطين . وكذلك قولهُ ان المخالفين كالعرَّافين والسَحَرة والمنجّمين واصحاب الفال يُقتَلون قتلاً ويُرجَمون رجماً ودمهم في اعناقهم. وقولهُ للمؤمنين لايكن فيكم عرَّافٌ ولاساحرٌ. ولامن يزجر الطير . ولا من يقول بالرُقى . ولامن يفسّر الاحلام . ولا من يكتب الاحراز . ولامن يسأَل الموتى . لان كل من يعمل هكذا هو نجسٌ قدام الله ربكم. ومن فعل ذلك وخالطهم وساكنهم او صدَّق اقوالهم او ادخلهم بيتهُ او دخل بيوتهم او اكل من طعامهم اوشرب من شرابهم ان كان كاهناً قُطِع ومُنِع من

مخالطة المؤمنين . وان كان غير كاهنٍ فليُخرَج من الجماعة . فسبيلنا ان نميّز الفرق بين الصالحين والطالحين ونجتهد في طلب الفضيلة لنفوز بالنعيم في ملكوت ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السادسة والسبعون

مرتبة على كمال الصوم المقدَّس تقال يوم الجمعة من اسبوع الشعانين

اذ قد وصلنا بنعمة الله المحبّ البشر الى نهاية الاربعين المقدَّسة واتممنا العدَّة المفروضة علينا ينبغي لنا ان نحذر الملل ونرفض الفَشَل . ونخاف من احتيال الصيَّادين . ونظهر حرارة الشوق . ونضاعف وسائل الطلب . لنصل الى ذروة الفضيلة وندخل مدينة الفائزين لان مدبّري السفينة هكذا يصنعون . لانهم اذا اوغلوا في السفر وبالغوا في الاتعاب وقطعوا اكثر اللجج الهائلة والانوآء المخوفة وقربوا من المرسى المقصود فانهم يبالغون في الحزم . ويقومون على قدم الاجتهاد . ويُعمِلون الآلات والرجال . ويتحفَّظون من الطوارق المخيفة . كل ذلك لكي يصلوا الى المرسى المقصود سالمين . وكذلك يصنع فرسان السباق فانك تراهم متى قاربوا اواخر الميدان يبالغون في الاجتهاد ويكدُّون خيولهم ويضربونها وينخسونها بالمهاميز ليظفروا بالاكاليل وياخذوا جوائز الفوز . وهكذا يفعل الحرَّاس وحَفَظة الاسواق والبساتين فانهم اذا سهروا الليل كلهُ وقاربوا الفجر فانهم يشعلون النيران ويكثرون الكلام خوفًا من ان

يدركهم النعاس فتهجم عليهم اللصوص بغتةً فيخسرون اتعابهم. فاذا كان مدبّروا السُفُن والمسابقون والحرّاس يجتهدون هذا الاجتهاد عند اشرافهم على نهاية المطلوب منهم ويتفاضلون في ذلك ويتغايرون. فكم ضعفاً من الاجتهاد يجب علينا نحن اصحاب البضائع الثمينة والجواهر النفيسة والكنوز الجليلة اذ قد وصلنا الى طرف المسافة. وكم يلزمنا ان نتحفَّظ من المعاندين لان اللصوص والسُرّاق واعداء الفضيلة اذا راونا قد سهرنا الليل كلَّهُ وحفظنا كنوزنا وحرسنا ذخائرنا فانهم حينئذٍ يحيطون بنا من كل جانبٍ ويريدون ان يغلبنا النوم والكسل فيسطوا علينا سريعاً ويخطفوا امتعتنا ويفوزوا بذخائرنا ويجعلوا كنوزنا غنيمة الاغتصاب. فان قلت كيف وبأيّ نوعٍ نتحفَّظ اكثر. قلت بان نعتضد بالصلوة والرحمة والزهد والعفاف. وان نحترز من الافكار الرديَّة والهواجس العالميَّة والاهتمام بالاباطيل الدنيوية ونطهّر ضمائرنا وننقّي قلوبنا. ونقول مع المغبوط داود اجعل يارب حافظاً لفمي وباباً حصيناً على شفتيّ لئلاَّ يميل قلبي الى كلام الشرّ فيتعلَّل بِعِلَل الخطايا. فان قلت وكيف اظفر بالصلوة الهادية والافكار الصافية وانا مضغوطٌ بتدبير الاولاد والعيال ومتقلّبٌ تحت الاثقال العالميَّة والمهمات المنزليَّة. قلت هلمَّ وانظر بعين العقل الى داود الملك كيف كان نبيًّا وملكاً ومدبّراً للجيوش والعساكر ومتكلّفاً محاربة الاعداء ولم يمنعهُ كل ذلك عن خدمة الله ولم يصدَّهُ عنها المال ولا اللذّات ولا الشهوات ولا مقاومة المضادّين لهُ. ولمَّا لم يجد لهُ وقتاً للصلوة في النهار جعل ذلك في نصف الليل حيث يكون الناس مضطجعين

ومرتاحين ومتلذّذين. ولهذا تراهُ تارةً يقول نهضت نصف الليل لاشكرك على احكام برّك . وتارةً يقول ان ذكرتك على مفرشي اهذُ فيك بالاسحار . وامثال هذا كثيرةٌ . واذا كان مثل هذا الملك العظيم الشان المستغرق في الامور السياسيَّة والمهمات العالمية لم يعوّقهُ ذلك عن القيام بحقّ العبادة كما ينبغي فما الذي تعتذر بهِ انت . وكذلك كان يفعل بولس الرسول معلّم المسكونة وجميع رسل ربنا حيث كانوا يُضرَبون ويُشتَمون ويُحبَسون ويُعذَّبون بانواع العذاب . وهم مع ذلك فَرِحون متهللون شاكرون مواصلون الصلوة في الليل والنهار مستيقظون لاتعابهم غير متكبرين بفضائلهم . ولهذا سمعت الامم اقوالهم . وخضعت الملوك طاعةً لهم . وسدُّوا افواه الأُسُد . واخمدوا هياج النار . وظفروا بحُلَل الكرامة . وتكلَّلوا بتيجان الغلبة . واخذوا مفاتيح الملكوت . وارتقوا الى مراتب النعيم . فسبيلنا ان نحفظ كنوزنا لنفوز بملك ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والسبعون

مرتَّبة على قوله الشجرة التي لا يخرج منها ثمرة تُقطَع وتُلقَى في النار. تُقال يوم الاثنين من الجمعة الكبيرة وهي تشتمل على خلقة آدم وكيف منحهُ الله تلك الكرامات كلّها

اذ قد سمعنا الان ان الذين يشبهون الشجرة التي لا تثمر يسبق اليهم العذاب من الله والمذمَّة من الناس. فسبيلنا ايها الاحباءُ ان نبالغ في حفظ اقوال شرائعنا . ونتفهَّم بحرصٍ شديدٍ معاني التعاليم المقروَّة علينا . ونجتهد في تنظيف اراضي قلوبنا من الاشواك الخانقة . ونحرسها من الطيور

والبهائم وعابري السبيل لكي نثمر الثمرات الزكيَّة ونستعدَّ للخلود في النعيم . فان الذين سمعوها قبلنا اذ لم يقبلوها راغبين سقطوا من مراتبهم . وعثروا في ظلام كفرهم . وضلُّوا عن السبيل القويم . واختنقوا تحت اللذات . واعماهم الحسد . وتمسكوا باذيال الرئاسات . وهبطوا في دركات الرذيلة . ولنسمع الان كيف يَصِف الكتاب الالهي اهتمام باري البرية بجنس البشر كما تهتمُّ الناس بالملك عند قدومهِ الى المدينة . فان المهتمّين بالضيافة والذين يُعِدُّون التقادِم والكرامات يتقدَّمون قبل وصولهِ بفرش المجالس . وذبح الذبائح . وترويج الاطعمة . وترويق الاشربة . وجمع الازهار والفواكه . حتى اذا دخل الملك مدينتهم يجد جميع حاجاتهِ مهيَّأة فيكون راضيًا مسرورًا . وكذلك فعل سيد البرايا حين عزم على خَلْق آدم الانسان الاول . فانهُ اظهر باخراج الكائنات المختصَّة بمصالحهِ من العدم الى الوجود ما يدلُّ على جودهِ تعالى وكمال عنايتهِ . وكذلك خلق لهُ بيتًا مزيَّنًا باجمل المنظورات اذ جعل لهُ اليابسة ارضًا والسماءَ سقفًا . وزيَّن ذلك السقف بالانوار المشرقة كالشمس والقمر وبقية الكواكب على اختلاف هيئاتها وحسن نظامها . واخرج من اليابسة انواع الاشجار والازهار والمعادن والحيوانات والطيور وغير ذلك من المخلوقات التي تحتاج اليها البشر . ولما تمم نظام هذا المنزل وفرغ من إعداد الحوائج والكرامات قال لنخلقنَّ انسانًا على شبهنا ومثالنا اي يكون لهُ سلطانٌ على هذه الموجودات كلها . افرأيتم كيف اقام سيد البرايا على هذه المخلوقات يهيّئ الضيافة لعبدهِ . انظرتم عظم هذا الاهتمام . اشاهدتم احتفال هذه الوليمة .

وكيف كان يهتمُّ باعداد كل واحدٍ من انواع الاطعمة والاشربة والعبيد والخدم التي يَصِفها بالجمال حيث يقول ورأى الله ذلك حسنًا . افهمتم قولهُ لنخلقنَّ انسانًا على شبهنا ومثالنا ليتسلَّط على سمك البحر وطير السماء ووحوش القفار . ارأيتم قَطُّ سيدًا يصوّر عبدهُ بصورتهِ ويعامل غلمانهُ هكذا . فكيف لا يجب علينا دائمًا ان نكون ناظرين الى هذا الاحسان بعيون بصائرنا . شاكرين من صميم قلوبنا . ممجدين المحسن الى جنسنا . طائعين المنعم علينا بهذه الكرامات . لئلاَّ نكون مثل اولئك الخاسرين الذين أَمَّلوا ان يُخرِج كرمهم عنبًا فاخرج شوكًا . واسمع ياهذا قولهُ لهم مبكتنًا ومحاكمًا وذاكرًا مكافاتهم وشارحًا سوء صنيعهم حيث يقول . انهُ غرس الكرم وبنى فيهِ برجًا ومعصرةً وسلَّمهُ الى العُمَّال والمراد بهم اليهود . وأَمَّل ان يثمر عنبًا فاخرج شوكًا . وقولهُ حين اخرج الثمرات الردية اني اقلع اصلهُ واهدم جدرانهُ واصيرهُ للنهب ولا يبقى لكرمي عمارة . وأُنبِت فيهِ الشوك مثل الابَر . وآمُر السحاب ان لا يُنزِل عليهِ مطرًا . فسبيلنا الآن ان نفلح الكرمة المسلَّمة لنا جيدًا . ونبتعد من الاهتمام بالاباطيل الفانية والتعلق بحبّ الرئاسة التي تعلَّق بها اولئك الخائبون فعميت عيون افكارهم واظلمت انوار عقولهم فسقطوا عن مراتب الفائزين . بل نجتهد دائمًا في التقرُّب الى ربنا بواسطة رحمة اخوتنا المساكين والتعطُّف على البائسين لنفوز برحمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثامنة والسبعون

مرتبة على خروج آدم من الفردوس لما اكل من الشجرة . تُقال يوم الاثنين في الساعة التاسعة وهي تتضمن تبكيت المخالفين اوامر الله والمتكبرين وطالبي الرتب العالية ونحو ذلك

اذا كان الذين يقرأون كتب العلوم الدنيوية وقصص القبائل السالفة يبالغون في تحرير الالفاظ وتفهُّم المعاني فالذين يقرأُون الكتب الالهية ويسمعون الالفاظ السيّديَّة كم يجب عليهم من الاجتهاد والاهتمام بسماعها والمبالغة في تفهُّم معانيها والبحث عن مقاصد الكلمات الغامضة والعناية بادراك رموزها . اسمع قول الكتاب الالهي عن آدم وحوآء انهما لمَّا اكلا من الشجرة انفتحت اعينهما وعلما انهما عريانان فصنعا لهما مآزِر من ورق التين . ثم سمعا مشي الرب الاله في الفردوس حين مال النهار فاختبأَا . فانظروا يا هولآء الى عظم سعادة الطائعين وشدَّة شقاوة العُصاة . فان اخنوخ وايليا المولودَين من الطبيعة المائتة لما وُجِدا مطيعَين لخالقهما سائرَين السيرة الصالحة أُعتِقا من الموت والفساد اللذين هما من لوازم الطبيعة البشرية ورُفِعا من الارض الى السمآء وشاركا الملائكة الغير المائتين . وهذان اللذان خُلِقا غير مائتَين بطبيعتهما لما خالفا الوصية جلبا عليهما الموت وتعرَّيا من حُلَل المجد وطُرِدا من فردوس النعيم وحصلا في شقاوةٍ عظيمة . ويا للعجب من كونهما عند المخالفة ظهرت لهما نقائصهما وتغيرت احوالهما حتى قصدا الاستتار من خالق البرايا كلها الحاضر في كل مكانٍ والمطَّلع على دقائق الافكار والعالم بخفايا القلوب . واسمع يا هذا قول الرب . يا آدم اين انت . اما آدم فانهُ لما صار عاريًا من البهآء وخازيًا من مخالفة

ربهِ مستترًا باوراق الشجر خائفًا من جريرة المعصية هاربًا من القصاص متواريًا باصول الاشجار قال مجيبًا لهُ اني سمعت مشيك في الفردوس فخفت . فاسمع الآن ياهذا وتفهَّم جيدًا لتعرف قوَّة مواقع الالفاظ السّيديَّة وما حوتهُ من الحكمة السامية والتنبيهات البديعة . لان قولهُ اين انت ليس لانهُ غير عالمٍ بمكانهِ . حاشَى لهُ من ذلك . بل كانهُ يقول انني خلقتك متوشحًا بالجمال . لابسًا اكليل المجد . غير قابلٍ للفناءَ . وجعلتك في الفردوس مسلَّطًا . وخوَّلتك جميع الخيرات . فاذا انت كاحد الوحوش هاربٌ من الطالبين لك . متَّزرٌ باوراق الشجر . عريانٌ من ثياب البهاءَ . خائفٌ وَجِلٌ مرعوبٌ . فعرّفني الآن اين انت . وكيف انت . وما الذي عرض عليك . ومن قادك الى هذا التغيير العظيم . وما الذي نقلك من الراحة الى العناءَ . ومن العزّ الى الذلّ . ومن الامن الى الخوف . ومن التردّي بالمجد والبهاءَ الى التردّي باوراق الشجر . وما هذا التغيير الذي دهمك بغتةً . ولماذا ركضت هاربًا من خالقك . ومستترًا من المطَّلع على جميع الخفايا . وخائفًا من المحسن اليك . ايُّ لصٍّ سرق كنوزك النفيسة . وايُّ غاصبٍ سلب غناك . وايَّة عاصفةٍ اغرقت سفينتك وتركتك فقيرًا خائبًا . أَجِبني الآن ما الذي اخافك . وايُّ هائلٍ ازعجك . ولماذا اختفيت متواريًا . قال سمعت وطأتك ماشيًا في الفردوس فخفت واختفيت لاني عريانٌ . قال ومن اعلمك انك عريانٌ . ومن اظهر لك قبح منظرك . واين ثيابك البهيَّة . واين حللك النورانية . واين اكاليل مجدك اللامعة . لعلَّك اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها . فاجاب حينئذٍ

معتذرًا ان الامراة التي جعلتها معي هي ناولتني منها فاكلت . ظانًّا انهُ بهذا الكلام يتمهّد لهُ العذر ويسلم من جريرة القصاص . ولكن اسمع معنى جواب الرب لهُ حيث قال وايُّ عفوٍ تستحقهُ الان وايَّة عقوبةٍ لا تكون اهلاً لها وانت المهمِل لاوامري والمخالف لوصاياي . فان الامراة وان كانت حسَّنت لك ان تاكل من الشجرة وهي التي ناولتك من ثمرتها الم اكن انا قد تقدَّمت بوصيتي لك ونبَّهتك قبل ذلك وتهدَّدتك بالقصاص . افما كان يجب عليك ان تتمسَّك بكلام خالقك وتترك كل ما سواهُ . اما علمت انك راسٌ لها وانها عضوٌ من اعضائك . فكيف جاز لك وانت الحاكم ان تصير محكومًا عليك وتجعل المرؤُوس رئيسًا وتصيّر الذَنَب راسًا . من يستطيع ان يندب سقطتك . وانت لا تقدر ان تبكي على نفسك كما ينبغي لانك الان اهنت ذاتك . وافسدت عيشتك . وحرمت خيراتٍ كثيرةً . فاذا كانت مخالفة اوامر الله تبعدنا من رحمتهِ وتقرّبنا من الشياطين . فسبيلنا ان نهرب من الشهوات ونبادر الى العمل بمراد ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة التاسعة والسبعون

تقال يوم الثلثاء من الجمعة الكبيرة باكرًا . وهي تتضمن تبكيت الذين يمضون الى الكنائس ولا يتقدمون الى سر التناول

اذ قد سمعنا الان ربنا لهُ المجد يذكّر بني اسرائيل بما فعلهُ بالمصريين لاجلهم وما صنعهُ من الآيات التي اجراها لخلاصهم . وقولهُ بعد ذلك

فان انتم سمعتم قولي فانتم احبُّ اليَّ من جميع الامم وتكونون لي مملكةً طاهرة وشعباً مقدَّساً . ولاجل انهم قابلوا هذا الصنيع بخبثهم وسدُّوا آذانهم عن السماع وتمسكوا بحبال الشهوات البدنية واعرضوا عن تفهُّم الاقوال الالهيَّة سقطوا في اعماق الرذيلة . فالذي تجسَّد لخلاصهم . واحتمل الآلام بجسدهِ لشفائهم . وعلَّمهم بالاقوال والاعمال الصالحة . وفتح لهم ابواب الملكوت . ووعدهم بالخلود في النعيم . اذا لم يسمعوا وصاياهُ كما يجب ولم يعملوا بها كما ينبغي فبايّ لسان يُشتَمون واية عقوبةٍ يستحقُّون . أَسمعت قولهُ لليهود وتعطفهُ عليهم اذ يجتذبهم تارةً بالوعد . وتارةً بالوعيد . وتارةً بالانذار . وتارةً بالتهديد . ليرجعوا عن غلظ اعناقهم ويُقبِلوا اليهِ لكي يحسن اليهم . فحينئذٍ قال منذراً لهم ومنبهاً لغفلتهم انني اذا انطلقت عنكم وانتم لا تؤمنون بي فستموتون بخطاياكم . واذا رفعتم ابن البشر فستعلمون اني انا هو . فاذا كان اولئك الخاسرون اذ لم يرجعوا عن عُتوّهم حُسِبوا من الهالكين . فما بالنا نحن لا نستيقظ من نومنا . ونتفهم اقوال ربنا . ونجتهد في حفظ التعاليم التي تُتلَى علينا . ونثمر الثمرات الكريمة اللائقة باغراسنا . ونماثل فضائل الفائزين . ويا للعجب ان الذين يعزمون على الذهاب الى الولائم العالمية تراهم يهتمُّون باصلاح شانهم فيتنظَّفون ويتجمَّلون بالملابس . ويقابلون صاحب الوليمة بما يوافق مشربهُ . ويصغون الى كلام المازحين واصحاب المجون والخلاعة . ويشخصون لرؤية الراقصات . ويجودون بالعطايا على المطربين . ويعتنون بحفظ خرافاتهم . ويجتهدون في تقليد حركاتهم . ويتصنَّعون في اجتلاب مسرَّة صاحب الضيافة كما

ينبغي . ولكن عند الذهاب الى الكنيسة لايفعلون كذلك . بل تراهم ان تجملوا بالملابس فلاجل الافتخار والمجد الباطل . وان عُلّموا فلايعملون. وان قُرِئت الاقوال الالهية يتشاغلون عن استماعها . ولهذا يقعون في فخاخ العدوّ ويرجعون الى بيوتهم خائبين . واذا كان ربنا لهُ المجد قد نبَّه على المشي في النور حذرًا من ادراك الظلام بغتةً فما بالنا لا نسير في طريق هذه الحيوة مستضيئين بانوار شريعتنا قبل ان تُغلَق دوننا الابواب الواسعة . وتمتدَّ نحونا الايادي الغالبة . ونعثر في ظلمات اعمالنا . ونندم على ما سلف من غفلتنا حين نقف قدام ربنا عابسين باكين خائفين منتظرين الخلود في الجحيم . نادبين خسارة ايام حياتنا التي قضيناها في الملاهي الباطلة والشهوات الخبيثة . فسبيلنا ان نستيقظ من نومنا وننتبه من غفلتنا ونقرع ابواب رحمة الهنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثمانون

تُقرأ يوم الثلثاء في الساعة التاسعة . وهي تتضمَّن تبكيت الفاسقين والمشغوفين بحبّ النساء

ينبغي لنا ان نتأمَّل معاني الكتب الالهية جيدًا ولا نركن الى مجرَّد السمع فقط لكي تستضيء عقولنا بانوارها المرشدة الى خلاصنا . لانهُ يقول الان هكذا انهُ لما رأى بنو الله بنات البشر انهنَّ حسان المنظر اتَّخذوا منهنَّ نساءً حسب اختيارهم . فاشار ببني الله الى اولاد شيت لانهُ كان محبًّا لله ولان بنيهِ يشبهونهُ في الصلاح . واشار باولاد البشر الى المولودين من

قايين لانهم كانوا محبين للشهوات البدنية . فانظر كيف يسمّي الذين يحبُّون الله اولاد الله . والذين يحبُّون الشهوات اولاد البشر . ولهذا قال الكتاب ولما رأَى بنو الله بنات البشر انهنَّ حسان المنظر اتَّخذوا منهنَّ نسآء حسب اختيارهم . فانظر الان ياهذا لفظ الكتاب الالهي كيف اوضح لنا فسقهم وعهارتهم بانهم لم ينهضوا للزواج واتخاذ النسآء رغبةً في اقامة النسل بل طلباً لنيل الشهوات البدنية . وتأَمَّل كيف صار نهوض هذه الشهوة علَّةً للفسق والعهارة . وكيف صار الاغتباط بالحسن والجمال سبباً للفساد والهلاك والابتعاد عن العناية الالهية . ولهذا قال الله ان روحي لا تثبت في الانسان لانهُ جسدٌ . وليكن عمرهُ مائة وعشرين سنة . أَرأَيت ياهذا عظم رزيَّة الخطاة . ارأَيت كيف صار عشق الجمال سبباً للسقوط في الرذيلة . اشاهدت كيف صارت الشهوة اللحمية علةً للهلاك العام . ارأَيت هذه النقيصة كيف ابعدت اهلها عن رحمة الله وحجبت شعاع جودتهِ عنهم وقصَّرت اعمارهم الطويلة . اسمعت كيف تدفَّقت عليهم ميازيب السمآء وتفجَّرت ينابيع الغمر وعمَّ الطوفان جميع البشر واهلك الوحوش والطيور والدبَّابات وكل ما فيهِ نسمة حيوة . ارأَيت عاقبة الخطاة الفاسقين . فان قلت هل كان هذا القصاص الهائل بسبب الفسق وحدهُ . اقول نعم لان هذه الخطيَّة تستتبع خطايا كثيرة . ولهذا قال الكتاب الالهيُّ ولما رأَى الله كثرة سيِّئات الناس على الارض لاجل هذه الفاحشة الخبيثة التي لم يتلطخ بها الشاب فقط بل سقط في حمأَتها الشيخ ايضاً والصبيَّة والعجوز والاغنيآء والفقرآء والاحرار والعبيد .

ولذلك قال الكتاب الالهيُّ وتأَسَّف الربُّ الاله على خلق البشر وفكر قائلاً أُبيد الانسان الذي صنعتهُ من تحت السمآء الناس والبهائم والمواشي والدبَّابات وطيور السمآء . فكأنَّهُ قال في نفسهِ انني فعلت جميع ما ينبغي فخلقت وابدعت واخرجت من العدم الى الوجود . واكثرت الخيرات والنِعَم . واعطيت طبيعة الانسان المعرفة بما يُباح من المحلَّلات وما يمتنع من المحرَّمات . وملَّكتهُ الارادة الذاتية والسلطة الملكية . فنبذ المشورة العقلية واطلق عنان الشهوات الجسدية . ولذلك اريد ان اطهّر الارض من آثامهِ وأُهلِكهُ من تحت رقعة السمآء . واذ قد علمت ياهذا قبح سيرة الخطاة فانظر الى شرف فضيلة الصالحين . وتأَمَّل عظم فضيلة الصدّيق نوح الذي لم تُغيّرهُ عن حبّ الله الشهوات ولا اللذَّات ولا الغنى ولا جميع البواعث العالمية . بل سار في وسط المجرمين متنمّرًا كالاسد . ومرتفعًا كالنسر . ومتصلبًا كالحديد . وانعطف منذرًا لهم ومنبّهًا لغفلتهم . ومحافظًا على مناقب الفضيلة . حتى استحقَّ المديح من الله والخلاص من وسط الهالكين . أَفرأَيت كيف يكون صدّيقٌ واحدٌ افضل من الوف خطاة . وكيف بخطيَّة البشر لحق الهلاك بالحيوانات ايضًا . وبفضيلة صدّيقٍ واحد تجدَّدت خلائق لاتُحصَى . فيا لعظم قوَّة الفضيلة كيف خلَّصت صاحبها من وسط الهالكين . وسترتهُ بحجاب الرحمة . وحصَّنتهُ باسوار العناية . وجعلتهُ ابًا لامم ٍكثيرة . فسبيلنا ان نتفهَّم معاني هذه الاقوال ونكرّرها على اذهاننا ليلاً ونهارًا لنفوز بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الحادية والثمانون

تقال بكرة يوم الاربعاء من الجمعة الكبيرة · وهي تتضمَّن قذف رؤساء كهنة اليهود والجمع الخبيث الذين تشاوروا على صلب السيّد له المجد

يا لهذا الغلط الفظيع ما اعظمهُ . ويا لهذه الامَّة الخبيثة ما اشدَّ حسدها واكثر نفاقها واظلم بصائرها . اسمعت كيف يَصِفون السيد المسيح بصنع الآيات والعجائب ومع ذلك يتشاورون على هلاكهِ . اسمعتم قول قيافا انهُ خيرٌ لنا ان يموت انسانٌ واحدٌ عن الشعب من ان تهلك الامَّة بأَسرها . وان تركناهُ هكذا فسيؤمن بهِ الكلُّ . ارايتم كيف اقام لهم الاموات وانهض المُقعَدين وصنع للعميان عيونًا . وبعد ذلك فعلوا بهِ هكذا . ولكن ليس هذا الفعل غريبًا ولا بعيدًا عن كفرهم وطغيانهم . فان الله قديمًا صنع العجائب امامهم في مصر . وارسل الضربات على اعدائهم حتى اهلك بلادهم بها . واخيرًا شقَّ البحر امامهم وفتح لهم طريقًا في المياه · وسلك بهم في اعماق الماء . واطعمهم في القفار خبزًا . وانبع لهم من الصخرة الصمَّاء ماءً . وظلَّلهم بالسحاب في النهار . وهداهم بالنور في الظلام . وبعد هذه الايات والعظائم كلها صنعوا لهم عجلاً مسبوكًا وسجدوا لهُ وقدَّموا لهُ قرابينهم . وقال بعضهم لبعضٍ هذا الهك يا اسرائيل الذي اصعدك من ارض مصر . وكانوا يحملون الاصنام في مسيرهم ويسجدون لها في مخادعهم ولا يرجعون عن غيّهم ولا يهتدون من ضلالهم . لكن اسمع ياهذا قول موسى مخاطبًا لهم ومبكتًا اياهم على كفرهم . ومتضجّرًا من عتوّهم . ونادبًا غلظ رقابهم . فانهُ يقول ايها الجيل الخبيث الاعوج أَبهذا تكافئون الرب . ايها

الشعب الجاهل العديم الحكمة اهكذا تصنعون . أليس هذا هو اباك وما لكك الذي خلقك وباركك . وحفظك كحدقة العين . وحملك على منكبيهِ كالنسر . وسترك بظلّ جناحيهِ . واطعمك ثمرات الحقول . واخرج لك من البرّيَّة عسلاً . ومن الصخرة ماءً . ومن المواشي لبناً . واشبعك من لحم الخراف والكباش واسمان من البقر . وحين اكلت يايعقوب وشبعت وغلظت وعرضت نسيت الاله الذي خلقك وابتعدت من الله مخلّصك . اسخطوني بالغرباءِ يقول الرب . واغضبوني باوثانهم . وذبحوا بنيهم وبناتهم للشياطين . واتخذوا لهم آلهةً لم يعرفوها ولم تعرفها آباؤهم . ورأى الله ذلك فغار وغضب ساخطًا على بنيهم وبناتهم . وقال اصرف وجهي عنهم واريهم ماذا تكون عاقبتهم لانهم جيلٌ متقلبٌ وبنون لا ايمان لهم . هم اغاروني باوثانهم واسخطوني باصنامهم . وانا أُغيرهم بامةٍ غير عاقلة وبشعبٍ جاهلٍ أُغضبهم . لان النار تتقد من غضبي . وتاكل بلهيبها الارض . وتحرق اساسات الجبال . واجمع الشرّ والبلاءَ عليهم . وأُلقي فيهم سهام الغضب . فيذبلون من الجوع . ويكونون طعاماً لطيور السماءِ . واسلّط عليهم انياب السباع وسمّ الافاعي . واذا خرجوا هاربين يفنيهم السيف من خارج والخوف من داخل . واهلك الشبان والعذارى والرضيع مع الشيخ الفاني . فاذا كان هولاءِ حين خاطبهم ولم يسمعوا اوقع بهم هذه العقوبات كلها . واطعمهم الخبز بالدموع . وجعلهم ماكلاً للسباع . وسلَّط عليهم الامم الغريبة القاسية . وطردهم من ديار قدسهِ . واهملهم من معونتهِ . وفرَّقهم في الارض . وصيَّر اسماءَهم شتيمةً ولعنةً .

فالذين تجسَّد لخلاصهم وتألَّم لانقاذهم من اعدآئهم اذا اهملوا ذواتهم وتعدَّوا اوامر شريعتهم وساروا على اهوآء قلوبهم وتشبهوا بالامم في افعالهم فايَّ عقابٍ يستحقُّون . ولأَيَّة فضيحةٍ يستأهلون . فسبيلنا ايها الاخوة ان ننهض من غفلتنا لنفوز بالخلود في نعيم ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثانية والثمانون

تُقال في الساعة التاسعة يوم الاربعاء من الجمعة الكبيرة . وهي تتضمَّن تبكيت الذين يحسدون غيرهم من ذوي الرتب والغنى

ان الحسود اردأُ من الوحوش الضارية واخبث من المَرَدة والشياطين. فسبيلنا ان نبتعد من الحسد بكل جهدنا لنخلص من موارد الهالكين . لانك ترى الحاسد ينظر الى المحسود كالحيَّة . ويَثِبُ عليهِ كالاسد . ويودُّ هلاكهُ كالشياطين . ويبتهج لنزول البلايا عليهِ . ويحزن لحصول المسرَّات لهُ . ويا للعجب ان الوحوش والطيور والدبَّابات تتألم لِأَلَم اجناسها المشاركة لها في الطبيعة . وتتساعد على مقاومة المضادّين لها . والحسود يفعل بضدّ ذلك . لانهُ يفرح بسقطة الاخ والقريب والبعيد والغريب والنسيب والصاحب . ولم يعلم هذا الخبيث ان الحسد صيَّر قايين قاتلاً شقيًّا ملعونًا معذَّبًا مطرودًا من وجه الله قريبًا من الشياطين. وصيَّر هابيل المحسود ملاكًا طائرًا الى السمآء . وكذلك فعل بداود وشاول . وموسى وقورح . والعيس ويعقوب . وكذلك اولاد يعقوب مع اخيهم يوسف حين همُّوا بقتلهِ حسدًا ثم باعوهُ الى الغربة . واما هو فان

الله عظَّم شانهُ . ورفع في الغربة سلطانهُ . وملَّكهُ رقاب اخوتهِ واحضرهم اليهِ اذلاَّ ء خائفين مرتعدين امامهُ. ولكنَّهُ صفح عنهم بحلمهِ. وظلَّلهم بجناحهِ. وعالهم في السنين المجدبة . واسكنهم في الاراضي المخصبة . وكذلك اليهود فعلوا بالمسيح حين همُّوا بقتلهِ ظلماً واسلموهُ للصلب بغياً . ولما لمع شعاع مجدهِ وتعالى على الممالك سلطانهُ غفر للتائبين منهم والراجعين عن ضلالهم . وجعلهم اهلاً للتبشير بدعوتهِ . ومشاركين لهُ في نعيم ملكوتهِ . وجعل المصرّين منهم على كفرهم والمتمسكين بحبال طغيانهم فريقاً السيف . وفريقاً للنهب . وفريقاً للسبي . وفريقاً للجوع . وفريقاً للاسر . وترك الناجين منهم من الموت أسوأ حالةً من الاموات . لانهُ نزع منهم الملك والنبوَّة ودهن المسحة وذبائح الغفران وصعائد الشكر وتقدمة القرابين . وتركهم في الممالك العامرة كخُصاصة الكرم بعد القطاف . وصيرهم اذلاَّء مهانين باكين يتنهَّدون من حسرة قلوبهم وضيق صدورهم . ولذلك اتوجَّع كثيراً حينما ارى الحسد الآن قد كثر في كنيسة الله وبين طوائف المؤمنين حتى ظهر في الرؤساء منهم اكثر من المرؤوسين . وتعلق بقلوب ذوي الرتب اكثر من عامّة الناس . حتى في الامور الدينيَّة والمراتب الكهنوتية . ولهذا اعطف عليك موبّخاً واناشدك معاتباً ايها الحاسد الاغنياء والناظر الى مُقتَنَياتهم واقول لك ايحسن بك ياجاهل ان تحسد انساناً طريحاً مجروحاً مقيَّداً مضرَّجاً بالدماء . فان قلت وكيف تشبه الغنيَّ بهذا الانسان . قلت لعمري انك لو نظرت اليهِ حقَّ النظر وتأمَّلت حالهُ كما ينبغي لرايتهُ مجنوناً بحبّ الاموال . مقيَّداً بسلاسل الشهوات .

مجروحاً بسيف الاجتهاد الباطل . مخالفاً لشريعة الله . طائعاً للشياطين . غارقاً في وهدة الهلاك . فسبيلنا ان نهرب من هذا الداء القاتل لنفوسنا لكي نفوز بالقرب من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الثالثة والثمانون

تُقال يوم الخميس الكبير باكرًا . وهي تتضمَّن تبكيت الذين يتقدَّمون الى الاسرار الالهية وهم غير مستحقين

هذا هو يوم التقدُّم الى هذه المائدة الرهيبة فلنتقدَّم كلنا متيقظين متاهبين لها . ولا يكن احدنا مثل يوداس ولا خبيثاً فيهِ غشٌّ . ولا يَقُلْ بلسانهِ شيئاً وفي قلبهِ غيرهُ . لان المسيح الان حاضرٌ بنفسهِ . هو ذلك المشرّف تلك المائدة في ذلك اليوم . هو هو بعينهِ الان ههنا . لان الذي ينقل الاسرار المقدسة ويجعلها جسداً ودماً للمسيح ليس هو بشراً البتَّة بل هو المصلوب لاجلنا والكاهن يتمم رسمهُ . نحن ننطق بما نطق بهِ واما النعمة والقدرة فهما لهُ . لانهُ قال هذا هو جسدي . وهذا القول يغيّر التقدمة الموضوعة . وكما ان ذلك الصوت القائل انموا واكثروا واملأُوا الارض قيل دفعةً واحدة وصار يفعل في طبيعتنا التناسل والتوليد كذلك هذا الصوت قيل دفعةً واحدة وصار يكمل الذبيحة الموضوعة في كنائس الارض . فلا يحضرها نَغِلٌ ولا خبيثٌ ولا من في نفسهِ غشٌّ لئلّا ياخذ دينونةً لنفسهِ . لانهُ في ذلك الزمان بعد ما اخذ يوداس القربان دخل فيهِ الشيطان لا محتقراً للجسد الالهي بل محتقراً ليوداس لاجل وقاحتهِ وغشّهِ.

ليحقق عندنا ان الذين يتناولون الاسرار الالهية بغير استحقاقٍ يهجم عليهم الشيطان ويدخل في قلوبهم كما جرى ليوداس في ذلك الوقت . لان الكرامة كما انها تنفع المستحقين تضرُّ الغير المستحقين . ولا اقول هذا لامنعكم عن تناول هذه الاسرار الطاهرة بل لتحترسوا وتحفَّظوا ولا يكون احدٌ منكم مثل يوداس ولا يحضر وفي قلبهِ غشٌّ . لان هذه الضحيَّة غذاءٌ روحيٌّ . وكما ان الغذاءَ الجسديَّ اذا حصل في جوف من فيهِ مرضٌ رديٌّ يزيد في ذلك المرض لا من طبيعة الغذاءِ بل من فساد طبيعة المريض . هكذا الاسرار الروحية اذا دخلت نفس الانسان وهي مملوَّة خبثًا تفسدها وتهلكها لا من طبيعتها بل من سوءِ مزاج النفس التي قبلتها. فلننقِّ انفسنا ونطهّرها اذا كنَّا نتقدَّم الى ضحيَّةٍ نقيَّةٍ طاهرة . فان قلت وكيف اتنقَّى واتطهَّر . قلت ان كان في نفسك حقدٌ على اخيك فاترك الغضب والعداوة لانك متقدّمٌ الى ضحيَّةٍ رهيبة فوقّرها واحترمها لان المسيح بين يديك ذبيحًا . ولماذا ذُبح وعمَّن مات . اليس ذلك ليلقي السلام بين اهل السماءِ والارض . ذاك بذل نفسهُ عن المبغضين لهُ وانت تعادي شريكك في العبودية . ذاك ارتضى بالموت لاجلك وانت لا تترك الغضب الذي بينك وبين اخيك . فبأيّ قدمٍ تسعى الى هذه المائدة . وباي عفوٍ تفوز . فان قلت انهُ قد آذاني اذيَّة عظيمة وافرط في مضرَّتي . قلت انهُ قد آذاك في مقتنيات هذا العالم او في مرغوباتهِ ولكن ما صلبك كما صلب اليهود المسيح . وان كنت لا تصفح لعدوّك فلست تضرُّهُ مثلما تضرُّ نفسك لان الله لا يبغض شيئًا مثل الحسود . اسمع قولهُ تعالى اذا

قدَّمت قربانك على المذبح وذكرت هناك وانت قائمٌ على المذبح ان في نفس اخيك موجدةً عليك فخلِّ قربانك وامضِ وصالح اخاك. واما الان فاني ارى كثيرين يتناولون جسد السيد المسيح كيفما اتَّفق متخذين ذلك عادةً لا ناموساً. وهم يفعلون ذلك متى حضر الصوم والفصح. وكان الاولى بهم عوض انتظار الاصوام والاعياد تطهير النفوس والاجساد. وبعد ذلك يتناولون الاسرار المقدسة. لان المتدنّس بالخطايا لا يستحقُّ تناول الجسد الرهيب لا في عيدٍ ولا صومٍ. تأمَّل كيف كان الذين كانوا في العهد العتيق يتأهَّبون متى عزموا على التقدم الى الضحيَّة. وكيف كانوا يطهّرون انفسهم غاية التطهير ويتنظَّفون نفساً وجسماً في جميع احوالهم. وانت تتقدَّم الى ضحيةٍ تقشعرُّ الملائكة منها وترتعد وانت بيدَين دنستين وجسمٍ نجس. وتجسر على ذلك وتقتحم غير مكترثٍ. اما تسمع النذير قائلاً هذا القدس للقديسين. ومن كان في طبقة التائبين فليخرج من هذا المكان. ولقد كنت اريد ان اوسّع الكلام في هذا المعنى ولكن صدَّني عن ذلك حزن قلبي لاجلكم. فتفهَّموا وتطهَّروا لكي تتناولوا باستحقاقٍ من اسرار ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد الى الابد. امين

العظة الرابعة والثمانون

قيلت في الساعة الاولى يوم الجمعة الكبيرة. وهي تتضمَّن تبكيت الذين لا يطيعون ناموس الله ولا يسلكون بحسب ارادته

اذ قد علمنا الان ان طلب الفخر والرئاسة وحبّ الامور العالمية سببٌ

لكل معصيةٍ وعلةٌ للخلود في الجحيم فلنحذر من ان يوجد فينا احدٌ مرتكباً هذه الخلّة الردية او مخالفاً لناموس الفضل لئلاّ يسقط في هاوية الهلاك . ارايتم اليهود الذين وُعِدوا بالمواعيد وظُلّلوا بالغمام . وكان لهم الملك والنبوّة والذبائح والقرابين وسماع الاقوال الالهية. اذ لم يتمسكوا بناموسهم ولم يطيعوا اوامر ربهم ولم يسلكوا في الطريق المستقيم كيف اعماهم افتخارهم واسكرهم حبُّ الرياسة فاصطدموا بحجر العثرة ووقعوا في اشراك الشياطين . لان المخالفة لامر الله سببٌ لجميع المعاصي . اسمع قولهُ تعالى منذراً لهم ومنبّهاً لغفلتهم ومحذّراً لهم من سقطاتهم حيث يقول ان انتم لم تطيعوني ولم تعملوا بوصاياي هذه وخالفتم احكامي ولم تمتثلوا جميع اوامري وابطلتم عهودي الى ان يقول فاني اقابلهم بمثل ذلك . واجلب عليهم عاجلاً عدم الاثمار والجُدَريّ والحِكّة واليرقان. مما يوجع اعينهم ويُمِلُّ نفوسهم . ويزرعون زرعهم باطلاً وياكلهُ من يعاندهم . وأُحلُّ عليهم غضبي فيقعون بين اعدائهم . ويهزمهم من يبغضهم . ويهربون من غير ان يطلبهم احدٌ . وان لم يطيعوا اقوالي بعد ذلك فاني ازيدهم نِقَماً سبعة اضعافٍ على خطاياهم . واكسر كبرياء صَلَفهم . واجعل السماء حديداً فوقهم . والارض نحاساً تحتهم . ويكون سعيهم باطلاً . ولا تغلُّ ارضهم بذارها . ولا تعطي اشجار ارضهم اثمارها . وان اقاموا على الاعوجاج ولم يطيعوا اوامري فلاضربنّهم سبعة اضعافٍ أُخر على خطاياهم . وأُطلِق عليهم سباع البرّ حتى تقتلهم وتاكلهم . وتفني بهائمهم . وتتوحّش سبلهم . وان لم يتأدّبوا بذلك وثبتوا على الاعوجاج فلاضربنّهم سبعة اضعافٍ ايضاً على خطاياهم . واجلب

عليهم سيفاً ينتقم منهم حتى تخرب مدنهم . وارسل عليهم الوباَء واسلّمهم الى ايدي الاعداَء . واضيّق عليهم طعام خبزهم وياكلون وزناً ولا يشبعون . وان لم يطيعوا احكامي وثبتوا ايضاً على الخلاف فاني اسلك معهم على الخلاف وأُحزِنهم سبعة اضعافٍ على خطاياهم حتى ياكلوا لحوم بنيهم و بناتهم . واخرب قراهم . وابيد ما تحت ايديهم . وتتبرَّم نفسي بهم . واهدم مقدسهم . ولا اقبل قرابينهم . ولا اشمُّ رائحة بخورهم . وادمّر ارضهم حتى يرعب ذلك اعداَءهم الساكنين في تخومهم . وابددهم في الشعوب . واطرح في قلب من بقي منهم رعباً في بلاد اعدائهم حتى يهربوا من صوت ورقةٍ متحركة كما يسرع الهاربون في الحرب . واذ لم يرجع هولاَء العصاة عن عُتُوّهم ولم يكفُّوا عن خبثهم ولم يعملوا بمراد ربهم سقطوا على وجوههم وتمت فيهم هذه الاقوال كلها . فاذا علمنا هذا ايها الاحبَّاَء فما بالنا لا نرجع عن اثمنا ونتنبه من غفلتنا ونخاف من عقاب ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة الخامسة والثمانون

تُقال في الساعة الثالثة يوم الجمعة الكبيرة . وهي تتضمن تبكيت الجهلاَء ومدح العلماَء ومحبي قراَءة الكتب الالهيَّة

اذا كانت الاقوال النبويَّة والرموز الابوية قد تقدَّمت منذرةً لنا ومنبهةً لافهامنا بان ربنا لهُ المجد يتجسَّد لاجلنا . ويظهر على الارض لتدبير خلاصنا .

ويقبل الالام بجسده المأخوذ من جنسنا ليطهّرنا من آثامنا وينقذنا من عدوّنا وينهج لنا مسالك الفائزين . فما بالنا لعدم الاهتمام بالقرآءة وتفهّم معاني الاقوال الالهية نوجد عند ذكرها مرتبكين . وعن الجواب عن شرفها مقصّرين . واذا كان الفقير من العالميات تراهُ بين الاغنياءَ ذليلاً وامام المكثرين حزيناً كئيباً اذ لا قدرة لهُ على المساواة لهم في ما لهم . ولا التشكل باشكالهم . حيث يكون اولئك ياكلون ويشربون . ويامرون وينهون . ويفرحون ويطربون . واولئك يندبون حالهم . ويتجرّعون مرارة فقرهم . ويكابدون مضض الجوع والعري . مع ان حال الفريقين عارضٌ سريع الزوال . فالفقرآء من العلوم الشرعية والمقلّين من سماع الاقوال الالهية ايَّ ندمٍ يندمون . وايَّة عقوبةٍ يستحقون . وايَّة منزلةٍ دنية لا يهبطون اليها . لان من لا يعرف شريعة الديانة كما ينبغي كيف يكون عاملاً بها . وكما ان الاغنياءَ في الاموال العالمية تعلمهم كثرة المال كيف يتصرّفون في سعادتهم . وكيف يتفاخرون على امثالهم . وكيف يصاحبون الروساءَ والمتقدّمين . كذلك الاغنياءُ في الاقوال الالهية تعلمهم تلك الاقوال مناقب افضل من تلك . فانها تعلمهم اولاً مشيئة ربهم . ثانياً السلوك في الطريق المستقيم . ثم يتغايرون ويتفاضلون ويتسامون ويتشرّفون حتى تطيعهم المخلوقات . وتظهر لديهم الكرامات . وتلين لهم الجامدات . وتسهل امامهم المستصعبات . وتخدمهم الاغنياءُ باموالها . وتخافهم الملوك طاعةً لربهم . وتُعَدُّ لهم سعادة الملكوت . ويحصلون على الخلود في النعيم . وتتلقاهم الملائكة بالوجوه الباسمة والمناظر البهيجة كما يتلقّى الاغنياءَ

اصحابهم حين يقبلون اليهم . فاذا كان هذا الامر هكذا فما بالنا لا نسارع الى استماع العظات . ونتفهم معاني المقولات . ونعتني بحفظها مسرورين . ونتمسَّك باوامرها مبتهجين . ويا للعجب ان الذين يسمعون الخرافات تراهم يحفظونها ويتحدَّثون بها في بيوتهم . ويحدّثون بها اصحابهم . ويتصنَّعون في تقليدها . وكذلك الذين يبحثون عن الخبايا ويطلبون الكنوز والمعادن تراهم اذا ظفروا بقطعةٍ من الذهب او بعِرقٍ من التراب المعدنيّ يبتهجون بهِ فرحًا وسرورًا . ونحن لا نفعل كذلك في اقوال ربنا . فسبيلنا ان نبحث في الكتب باجتهادٍ ونتفهم معاني اقوال ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السادسة والثمانون

تُقال في الساعة السادسة يوم الجمعة الكبيرة . وهي تتضمَّن تنازل السيد المسيح وتجسُّدهُ وصلبهُ لاجل خلاصنا

كما ان الملوك اذا خاطبوا الرعية بواسطة الكبراء والرسل والحجَّاب ونظرائهم اذا لم يمتثلوا ارادتهم ولم يرجعوا عن غيهم تراهم يتشكلون بزيّ بعض التجَّار او السُيَّاح ويجولون في بلادهم ويتصرَّفون بين رعاياهم كعامَّة الناس ليخاطبوهم من حيث يفهمون ويقرّبوا لهم المقاصد الصالحة ليُقبِلوا الى الطاعة ويعيشوا ولا يهلكوا . وكذلك خالق طبائعنا والمتحنن على جنسنا . فانهُ ظهر لجنس البشر اولاً باشكالٍ خيالية عارضة تدبير امورٍ

عالمية قريبة الزوال . فظهر لآدم كانسانٍ يُسمَع صوت مشيهِ على الارض .
وظهر لابراهيم كانسانٍ عابر سبيلٍ . وظهر لدانيال كانسانٍ جالسٍ على
كرسيٍّ وشعرهُ ابيض كالثلج . وظهر ليعقوب كانسانٍ على سُلَّمٍ طرفٌ منهُ
في الارض وطرفٌ في السماء . وظهر لموسى في العلّيقة . وظهر لاشعيا في
شكل رجلٍ . وليوشع في شكل ملاكٍ . وامثال ذلك كثيرةٌ . وحين
كملت شريعة العدل الاولى الزائلة وقربت شريعة الكمال الدائمة ظهر
بشكل انسانٍ حقيقيّ الطبيعة لسياسة امورٍ حقيقية دائمة لازوال لها .
ولذلك قال تعالى وظهرت لهم على ايدي عبيدي الانبياء بكل الاشباه .
وقال بولس الرسول بانواعٍ كثيرة واشباهٍ شتّى كلّم الله آباءَنا على أَلْسُن
الانبياء من قديم الدهر . واما في هذه الايام الاخيرة فكلمنا بابنهِ الوحيد
الذي جعلهُ وارثًا لكل شيء . وكما رضي ان يكون انسانًا رضي بتوابع
الانسانية كما علّمنا منهُ الفضل باعمالهِ الفاضلة . فصام بالجسد . وسجد
بالجسد . واكل وشرب بالجسد . وكذلك فدانا من الهلاك وانقذنا من
الموت بصلبهِ بالجسد . وموتهِ بالجسد . وقيامتهِ بالجسد . وكمّل التدبير
اللائق بجلالهِ تعالى . وكما ان الملك العظيم الهمّة العالي الشان اذا حُبس
غلامهُ في الغربة فتشكّل هو بشكل اهل تلك البلاد واحتال في خلاص
عبدهِ . واحتمل لاجلهِ بذلك الشكل ما كان يستوجبهُ العبد من الالم والهوان
فما نالهُ من ذلك الهوان لا يُعدُّ نقصًا بل تعدّهُ العقلاء شرفًا ويكون لهُ بذلك
أُبَّهة الكمال والفضل وعلوّ الذكر ونهاية المروءة . وينقل ذلك عنهُ رواة
الاخبار والمؤرّخون . هكذا لما تحنّن ربنا علينا وتعطّف على ضعفنا

وتجسَّد لخلاصنا . واحتمل بجسدهِ الآلام التي استوجبناها نحن . ونهج لنا طرق الخلاص من عدوّنا . لا يُعدُّ ذلك الهوان نقصاً بل يكون لهُ بهِ كمال الجود وغاية الفضل . ولنا غاية الشرف والخلاص من الجحيم . وكما ان ذلك الملك لو اراد خلاص عبدهِ بالقهر لارسل الجيوش والعساكر واهلك اولئك المضادّين. هكذا لو اراد سيدنا لهُ المجد خلاص جنسنا عنوةً لارسل ربواتٍ من الملائكة واهلك اولئك المضادّين بالحريق او بالغريق او بالصواعق وغير ذلك . والّا فالقادر الذي اعطى رسلهُ السلطان ان يقيموا الاموات ويشفوا المرضى ويغلبوا الملوك ويقهروا الفلاسفة ويجذبوا العالم الى آرائهم الم يكن قادرًا ان يقهر مشايخ اليهود وجنود بيلاطس . وكما ان ذلك الشكل الذي تشكَّل بهِ الملك لخلاص عبدهِ يكون عند اهل بلاد الملك وجنودهِ وعشائرهِ ورعاياهُ العارفين قصدهُ معظَّمًا جليلًا . كذلك الشكل الذي ظهر بهِ ربنا يجب ان يكون عندنا جليلًا مكرَّمًا . فلا نستنكف الآن ايها المؤمنون من ذكر صليب المسيح فانهُ راس الخيرات . وبداءة الحيوة . وآلة النجاة . واكليل الفخر . وراية الظفر . وسلاح الغلبة . وعلامة الخلاص . بل نرسمهُ على جباهنا . ونصنع مثالهُ على اموالنا وبيوتنا ومزارعنا . ونختم بهِ على قلوبنا . ونتحفَّظ بهِ من اعدائنا . ونقترب بهِ من ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

العظة السابعة والثمانون

مرتّبة على قولهِ من كانت عندهُ وصاياي وحفظها . تُقال في الاحد الخامس من الخمسين
وهي تتضمَّن تبكيتِ الذين يصنعون الاعراس بالطبول والزمور
والاغاني فانهم يغضبون الله بهذا الصنيع

اذا كان ربنا لهُ المجد وعد الذين يحبونهُ ويحفظون وصاياهُ بانهُ يحبّهم ويظهر لهم ذاتهُ وياتي اليهم ويتَّخذ لهُ منزلاً عندهم . ونحن نعلم انهُ الباري الصادق الوعد القادر على الوفآء الجزيل العطآء . فما بالنا لا نحبُّهُ بكل استطاعتنا . ونقدّم لهُ ذواتنا . ونبذل في طاعتهِ نفوسنا . ونتشوَّق الى رؤيتهِ بعقولنا وقلوبنا وضمائرنا وجميع حواسنا كما ينبغي . اسمع ياهذا قول الكتاب وخرج يعقوب هارباً من العيس اخيهِ وسار الى سوريَّا الى لابان خالهِ . وكان للابان ابنتان تُسمَّى الواحدة ليَّا والاخرى راحيل . ولما رأى يعقوب راحيل احبَّها حبًّا شديدًا واشتهى ان تكون زوجةً لهُ . ولما سمع لابان قال لهُ ارعَ غنمي سبع سنين وانا ازوّجك براحيل . فبادر الى قبول ذلك باشدّ رغبةٍ وخدم الاغنام سبع سنين وكانت عندهُ كايامٍ قليلة لاجل محبتهِ الفتاة . فاذا كان هذا الصدّيق اختار ان يتعبَّد عدَّة سنين شوقًا الى رؤية الجارية التي من شانها ان تموت وتتلاشى هي وحسنها وتسقط زهرة جمالها . وكابد لاجلها التعب والخوف والسهر وحرَّ الصيف وبرد الشتآء ومخاطر اللصوص والوحوش الضارية . فما بالك لا تشتاق الى رؤية باريك ومبدعك الذي انعم عليك بانواع الخيرات واصناف المسرَّات والسعادة التي لا تزول . ولم يكلفك ان تحتمل المشقَّات عدَّة سنين كما احتمل يعقوب .

بل ان تتمسَّك بوصاياهُ حسب استطاعتك . وتتبعهُ على قدر طاقتك .
واذا كان لابان الكافر بالله العابد الاوثان لما كملت ايام خدمة يعقوب
لهُ لم يُرِد ان يزفَّ ابنتهُ اليهِ بالطبول والابواق والملاهي وامثال ذلك
مع وجود هذه الاشياء وكثرة الاشتغال بها في زمانهم . بل انهُ جمع العشيرة
وصنع لهم طعاماً وزفَّها اليهِ بحضرتهم . فما بالك انت يا ايها السامع الكلمات
الالهية المثقَّف بالشرائع المسيحية المامور بترك الملاهي العالمية تستبيح ان
تزفَّ ابنتك الى الختن بمحفلٍ من الشياطين . وكيف لا تخجل من حالتك
حين تُدخِل الى منزلك السفهاء واصحاب الخلاعة والمجون واخوة المسيح
يتضوَّرون جوعاً ويتحرَّقون عطشاً . وما بالك تستسهل نفقات الاموال
وتستخدم الرجال وتهون عليك الغرامات في إعداد مثل هذه الولائم
السمجة . ولا تفعل ذلك في الاحتفال بالضعفاء والمساكين . بل لو ورد
عليك واحدٌ من اخوتك عارياً او جائعاً او ملهوفاً او مريضاً وطلب
منك شيئاً يسيراً من بعض هذه النفقات الكثيرة لرددتهُ خائباً كئيباً
وقابلتهُ بوجهٍ عابسٍ وكلامٍ غليظ قائلاً انكم قد اتخذتم التسوُّل عادة
وغلب عليكم الطمع في اموال الناس . واذا كان الفضلاء يحجبون اولادهم
عن استماع الاقوال السفيهة والاحاديث السمجة والحضور في مجالس
الهزل والخلاعة خوفاً من فساد عفافهم وادبهم فما بالك انت تستحسن ان
تسمع ابنتك وجوهرتك وعروس المسيح الاقوال الخبيثة والفاظ الخلاعة
وسوء الادب التي تحرّك بلابل الضمير وهواجس الافكار الردية . وكيف
لا تخاف افتتان الختن بسماع تلك الالفاظ المائقة . وشغفهُ بمناظر اللَّعب

المصنوعة لاستهواء ذوي الصيانة والعفاف . وكيف لا تفكر ان بعض الراقصات والمغنيات قد تشغفهُ بتثني اعطافها وتخدعهُ بعذوبة كلامها فتخمد نار شوقهِ الى القرينة الطاهرة وتشتعل نحو تلك العاهرة . وحينئذٍ تنتشب بينهُ وبين قرينتهِ المخاصمات والفتن وتنتزع من بينهما المحبَّة والالفة فيعيشان عيشةً مرَّةً شريرة . فان قلت أليس ان هذه الاعمال صارت عادةً وسُنَّةً تجري عليها جميع الناس ولا سبيل الى ابطالها . قلت فحينئذٍ لا يتوجَّه اللوم على الزاني والسارق والقاتل وعابد الاصنام وامثالهم لانهم يقولون كيف يمكن ان نترك عوائدنا المألوفة . واذا كان رجوع هولاء عن عوائدهم الرديَّة ممكنًا فاسهل منهُ واكثر امكانًا رجوعك عن عاداتٍ تنال بتركها القرب من الله والمديح من الناس وحلول البركات الكثيرة وتوفير النفقات الجزيلة . وتجعلك باتخاذها غاصبًا شريرًا بعيدًا من رحمة الله قريبًا من الابالسة . فسبيلنا ان نهرب من العوائد الردية . ونجعل افراحنا ادبية . واعيادنا ومواسمنا روحية . لننجو من الاشراك الشيطانية . ونفوز بسعادة النعيم الابدية . بنعمة ربنا الذي لهُ المجد الى الابد . امين

فهرس الكتاب














UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 01791315 3